إسلامنا الجميل والأسرة

المؤلف / سامي سعيد إسماعيل

[DATE]

[COMPANY NAME]
[Company address]

إسلامنا الجميل والأسرة
تأليف : سامي سعيد إسماعيل
الطبعة الأولى : نوفمبر 2021
دار العلوم للنشر والتوزيع
هاتف : 01144764000_01061160988
الموقع الإلكتروني : www.dareloloom.com
البريد الإلكتروني : daralaloom@hotmail.com
Facebook.com/dareloloom
Twiter: @dareloloom

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
رقـــم الإيداع : 23224 / 2021
الترقيم الدولي : 978_977_380_713_9

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى **دار العلوم للنشر**

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافى والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر

إسلامنا الجميل والأسرة

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن ديننا الإسلامي الجميل ملآن بالجمال في كل شيء، في قرآنه وسنته، وفي سيرة نبي الإسلام خاتم النبيين الحبيب محمد ﷺ، ولكن يجهله كثير من الناس من أتباعه وأعدائه؛ لذا سهل على العارفين مواطن جماله، وثقل على الجاهلين مواطن فهمه.

ولذلك اجتهدت في بيان مواضع ومواطن الجمال في القرآن والسنة في هذا البحث عن الأسرة التي هي أول لبنة في بناء المجتمع المسلم، إن صلحت صلح المجتمع والأمة كلها.

وفي هذا البحث تناولت أهم لبنات هذا المجتمع الذي يتكون من الأب والأم والأبناء، وأساس تكوينه الزواج، والزواج فقط، ولا علاقة بين الرجل والمرأة إلا بالزواج الصالح، وهذا دين الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها منذ أن كان أبو البشرية آدم عليه السلام وأمنا حواء في الجنة وقبل نزولهما إلى الدنيا، علمهما ربهما سبحانه الخالق أن هذا هو الطريق القويم لبناء مجتمع سليم لإعمار الأرض وسلامة البشرية.

وذلك لتحقيق الخلافة في الأرض، وعبودية الله وحده لا شريك له، حتى نلقى الله ونعود إلى جنة الله الابدية التي جعلها الله الكريم الرحيم لعباده المؤمنين الموحدين السائرين على هديه وطريقه المستقيم.

وأيدتُ مواضع الجمال في هذا البحث في إسلامنا الجميل بالقرآن والسنة، أما في تخريج الأحاديث، ولستُ متخصصًا في هذا العلم الكبير، واستعنتُ بموقع الدرر السنية في تخريج الأحاديث من الشبكة العنكبوتية https://www.dorar.net/hadith/search.

واجتهدتُ في اختصار الكتابة والشرح، والاعتماد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ تجنبًا للإطالة، إلا ما احتاج للشرح والبيان.

واجتهدتُ في عدم الدخول في تفاصيل الأحكام الفقهية واختلاف العلماء، إلا لضرورة؛ تجنبًا لعدم التصادم مع أحد، لأني أردتُ أن أبين وأوضح موطن ومواقع الجمال في إسلامنا الجميل .

والله الموفق والهادي إلى السبيل..

المؤلف/ سامي سعيد إسماعيل

إسلامنا الجميل والأسرة

إسلامنا الجميل اهتم بالأسرة ووضع أسس بنائها ورعايتها، بحيث تصبح بناءً قويًّا متينًا يقوى على مواجة المصاعب والشدائد والمشاق في الحياة، حتى تصل دائمًا إلى بر السلامة والنجاة في الدنيا والآخرة.

فالأسرة إن صلحت صلح سائر المجتمع، وإن فسدت فسد سائر المجتمع، فهي قلب المجتمع ولبه، بها تصلح المجتمعات وتنهض الأمم وتدوم الحضارات.

وعناصر الأسرة تبدأ بالزوج والزوجة ثم الأبناء والأحفاد، وقد اهتم إسلامنا الجميل بهذين العنصرين الأب والأم أشد الاهتمام، وسعى إلى تنشئتهما تنشئة سليمة إيمانيًّا وجسمانيًّا، وحماهما مما يعصف بهما من مشاكل ومخاطر الحياة، ومع قدرة الإنسان على الاختيار سواء للحق أو للباطل، إلا أن الله سبحانه وتعالى جعل له عقلًا يميز به ما بين الحق والباطل، قال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

وسخر الله للإنسان ما في الكون ليكون في خدمته، قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

كل ذلك ليكون الإنسان وذريته خلفاء الأرض، ويقيموا شرع الله فيه، ويعمروه بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، ويحققوا العبودية الخالصة لله رب العالمين، يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

لذا شرع الله لهذه اللبنة الأولى في الأسرة مبادئ وقيمًا ليسهل معها الحياة، وتكون أسرة سعيدة في الدنيا، ومجتمعة في جنة الآخرة.

الأسرة والزواج

وتبدأ أولى لبنات الأسرة بالزواج بين الرجل والمرأة، والأسرة في إسلامنا الجميل تتكون في البداية من زوج وزوجة، ولا تكون الأسرة إلا من هذين العنصرين، ولا يسمح إسلامنا الجميل بالأحوال الشاذة للبشر، ورضاهم وموافقتهم باسم الحرية؛ بأن تكون أسرة من رجل ورجل أو أنثى وأنثى، أو يتم تبادل الأزواج والزوجات برضى الطرفين، كل ذلك ليس من إسلامنا الجميل لأنه ليس من الفطرة السوية للبشر الأسوياء، ولكنه من الشذوذ المتطرف، وهو من البعد عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، يقول تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وبالزواج تستقر الأحوال، وتهدأ النفوس وتسعد الأرواح، ويستقر المجتمع وينهض، وتكاد تنتهي منه الأمراض الاجتماعية التي تعوقه عن التقدم والنجاح.

وبيّن الله في إسلامنا الجميل كيف أن الزواج آية عظيمة من آيات الله التي لا تعد ولا تحصى، كيف لا وهو سبحانه الخالق البارئ القادر على أن يجمع بالود والمحبة والرحمة بين قلبين مختلفين، ليسكن كل منهما إلى

[1] سورة الإنسان الآية 3.
[2] سورة الجاثية الآية 13.
[3] سورة الذاريات الآية 56.
[4] سورة الروم الآية 30.

الآخر، وتكون من بركة هذا الجمع الطيب المبارك ذرية طيبة مباركة، يقول ربنا الحكيم: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[1].

كما تبوأ الزواج في إسلامنا الجميل منزلة كبرى فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

والأحاديث الواردة في حث الرسول ﷺ على الزواج وعدم التبتل كثيرة ومروية عن كثير من الصحابة مثل: عبد الله بن عمر، ومعقل بن يسارن وسعيد بن أبي هلال، وأنس بن مالك، وأبو أمامة الباهلي، وسهل بن حنيف.

منها قول الحبيب ﷺ: «تزوَّجوا الوَدودَ الولودَ فإنِّي مُكاثرٌ بِكُمُ الأُممَ»[3].

وهذا الحديث الجميل مروي عن أكثر من صحابي وهم معقل بن يسار وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يأمُرُ بالباءةِ وينهي عن التَّبتُّلِ نهيًا شديدًا ويقولُ: تزوَّجوا الوَدودَ الوَلودَ فإنِّي مُكاثرٌ الأنبياءَ يومَ القيامةِ»[4].

ويأمرنا حبيبنا ﷺ بالزواج ويحث عليه، فيقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كنَّا مع النبيِّ ﷺ فقالَ: مَنْ استَطاعَ الباءَةَ فلْيَتَزوَّجْ، فإنَّهُ أَغَضُّ للبصرِ وأحْصَنُ للفَرْجِ، وَمَنْ لمْ يسْتَطِعْ فعليهِ بالصومِ، فإنَّهُ لهُ وِجَاءٌ»[5] .

ويقول الحبيب ﷺ: «النكاحُ سُنَّتِي، فمن لم يعمَلْ بسنَّتِي فليس منِّي، وتَزَوَّجوا فإنِّي مكاثِرٌ بكمُ الأمَمَ يومَ القيامَةِ، ومَنْ كان ذا طَوْلٍ فلْيَنكِحْ، ومَنْ لم يَجِدْ فعلَيْهِ بالصيامِ، فإنَّ الصومَ لَهُ وِجاءٌ»[6].

الخِطبة

إن إسلامنا الجميل يريد أن تُبنى بيوتنا على الحب والأفة، وأن تُبنى أسرنا على بنيان قوي متين، ولذا أمرنا بكل جميل، ومنها الخطبة التي يُسمح فيها للمخطوبين بالرؤية الشرعية التي تفتح لهما مجالًا للتعرف؛ مما يؤلف به قلبيهما وينشأ الحب بين المخطوبين، وذلك لأن الزواج تطول به العشرة وتستمر، وقد ينشأ منه

---

[1] سورة النحل الآية 72.

[2] سورة الروم الآية 21.

[3] عن معقل بن يسار وقال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم2050، وقال حسن صحيح في صحيح النسائي برقم3227، وقال الألباني في رواية عبد الله بن عمر إسناده جيد في السلسلة الصحيحة برقم5/498، وعن عمر بن الخطاب قال الهيتمي المكي في الإفصاح عن أحاديث النكاح إسناده جيد برقم35، وعن أبي أمامة الباهلي قال شعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد صحيح برقم4/229، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم2941.

[4] عن أنس بن مالك، قال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان حديث صحيح لغيره برقم4028، وقال في تخريج المسند صحيح لغيره برقم13596، وقال الألباني في إرواء الغليل صحيح برقم1784.

[5] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم1905 ومسلم في صحيحه برقم1400.

[6] عن عائشة وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم6807، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم1508، وقال صحيح في السلسلة الصحيحة برقم2383.

أولاد، فكيف تبنى البيوت وتعمر إذا لم يوجد ما يؤلف بين هذه القلوب ويجمع بينهما، وأولها رؤية كل منهما للآخر.

فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «أتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فذَكرتُ لَهُ امرأةً أخطبُها، فقالَ: اذْهب فانظر إليْها فإنَّهُ أجدرُ أن يؤدمَ بينَكُما، فأتيتُ امرأةَ منَ الأنصارِ فخطبتُها إلى أبويْها، وأخبرتُهما بقولِ النَّبيِّ ﷺ فَكأنَّهما كرِها ذلِكَ، قالَ: فسمعت ذلِكَ المرأةُ وَهيَ في خدرِها، فقالت: إن كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أمرَكَ أن تنظرَ فانظُر، وإلَّا فأنشدُكَ كأنَّها أعظَمت ذلِكَ، قالَ: فنظرتُ إليْها فتَزوَّجتُها، فذَكرَ من موافقتِها»[1].

وحديث آخر جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: «أني تزوَّجتُ امرأةً من الأنصارِ، فقال له النبيُّ ﷺ: هل نظرتَ إليها؟ فإنَّ في عيونِ الأنصارِ شيئًا، قال: قد نظرتُ إليها»[2].

والمقصود من عيون الأنصار أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته؛ حتى يكون هناك ألفة بينهما تزرع بذور المحبة والمودة، وأن يأمن كل جانب من عيوب الآخر الخلقية الظاهرة.

واحترم إسلامنا الجميل حق المرأة في القبول والرفض للخاطب، كما ذكرنا في كتاب إسلامنا الجميل والمرأة، حتى إن الشرع جعل قبولها شرطًا أساسيًّا في صحة الزواج، وجعل زواجها بوليّ، عزًّا لها وقوة في صفها، يدعمها ويقف معها عند الشدائد، أو عند حدوث خلاف أو شقاق بين الزوجين، ويأخذ لها حقها إن جار عليها الزوج، وكذلك صونًا لها ولعرضها وشرفها، ولا تتهم في نسب أولادها، فقال ﷺ: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»[3].

ويدعونا إسلامنا الجميل أن نختار لبناتنا الأكفاء لهن وصاحب الخلق والدين فقال حبيبنا ﷺ: «إذا خطب إليكم من تَرْضَوْنَ دِينَه وخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إن لا تَفْعَلُوهُ تَكُن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ»[4].

وفي حديث آخر: «إذا أتاكُمْ مَنْ ترضونَ خُلُقَهُ ودينَهُ فزوِّجُوهُ، إنْ لا تفعلُوا تكُنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ»[5].

ويقول للرجل تخير من النساء من هي أفضل لتربية أولادك تربية صالحة فيقول حبيبنا ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[6].

---

[1] قال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1866، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم1087، قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح إن صح سماع بكر بن عبد الله المزني من المغيرة برقم 18137.

[2] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1424، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3246.

[3] عن عمران بن الحصين وعائشة، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7557، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم4075، وقال الشوكاني في نيل الأوطار له متابعة برقم6/258، ورواه الحسن وسعيد بن المسيب، وقال فيها البيهقي في السنن الكبرى إسناده صحيح برقم7/126، ورواه الطبراني في الأوسط برقم9/117.

[4] عن أبي هريرة وقال الألباني حسن صحيح في صحيح الترمذي برقم 1084، وابن ماجه في سننه برقم1967 باختلاف يسير، وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح حسن لغيره برقم 3026.

[5] عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وأبي حاتم المزني، وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم270، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج زاد المعاد حسن غريب برقم5/145، كما رواه الترمذي برقم1085، وابن ماجه برقم1967.

[6] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5090، ومسلم في صحيحه برقم1466.

لكن هناك شرط جميل يحفظ البناء المجتمعي بين أفراده، ويمنع التباغض والشحناء، وهو شرط لا بد منه عند الخطوبة، وهو ألا تخطب على خطبة أخيك، بمعنى لو أن هناك فتاة تقدّم لخطبتها رجل قبلك، فلا تتقدم أنت لخطبتها قبل أن يتم الانتهاء من هذه الخطبة، ولا تقبل الفتاة بتعدد الخطاب في وقت واحد لمنع الشحناء والبغضاء في نفوس الشباب أوالرجال الخاطبين لها.

لذلك نهى حبيبنا ﷺ: «أن يَبيعَ بَعضُكم على بيْعِ بَعضٍ، ولا يَخطُبِ الرَّجلُ على خِطبَةِ أخيه، حتَّى يَترُكَ الخاطِبُ قَبلَه أو يَأذَن له الخاطِبُ[1]».

ما أجمل إسلامنا في تحقيق الحياة الجميلة الخالية من التباغض والتحاسد والتقاتل.

التعدد في الزوجات

وقضية التعدد يثار فيها اللغط باستمرار وبخاصة في هذا العصر، ويحاول المغرضون الطعن في الإسلام وهديه وشرعه، وهو شرعة الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان وهداه، ويعلم سبحانه ما يصلح له وللبشرية كلها (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[2].

فقد كان التعدد مشروعًا في المجتمعات البشرية قبل الإسلام، ومستمرًّا حتى الآن في كثير من المجتمعات المختلفة حول العالم، وقد كان مشروعًا ومباحًا في الرسالات السابقة، فقد قال حبيبنا ﷺ: «قال سليمانُ: لأطوفَنَّ الليلةَ على تسعين امرأةً، كلهنَّ تأتي بفارسٍ يُجاهدُ في سبيلِ اللهِ، فقال له صاحبه: إن شاء اللهُ، فلم يقل إن شاء اللهُ، فطاف عليهنَّ جميعًا فلم تحمِلْ منهنَّ إلا امرأةً واحدةً، جاءت بشِقِّ رجلٍ، وأيْمُ الذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لو قال: إن شاء اللهُ، لجاهَدُوا في سبيلِ اللهِ فرسانًا أجمعونَ»[3].

ففي الشريعة اليهودية لا يوجد نص تحرم تعدد الزوجات، بل في العهد القديم (الكتاب المقدس) نصوص تبيح تعدد الزوجات ما دام الزوج قادرًا على النفقة والقدرة.

«أَمَّا إِذَا أَعْجَبَتْهُ وَتَزَوَّجَهَا، ثُمَّ عَادَ فَتَزَوَّجَ مِنْ أُخْرَى، فَإِنَّهُ لاَ يُنَقِّصُ شيئًا مِنْ طَعَامِهَا وَكُسْوَتِهَا وَمُعَاشَرَتِهَا» الخروج 21 - السفر 10.

ولا توجد في المسيحية نص صريح يحرم التعدد، بل في بداية العصر الحديث في عام 1750م حرمت قوانين الكنيسة التعدد معتمدة على استحسان لبولس بالاكتفاء بواحدة، إلا في التشريع البروتستانتي يسمح بالتعدد، وقد دعا مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي لذلك اعتمادًا على عدم نص بتحريم التعدد، وهناك طوائف تعيش في أمريكيا تسمح بالتعدد ومنها طائفة المورمون، وقد سمحت طائفتا الربانيون والقراؤون اليهوديتان بالتعدد، وحدد الربانيون حتى أربع، وأطلقته طائفة القرائين.

والكتاب المقدس يتحدث عن تعدد الأزواج صراحةً فيقول: «إِنْ كَانَ رَجُلٌ مُتَزَوِّجًا مِنِ امْرَأَتَيْنِ، يُؤْثِرُ إِحْدَاهُمَا وَيَنْفُرُ مِنَ الأُخْرَى، فَوَلَدَتْ كِلْتَاهُمَا لَهُ أَبْنَاءً...» (التثنية 21 - السفر 15).

---

[1] عن ابن عمر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5142، ومسلم في صحيحه برقم 1412.

[2] سورة الملك الآية 14.

[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6639، ومسلم في صحيحه برقم1654.

وفي التاريخ اليهودى أن الأنبياء عليهم السلام كانت لهم زوجات متعددة، فقد كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام زوجتان هما سارة وهاجر، ولما توفيت سارة قالوا إنه عليه السلام تزوج باثنتين من العرب وهما قطورة وحجور وأنجبتا له أولادًا، وتذكر كتبهم أن سيدنا يعقوب عليه السلام جمع أربع زوجات منهن أختان، وقد حرمت اليهودية بعد ذلك الجمع بين الأخوات، وكان لسيدنا داود عليه السلام زوجات غير السريات، وكان لابنه سيدنا سليمان عليه السلام 1000 أمرأة ما بين زوجة وسرية.

ففي سفر الملوك الأول حديث عن سليمان عليه السلام وزوجاته:

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثّيات: من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه». (الملوك الأول 11: 1-3)

في سفر صموئيل الثاني الإصحاح الخامس يتحدث عن داود عليه السلام وزواجه المتعدد: «وَأخذ دَاوُدُ أيضًا سَرَارِيَ وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ، فَوُلِدَ أيضًا لِدَاوُدَ بَنُونَ وَبَنَاتٌ». (صموئيل2 – 13:5)

وفي سفر تكوين ما جاء عن يعقوب عليه السلام وزوجاته ليئة وراحيل وبلهة الجارية وزلفة الجارية:

29:23 وكان في المساء أنه أخذ ليئة ابنته وأتى بها إليه فدخل عليها.

29:30 فدخل على راحيل أيضًا وأحب أيضًا راحيل أكثر من ليئة وعاد فخدم عنده سبع سنين أخر.

30:4 فأعطته بلهة جاريتها زوجة فدخل عليها يعقوب.

30:9 ولما رأت ليئة أنها توقفت عن الولادة أخذت زلفة جاريتها وأعطتها ليعقوب زوجة.

وفي سفر أخبار الأيام الثاني تزوج رحبعام النبي عليه السلام 78 امرأة:

11: 21 وَأحب رَحُبْعَامُ مَعْكَةَ بِنْتَ أَبْشَالُومَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ نِسَائِهِ وَسَرَارِيهِ لأنه اتَّخَذَ ثَمَانِيَ عَشَرَةَ امْرَأَةً وَسِتِّينَ سُرِّيَّةً وَوَلَدَ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ ابْنًا وَسِتِّينَ ابْنَة.

وكان العرب قبل الإسلام شائعًا فيهم التعدد بلا عدد محدد، وكان كثير من الصحابة معه أكثر من زوجة.

فلما جاء إسلامنا الجميل حدد هذا التعدد بأربعة فقط، ونسخ ما جاء من كثرة التعدد في الأمم والشرائع السابقة فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[1].

[1] سورة النساء الآية 3.

والجميل في هذه الآية المعجزة أنها لم تحدد التعدد بأربعة مباشرة، بل بيّن الله سبحانه وتعالى هذا التدرج من مثنى إلى ثلاث ثم رباع؛ ليقول لنا تدرج في الزواج من واحدة إلى اثنتين إلى ثلاثة ولا تزيد على أربعة، وهذه حكمة بالغة في التدرج في الزواج فقد تكفي واحدة فإن لم تستقر الأسرة فلا مانع من التعدد حتى أربع.

وقد قال بعض العلماء أن هذه الآية الكريمة تحث على التعدد وهو الأصل، فقد بدأ الله سبحانه بمثنى.

وروى الحارث بن قيس رضي الله عنه قال: «أسلَمتُ وعندي ثمانِ نسوةٍ، فذَكرتُ ذلِكَ للنَّبيِّ ﷺ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: اختَر منْهنَّ أربعًا»[1].

وروى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أنَّ غيلانَ بنَ سلمةَ الثَّقفي أسلمَ ولَهُ عشرُ نسوةٍ في الجاهليَّةِ، فأسلمنَ معَهُ، فأمرَهُ النَّبيُّ ﷺ أن يتخيَّرَ منْهنَّ أربعًا»[2].

واقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى التعدد، ولكن حذرنا الله سبحانه وتعالى من الظلم وعدم العدل والمساواة بينهن، فقد اشترط العلماء في التعدد العدل في النفقة والمأكل والمشرب والملبس والمبيت، فإذا لم يقدر على ذلك فالإكفاء بواحدة أفضل له في دينه ودنياه.

قال الحبيب ﷺ: «مَنْ كانَتْ لَهُ امْرأَتَانِ يَمِيلُ لإحداهُما عَلَى الأُخْرَى جاءَ يومَ القيامَةِ يَجُرُّ أحدَ شِقَّيْهِ ساقِطًا أَوْ مائِلًا»[3].

فما بالكم بأربع مجتمعات، فيصبح العدل بينهن صعبًا وغاية لا تنال، فيظلم نفسه ويظلمهن معه.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[4].

والتعدد له أسباب كثيرة لصالح الأسرة والمجتمع، ففي حالات الحروب يكثر قتل الرجال، ومن ثم تكثر النساء بنسب كبيرة، فلا حل إلا بالتعدد وإلا تفسخ المجتمع وانتشرت الرذيلة والزنا، وبالتعدد يعود المجتمع مرة أخرى للإعمار والبناء والتقدم بالزواج الحلال، والذرية الصالحة التي جاءت بالشرع والزواج، ومنها عدم قدرة الزوجة بالقيام بواجبات الزوجية، فمن الأفضل لها وللأسرة والمجتمع أن يرعاها زوجها ويتزوج عليها أخرى تقوم بواجبات الزوجية، وقد تقوم بخدمة الزوجة الأولى ورعايتها، وهذا من جمال إسلامنا في حل مشكلات الأسر والمجتمع، أو عدم قدرة الزوجة للإنجاب فالأفضل لها وللمجتمع أن يتزوج عليها زوجها للإنجاب، وتظل هي في عصمته ورعايته وكفالته، ومن أسباب التعدد كفالة الأرامل والمطلقات وحمايتهن بالزواج منهن، حفاظًا عليهن وعلى أولادهن، كما كان التعدد في مصلحة المرأة؛ حيث أتاح لها عدم حرمانها من نعمة الزواج، ومن حكمة التعدد كذلك أن جعل الله للمرأة فترات تكون فيها غير جاهزة

---

[1] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2241، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم222، وقال حسن صحيح في صحيح ابن ماجه في برقم1952، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج سنن أبي داود حسن برقم2241.

[2] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1128، وقال شعيب الأناؤوط صحيح في تخريج المسند برقم5558.

[3] رواه أبو هريرة، قال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم7936 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3952، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1969.

[4] سورة النساء الآية 129.

لزوجها مثل فترات الحيض والولادة والنفاس، فأراحها خلال هذه الفترة، أو المرض المزمن أو العجز الدائم، ففي كل هذه الفترات تتيح لامرأة أخرى غيرها التمتع بزوجها بزواجها منه، مما يسمح باستقرار المجتمع وعدم انتشار الرذيلة، فالحمد لله على نعمة الزواج، ونعمة الإسلام الذي حرم الزنا والخنا والفاحشة والدعارة، وكل الأعراض والأمراض التي تسمح بتفسخ المجتمع وانحداره.

ولذا كان التعدد ليس لزيادة المتعة للرجل فقط، بل بزيادة الأعباء والمسئوليات على الزوج لرعايته لزوجاته، بل وزيادة المشاكل له أيضًا.

ومن أهم أسباب الزواج الثاني هو رعاية المطلقات وأولادهن والأرامل وأطفالهن، وهي حمل ثقيل على المرأة وكثير منهن لا يستطيعه، فتضطر المرأة إلى العمل والمشقة وتتعرض للإيذاء والتحرش من أجل لقمة العيش لها وكفالة أطفالها، فكان الحل الإسلامي الجميل في الزواج منهن، ورعايتها وكفالتها هي وأطفالها، ويتحمل الرجال مسئوليتهم في الحفاظ على سلامة المجتمع وأمنه.

فمن لهؤلاء الأيتام؟ هل نتركهم لأمهاتهم؟ وهن المحتاجات أيضًا للرعاية والحماية، إنه واجب الرجال ومسئولية المجتمع.

فقد قال الحبيب ﷺ: «السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ، أوِ القائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهارَ»[1].

وقال الحبيب ﷺ: «أنا وكافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وقالَ بإصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى»[2].

وقال أيضًا ﷺ: «كافِلُ اليَتِيمِ له، أوْ لِغَيْرِهِ أنا وهو كَهاتَيْنِ في الجَنَّةِ وأَشارَ مالِكٌ بالسَّبَّابَةِ والْوُسْطَى»[3].

وقال الحبيب ﷺ: «من عالَ ثلاثةً منَ الأيتامِ كانَ كَمن قامَ ليلَهُ وصامَ نَهارَهُ وغدا وراحَ شاهرًا سيفَهُ في سبيلِ اللَّهِ، وَكنتُ أنا وَهوَ في الجنَّةِ أخوَينِ كَهاتينِ أختانِ، وألصقَ إصبعيْهِ السَّبَّابةَ والوُسطى»[4].

ومثال ما قام به المجتمع الإسلامي من رعاية للنساء الأرامل وحمايتهن هن وأولادهن، فقد تزوجت الصحابية أسماء بنت عميس رضي الله عنها من ثلاثة أزواج، فقد تزوجت من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهاجرت معه إلى الحبشة وولدت له ثلاثة أبناء، ولما استشهد زوجها في غزوة مؤتة سنة 8 هجرية تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكفلها هي وأبناءها الثلاثة، وظلت معه حتى وفاته سنة 13 هجرية وقد أنجبت منه ابنه محمد، ثم تزوجها وكفلها هي وأولادها الأربعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنجبت منه اثنين وفي رواية ثلاثة أبناء، وظلت معه حتى استشهد سنة 40 هجرية، ولما تقدم لها صحابي آخر لخطبتها امتنعت حتى لا يموت عنها وتتحمل مرارة الموت والفراق للمرة الرابعة.

---

[1] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5353، ومسلم في صحيحه برقم2982.

[2] سهل بن سعد الساعدي، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6005، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1918.

[3] عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2938، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم4448.

[4] عن عبد الله بن عباس، وقال الألباني ضعيف في ضعيف ابن ماجه برقم740، وقال ضعيف في ضعيف الجامع برقم5693، ورواه الديلمي في الفردوس برقم5520 باختلاف يسير.

وكذلك زوجة الشهداء وهي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وأخت سعيد بن زيد زوج السيدة فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنهم أجمعين، فقد تزوجت عبد الله بن أبي بكر، واستشهد عنها، ثم تزوجها عمر بن الخطاب وولدت له ابنه عياض، واستشهد عنها، ثم تزوجها الزبير بن العوام واستشهد عنها، (ثم تزوجها الحسن بن علي واستشهد عنها – من كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، ولم تتزوج بعده حتى ماتت في سنة 40 من الهجرة، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد استشهاد الزبير بن العوام فأرسلت إليه قائلة: إني لأَضِنُّ بك يابن عم رسول الله ﷺ عن القتل، ولقد استشهد علي رضي الله عنه كذلك.

قال عنها عبد الله بن عمر: «من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة».

وهكذا كان المجتمع الإسلامي في عصر النبوة والصحابة والتابعين، كان هناك كثير من الزواج الثاني أو الآخر للكفالة وحفظ المجتمع من أن يكون فيه خلل أو فتنة.

فأكرم الإسلام المرأة بالسماح للرجال بالتعدد، وحفظ كرامتها ورفع شأنها ولم يتركها للزنا والمتعة الحرام وتحمل وزر الحمل السفاح وأولاد الزنا، بل وكثير منهن يقتلن أولادهن من الزنا منعا للفضيحة وتحمل المسئولية.

ذرية البنات

وبعد الزواج تأتي الذرية من بنات وبنين، ومن جمال إسلامنا لم يفرق بينهما، بل أعطى البنات اهتمامًا كبيرًا، والسبب هو نظرة المجتمعات المتخلفة الجاهلية بتفضيل البنين على البنات، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

كما أنقذها وحماها من الوأد والقتل، فيقول ربنا الرحيم: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[2].

ومنع إسلامنا الجميل هذه التفرقة السيئة بينهما، سواء كانت الأنثى الابنة أو الأخت.

فقال الحبيب ﷺ: «من كانت لهُ أختانِ فأَحْسَنَ صحبتهما ما صحبتَاهُ دخل بهما الجنةَ، وقال محمدُ بنُ عبيدٍ: تُدْرَكُ لهُ ابنتانِ فأَحْسَنَ إليهما ما صحبتَاهُ إلا أدخلَهُ اللهُ تعالى الجنةَ»[3].

وقال الحبيب ﷺ: «مَن عالَ جارِيَتَيْنِ حتَّى تَبْلُغا، جاءَ يَومَ القِيامَةِ أنا وهو وضَمَّ أصابِعَهُ»[4].

---

[1] سورة النحل الآية 58-59.

[2] سورة التكوير الآية 8،9.

[3] عن عبد الله بن عباس، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند حسن بشواهده برقم2104 واللفظ له، وقال في تخريج صحيح ابن حبان حسن بشواهده برقم2945، وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم2975.

[4] عن أنس بن مالك، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2631 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم686، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1914.

وحديث جميل ثالث: «من كان له أُختانِ أو ابنتانِ، فأحسنَ إليهما ما صحبتاهُ، كنتُ أنا وهو في الجنةِ كهاتينِ، وقرنَ بين أُصبعيهِ»[1].

وحديث جميل رابع: «مَن عالَ ابنَتَينِ أو ثلاثًا أو أُختَينِ أو ثلاثًا حتى يَبِنَّ أو يموتَ عنهُنَّ، كُنتُ أنا وهو في الجَنَّةِ كَهاتَينِ»[2].

وحديث جميل آخر خامس: «مَن كُنَّ له ثَلاثُ بناتٍ يُؤْوِيهِنَّ، ويَرحَمُهُنَّ، ويَكفُلُهُنَّ، وجبَتْ له الجنَّةُ البتَّةَ، قال: قيل: يا رسولَ اللهِ: فإنْ كانتِ اثنتَيْنِ؟ قال: وإنْ كانتِ اثنتَيْنِ، قال: فرَأي بعضُ القومِ أنْ لو قالوا له: واحدةً، لقال: واحدةً»[3].

وحديث آخر جميل سادس: «مَن كانت له ثلاثُ بناتٍ، أو ثلاثُ أَخَواتٍ، أو ابنتانِ، أو أُخْتانِ فأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، واتَّقَى اللهَ فيهِنَّ، فله الجنةُ»[4].

وآخر سابع جميل: «مَن كانَ لَهُ ثلاثُ بَناتٍ فصبرَ عليهنَّ، وأطعمَهُنَّ، وسقاهنَّ، وَكَساهنَّ مِن جِدَتِهِ كنَّ لَهُ حجابًا منَ النَّارِ يومَ القيامَةِ»[5].

وآخر مليح ثامن: «ما من مسلمٍ يكونُ له ثلاثُ بناتٍ فيُنفِقُ عليهنَّ حتَّى يبِنَّ أو يمُتْن كنَّ له حجابًا من النَّارِ فقالت له امرأةٌ أو بنتان قال وبنتان»[6].

وكانوا في الجاهلية يعدون من رزقه الله بنات عارًّا وابتلاءً، فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن حبيبها وحبيبنا ﷺ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ معهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِندِي شيئًا غيرَ تَمْرَةٍ، فأعْطَيْتُهَا إيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بيْنَ ابْنَتَيْهَا، ولَمْ تَأْكُلْ منها، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النبيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فأخْبَرْتُهُ فَقالَ: مَنِ ابْتُلِيَ مِن هذِه البَنَاتِ بشيءٍ كُنَّ له سِتْرًا مِنَ النَّارِ»[7].

وفي لفظ آخر جميل: «مَن ابتُلي بِشَيءٍ من البناتِ فصبرَ عليهِنَّ كنَّ له حجابًا من النَّارِ»[8].

البشارة بالذرية

---

[1] عن أنس بن مالك وقال الألباني صحيح بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة برقم1026.

[2] عن أنس بن مالك، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم447، وقال في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم12498، وقال الألباني صحيح على شرط الشيخين في السلسلة الصحيحة برقم296.

[3] عن جابر بن عبد الله، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم14247 واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد برقم78، وقال الألباني حسن في صحيح الأدب المفرد برقم58، وقال إسناده صحيح على شرط مسلم في السلسلة الصحيحة برقم1027.

[4] عن أبي سعيد الخدري وقال فيه الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم5808، وقال ضعيف في ضعيف الترمذي برقم1916، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده ضعيف لاضطرابه برقم1916.

[5] عن عقبة بن عامر وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه وقال صحيح برقم2974، وقال إسناده صحيح رجاله ثقات في السلسلة الصحيحة برقم294، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم6488، وقال صحيح في الأدب المفرد برقم56.

[6] عن عوف بن مالك الأشجعي وقال المنذري في الترغيب شواهده كثيرة برقم3/111، وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم1972، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم24007.

[7] الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم1418، ومسلم في صحيحه برقم2629.

[8] عن عائشة، قال فيها الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم 1913، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم5931، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم24055.

وإسلامنا الجميل يدعونا لحسن تربية أولادنا سواء كانوا بنين أو بنات، لأنهم بناة المستقبل وأمل الغد، فمنذ ولادة الطفل وإسلامنا الجميل يكفله ويرعاه.

فقبل ولادته يسميه الله بشارة تسر والديه عندما يتأكد حمل الزوجة، فيجعله الله بشرى سارة وفرحة لوالديه وهبة من الله وفضلًا.

فعندما دعا إبراهيم ربه عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يرزقه الذرية الصالحة، فبشره الله بنبي الله إسماعيل عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى لإبراهيم يبشره بإسحاق عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[2].

ويرسل الله وفدًا من الملائكة من فوق سبع سماوات لتبشر إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بابنه إسحاق عليه السلام، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[3].

بل بشرت الملائكة زوجته الصابرة سارة رضي الله عنها، فقال سبحانه: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ (72) قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ (73) قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾[4].

وفي آية أخرى يبشر بها إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وسارة المحتسبة الصابرة رضي الله عنها فقال سبحانه: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[5].

ولما دعا زكريا عليه السلام ربه بالذرية الصالحة فبشره الله بوفد من الملائكة بالنبي يحيى عليه السلام فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[6].

ويقول ربنا مبشرًا نبيه زكريا عليه السلام: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[7].

---

[1] سورة الصافات الآية 100 -101.
[2] سورة الصافات الآية 112.
[3] سورة الحجر الآية 51 – 54.
[4] سورة هود الآية 72 – 73.
[5] سورة الذاريات الآية 28- 30
[6] سورة آل عمران الآية 39.
[7] سورة مريم الآية 7.

وأرسل الله الملائكة الكرام لمريم العذراء رضي الله عنها؛ ليبشرها بمجيء نبي الله عيسى عليه السلام معجزة الله للعالمين، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1].

استعذ بالله

وإسلامنا الجميل يأمرنا دائمًا بذكر الله دائمًا وفي كل الأحوال، ويأمرنا بالتحصن والاستعاذة بالله دائمًا من الشيطان وشَرَكه.

فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ويقول سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾[3].

وكان الحبيب ﷺ يستعيذ بالله دائمًا من الشيطان ويقول: «أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيمِ من هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»[4].

وأحاديث الاستعاذة كثيرة ورويت من أكثر من صحابي هم: أبو سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وجبير بن مطعم رضي الله عنهم أجمعين.

ويستعيذ الزوج بالله من الشياطين، وبخاصة قبل أن يأتي أحدنا أهله بالاستعاذة بالله من الشيطان والبسملة، وذلك لحفظ نسلنا وفلذات أكبائنا من الشياطين، وجعلهم في أمان الله وحفظه، وذلك باتباع هدي نبينا الحبيب ﷺ؛ حيث قال: «لو أن أحدَكم إذا أتى أهلَه قال: بسمِ الله، اللهم جَنِّبْنا الشيطانَ، وجَنِّبِ الشيطانَ ما رزقْتَنا، فقُضِيَ بينهما ولدٌ لم يَضُرُّه»[5].

ويدعونا إلى استعاذة أولادنا باستمرار بكلام الله ليحفظهم من نفث الجن وحسد الإنس، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[6].

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «كانَ النبيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ، ويقولُ: إنَّ أَبَاكُما كانَ يُعَوِّذُ بهَا إسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ: أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِن كُلِّ شيطَانٍ وهَامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»[7].

احمد الله

---

[1] سورة آل عمران الآية 45.
[2] سورة الأعراف الآية 200.
[3] سورة المؤمنون الآية 97- 98.
[4] عن أبي سعيد الخدري، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم775، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم242، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج زاد المعاد إسناده حسن برقم1/197.
[5] عن عبد الله بن عباس والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم141، ومسلم في صحيحه برقم1434.
[6] سورة آل عمران الآية 36.
[7] أخرجه البخاري في صحيحه برقم3371، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط البخاري برقم2112، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4737.

ومن جمال إسلامنا عندما يبشرنا ربنا الخالق أن نحمده سبحانه على منته ومنحته، فنقول الحمد لله، فقد قال كثير بن عبيد رضي الله عنه: «كانت عائشةُ رضي اللهُ عنها إذا وُلِدَ فيهم مولودٌ)يعني من أهلِها) لا تسأل: غلامًا ولا جاريةً، تقول: خُلِقَ سويًّا؟ فإذا قيل:نعم، قالت:الحمدُ لله ربِّ العالمينَ»[1].

اختر أحب الأسماء

ويحثنا إسلامنا الجميل على حسن اختيار اسم المولود، لذا ينبغي لك أن تختار لولدك اسمًا جميلًا يعتز به بين الناس، لا يتوارى وينكسر كلما نطق أحدٌ اسمه.

ويدلنا إسلامنا الجميل إلى أحب الأسماء إلى الله سبحانه وتعالى، فقد قال حبيبنا ﷺ: «وأحب الأسماءِ إلى اللهِ عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمنِ، وأصدُقُها حارثٌ، وهَمَّامٌ، وأقبَحُها حَرْبٌ، ومُرَّةُ»[2].

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن الحبيب ﷺ أنه قال: «أحب الأسماءِ إلى اللَّهِ عبدُ اللَّهِ وعبدُ الرَّحمنِ»[3].

وليس معنى ذلك أن نتقيد بهذه الأسماء فقط، بل في الأمر متسع، فيسمي الأب ما يشاء من الأسماء الجميلة ويبتعد عن الأسماء القبيحة.

وكان رسول الله ﷺ يسمي الأسماء الحسنة، وقد يغير أسماء المواليد إذا رأى أن الاسم لا يليق بالمولود، فقد رُوي أن عليًّا رضي الله عنه قال: «لمَّا ولدَ الحسَنُ جاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقالَ: أروني ابني ما سمَّيتُموهُ؟، قُلتُ: سمَّيتُهُ حربًا قال: بل هوَ حَسنٌ، فلمَّا ولدَ الحُسَيْنُ، قالَ: أروني ابني، ما سمَّيتُموهُ؟، قلتُ: سمَّيتُهُ حربًا، قالَ: بل هوَ حُسَيْنٌ، فلمَّا ولدتُ الثَّالثَ جاءَ النَّبيُّ ﷺ، فقالَ: أروني، ابني ما سمَّيتُموهُ؟، قلتُ: حربًا، قالَ: بل هوَ مُحسِّنٌ، ثمَّ قالَ: سمَّيتُهُم بأسماءِ ولدِ هارونَ، شبَرُ، وشبيرُ، ومشبِّرُ»[4].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «وُلِد لرجلٍ منا غُلامٌ فسمَّاه القاسمَ، فقالوا: لا نكنيك بأبي القاسمِ ولا نُنْعِمُك عَينًا، فأتى النبيَّ ﷺ فذكَر ذلك له، فقال: اسمِ ابنَك عبدَ الرحمنِ»[5].

وقال خيثمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه: «إنَّ أباه عبدَ الرَّحمنِ ذهَب مع جَدِّه إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال النَّبيُّ ﷺ: ما اسمُ ابنِك، فقال: عَزيز، فقال النَّبيُّ ﷺ: لا تُسمِّه عَزيزًا ولكن سمِّه عبدَ الرَّحمنِ، ثُمَّ قال: إنَّ خيرَ الأسماءِ عبدُ اللهِ وعبدُ الرَّحمنِ والحارثُ. وفي روايةٍ عن خَيْثمةَ قال: وُلِد لجَدِّي غلامٌ فسمَّاه عَزيزًا، فأتى

[1] قال الألباني في صحيح الأدب المفرد حسن الإسناد موقوفا برقم 951.
[2] عن أبي وهب الجشمى وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4950، وقال في صحيح الترغيب حسن لغيره برقم1977، وقال صحيح في الأدب المفرد صحيح دون جملة الأنبياء برقم625.
[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2132، قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم 4949 واللفظ له، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم 2833، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم 3019.
[4] قال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند رجاله ثقات برقم953، وقال في صحيح ابن حبان إسناده حسن برقم6958، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجالهما رجال الصحيح غير هانئ بن هانئ وهو ثقة برقم8/55.
[5] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6189، ومسلم في صحيحه برقم2133.

النَّبيَّ ﷺ فقال: وُلِد لي غلامٌ، فقال: ما سمَّيْتَه؟ قال: قُلْتُ: عَزيزًا، قال: بل هو عبدُ الرَّحمنِ. وفي روايةٍ عن خَيْثمةَ عن أبيه قال: كان اسمُ أبي في الجاهليَّةِ عَزيزًا، فسمَّاه رسولُ اللهِ ﷺ عبدَ الرَّحمنِ»[1].

ومن السنة عند ولادة المولود أن يحنكه أبوه أو أحد الصالحين بشيء حلو كالتمر أو العسل، ويسميه بأحب الأسماء، كما فعل النبي ﷺ مع ابن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: «وُلِدَ لي غُلامٌ، فأَتَيتُ به النبيَّ ﷺ فسمَّاه إبراهيمَ، فحنَّكَه بتمرةٍ، ودعا له بالبَركةِ، ودفَعه إليَّ، وكان أكبرَ وَلَدِ أبي موسى»[2].

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُؤتَى بالصِّبيانِ فيَدعو لَهُم بالبرَكَةِ ويحنِّكُهم»[3].

أسمعه اسم الله

وإسلامنا الجميل يدلنا على كل جميل، فإذا رزقك الله بالمولود فابدأ بحمد لله على منته، ثم أذن في أذنه كما فعل رسولنا الحبيب مع الحسن رضي الله عنه وعن والديه، فقد روى أسلم القبطي أبو رافع رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: «رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أذَّنَ في أُذُنِ الحسنِ بنِ عليٍّ، - حينَ ولدتهُ فاطمةُ – بالصَّلاةِ»[4].

ليكون أول ما يسمع المولود اسم الله سبحانه وتعالى، فكما يلقن اسم الله عند مولده يلقن اسم الله عند وفاته، فقد قال ﷺ: «مَن كان آخِرُ كلامِهِ لا إلهَ إلَّا اللهُ دخَلَ الجَنَّةَ»[5].

وأن يعيذه بالله من الشيطان الرجيم كما فعلت امرأة عمران عند ولادة ابنتها مريم رضي الله عنهما، فقالت: «إني أُعيذها بك وذُرِّيّتها من الشّيطان الرّجيم»[6].

اذبح واحلق له وتصدق وأطعم وأدخل السرورعلى من حولك

من السنن الجميلة في إسلامنا الجميل أن يدخل السرور والفرحة على أهل المولود، ويشاركهم الفرحة فقراء المسلمين، وذلك بأن يذبح أهل المولود شاة واحدة لمولودة أو شاتين للمولود، ويتصدقوا بجزء منه للفقراء، كما يهدون منها للأقارب والجيران، فيشارك فرحتهم كل المجتمع الإسلامي.

وإسلامنا الجميل يدخل البهجة والسرور على أهل الطفل الجديد، بحمد الله على هبته ومنته، ومن السنن الجميلة عند بلوغ المولود سبعة أيام، أن يحلق شعره ويتصدق بوزنه فضة وينفقها على الفقراء والمساكين، فتبث هذه المنحة الإلهية والهبة الربانية الفرحة والبهجة في كل المحيطين بالطفل من أهله وأقاربه وجيرانه، فتعم الفرحة المجتمع كله، ويتكاتف المجتمع الإسلامي، وتتآلف قلوب أفراده، ويشاركون فرحتهم.

---

[1] قال الألباني في السلسلة الصحيحة ظاهره الإرسال وقد وصله أحمد برقم2/573، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [روي] بأسانيد رجالها رجال الصحيح ولكن ظاهر الروايتين الأوليين الإرسال برقم8/52.

[2] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5467، ومسلم في صحيحه برقم2145.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2147، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5106.

[4] رواه أبو داود والترمذي وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم5105 وضعيف الترمذي برقم1514، وقال في تخريج مشكاة المصابيح فيه نظر وملت إلى تحسينه برقم4085، ورواه أحمد في مسنده برقم6/391.

[5] عن معاذ بن جبل وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3116، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم22127.

[6] سورة آل عمران الآية 36.

فقد قال الحبيب ﷺ: «كلُّ غلامٍ رَهينةٌ بعقيقتِهِ تُذبَحُ عنهُ يومَ سابعِهِ ويُحلَقُ ويُسَمَّى»[1].

وقال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: «عَقَّ رَسولُ اللهِ ﷺ عنِ الحَسنِ بِشاةٍ، وقالَ: يا فاطِمةَ احْلِقِي رأسَه وتَصَدَّقِي بِزَنَةِ شَعرِه فِضَّة. فوَزَنَتْهُ، فكانَ وزْنُهُ دِرْهَمًا، أو بَعضَ دِرْهَمٍ»[2].

العقيقة عن المولود

هناك مناسبات جميلة في إسلامنا الجميل تجمع المسلمين وتدخل البهجة والفرحة على نفوسهم، ومنها العقيقة التي يذبح فيها أهل المولود شاة عن الأنثى أو شاتين عن الذكر، والغرض الأساسي منها هو تشارك المجتمع في هذه المناسبة وإطعام الفقراء والمساكين اللحم الذي قد لا يجدونه ولا يقدرون على شرائه، فتأتي المناسبات الجميلة في إسلامنا الجميل وتزيل من قلوبهم الحقد والحسد، وتملأها حبًّا وتآلفًا، ويتماسك المجتمع كله.

«سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عنِ العَقيقةِ؟ فقالَ: إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ العُقوقَ وَكَأنَّهُ كرِهَ الاسمَ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ إنَّما نَسألُكَ عن أحدِنا يولَدُ لَهُ؟ قال: مَن أحب منكُم أن يَنسُكَ عن ولدِهِ فليفعَلْ، عنِ الغُلامِ شاتانِ مُكافَأتانِ، وعَنِ الجاريةِ شاةٌ»[3].

وكما روت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرَهُم عن الغُلامِ شاتانِ مُكافِئَتانِ، وعنِ الجَّاريةِ شاةٌ [يعني في العقيقةِ]»[4].

ويأكدها حديث أم كرز الخزاعية الكعبية رضي الله عنها عندما سألت الحبيب ﷺ عن العقيقة فقال: «عنِ الغلامِ شاتانِ مُكافئتانِ، وعنِ الجاريةِ شاةٌ»[5].

وكما فعل رسول الله ﷺ مع سبطيه الحسن والحسين فقد «عقَّ رسولُ اللهِ ﷺ عن حسَنٍ وحُسينٍ يومَ السَّابعِ وسمَّاهما، وأمَر أنْ يُماطَ عن رأسِه الأذى»[6].

وقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «عقَّ رسولُ اللهِ ﷺ عن الحسنِ والحُسينِ، رضيَ اللهُ عنهما بكبشَينِ، كبشَين»[7].

وروى بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه: «أن رسولَ اللهِ ﷺ عقَّ عن الحسنِ والحسينِ».[1]

---

[1] عن سمرة بن جندب وقال الألباني في صحيح أبي داود صحيح برقم2838، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم4231، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2580، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم4541.

[2] عن علي بن أبي طالب وقال الألباني في صحيح الترمذي حسن برقم1519، وقال في صحيح الجامع صحيح برقم7960، كما رواه البيهقي في السنن الكبرى وقال منقطع برقم9/304.

[3] رواه جد عمرو بن شعيب وقال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم2842،وقال حسن في السلسلة الصحيحة برقم4/213، ورواه النسائي مختصرا برقم4212، وأحمد مطولا برقم6713.

[4] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1513، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم24028.

[5] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2834، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم4227، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2577، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم24028.

[6] عن عائشة رضي الله عنها ورواه ابن حبان في صحيحه برقم5311، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج مشكل الآثار صحيح برقم1051، وقال الألباني في إرواء الغليل لولا عنعنة ابن جريج لقلت بصحته لمتابعته، وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري إسناده صحيح برقم9/502.

[7] قال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4230.

ويقول رسولنا حبيب ﷺ: «معَ الغُلامِ عقيقةٌ فأَهريقوا عنهُ دَمًا وأميطوا عنهُ الأذَى»[2].

حتى إن النبي ﷺ عق عن نفسه، فقد روى أنس رضي الله عنه قال: «عقَّ عن نفسه بعدما بُعِث نبيًّا»[3].

وقال ﷺ لفاطمةَ لما ولدت الحسن: «احلقي رأسَه وتصدَّقي بوزنِ شعرهِ فضةً على المساكينِ»[4].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «عقَّ رسولُ اللهِ ﷺ عن الحسنِ بشاةٍ، وقال: يا فاطمةُ! احلقي رأسَه وتصدَّقي بزنةِ شعرِه فضةً، فوزنَّاه فكان وزنُه درهمًا وبعضَ درهمٍ»[5].

ختان المولود

إسلامنا الجميل يدعونا إلى كل جميل وصحي ومفيد لأولادنا وفلذات أكبادنا، ومنها الختان، فقد ثبت من دراسات علمية أكيدة ومتعددة أن الختان مفيد وصحي للرجال ويحميهم من أمراض كثيرة، لأنه من سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فقد قال رسول الله ﷺ: «الفطرةُ خمسٌ، أو خمسٌ من الفطرةِ: الختانُ، والاستحدادُ، ونتفُ الإبطِ، وتقليمُ الأظفارِ، وقصُّ الشاربِ»[6].

وختن رسول الله الحسن والحسين، فقد روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ختن الحسنَ والحسينَ يومَ السابعِ من ولادتِهما»[7].

ورواية جابر بن عبد الله قال فيها: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ عَقَّ عنِ الحسنِ والحسينِ وخَتَنَهُمَا لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ»[8].

والختان في حق الرجال واجب كما قال جمهور العلماء ولكن اختلفوا في حق النساء، ولهم حديث رسول الله ﷺ: «أن امرأةً كانت تَخْتِنُ بالمدينةِ فقال لها النبيُّ ﷺ: لا تُنْهِكي فإن ذلك أحظَى للمرأةِ وأحب إلى البعلِ[9]».

ومعظم أحاديث الختان ضعيفة في حق النساء، ولذا فالختان للمرأة قد يكون لازمًا إذا زاد عن حده الطبيعي فيجب التدخل الجراحي؛ لتصحيح هذا التشوه الذي قد يؤذي المرأة، وأما إذا كان طبيعيًّا فلا داعي

---

[1] وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4224، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم23991.

[2] عن سلمان بن عامر الضبى وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1515، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم4225، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2579.

[3] قال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده حسن برقم2726، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده ضعيف برقم1053، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح خلا الهيثم بن جميل وهو ثقة وشيخ الطبراني أحمد بن مسعود الخياط المقدسي ليس هو في الميزان.

[4] عن أسلم القبطى أبو رافع ورواه الألباني في إرواء الغليل وقال حسن برقم1175، ونحوه عن على بن أبي طالب وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح له شاهد بإسناد حسن برقم4082، ونحوه قال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم27183.

[5] رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم9/304، ورواه الترمذي في سننه برقم1519، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف برقم24716.

[6] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5889، ومسلم في صحيحه برقم257.

[7] رواه ابن الملقن في البدر المنير وقال صحيح برقم8/751، وقال

[8] قال فيها الهيثمي في مجمع الزوائد فيه محمد بن أبي السري وثقه ابن حبان وغيره وفيه لين برقم4/62، وقال بن عدى في الكامل للضعفاء فيه بعض النكارة فيه زهير بن محمد أرجو أنه لا بأس به برقم4/180، وضعفه الألباني في إرواء الغليل برقم4/383.

[9] عن أم عطية نسيبة الأنصارية وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5271، وقال في تخريج مشكاة المصابيح يرتقي إلى درجة الحسن لشواهده وطرقه برقم4390.

للختان، وهو ما يفهم من حديث رسول الله فقد أمر الخاتنة ألا تنهك فيؤذي الفتاة في حياتها، ويسبب لها ذلك برودًا جنسيًّا، مما قد يؤدي إلى مشاكل كبيرة في حياتها الزوجية، قد تنتهي بالطلاق، وإسلامنا الجميل يريد أن تحيى الفتيات حياة سعيدة، ويريد للأسر أن تحظى بالاستقرار والسعادة.

الزوج والزوجة

إسلامنا الجميل اهتم ببناء المجتمع المسلم واهتم بلبنات وأساسات هذا المجتمع وهما الزوج والزوجة، وبيّن في سنن النبي ﷺ أسس هذا البناء، وأهم أسس هذا البناء المتين الزواج، جعله إسلامنا الجميل أول أساسات الأسرة المسلمة والمجتمع الصحيح، فبالزواج يجمع الله بين الرجل والمرأة على أساس سليم وبناء صحيح، يضمن سلامة المجتمع وتقدمه وحمايته من التفلت والانحلال.

الزواج

إن في إسلامنا الجميل كل جميل وكل تشريع جميل، ولذا كان المجتمع المسلم مجتمعًا جميلًا متماسكًا، يقل فيه مشاكل كل عصر، ويحفظه تعاليم الإسلام الجميل من الزلل والانفلات.

ومن أهم تشريعاته في القرآن والسنة المطهرة، تشريعاته في الزواج، وفيه كل الحلول لمشاكل الأسرة والمجتمع، لأن الزواج هو بداية البناء، وبدونه تنتهي البشرية وتنعدم.

ففي بداية الخلق، لما استوحش آدم أبو البشرية عليه السلام من مقامه في الجنة وحيدًا، لا يجد من يتكلم معه أو يؤنس وحشته، رغم متاع الجنة من حوله، فمنّ الله عليه وخلق له حواء، من جزء من جسده وهو ضلعه الأيسر بجوار قلبه، لتكون حواء أم البشرية زوجته ورفيقته وحبيبته، ونشأت منهما البشرية، فقال الله تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كثيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1].

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وكان من أمر الله لآدم عليه السلام للحفاظ على سلامة البشرية، أن يزوج ذكر البطن الأولى لأنثى البطن الثانية وذكر البطن الثانية لأنثى البطن الأولى، وحرم الله زواج الأخوة من بطن واحدة، ثم استمرت البشرية من بعدهما في النهج نفسه التي كتب الله عليهم وهي سنة الزواج، وإن ابتعدت البشرية عن سنة الزواج وانتشرت الفاحشة والزنا والاختلاط بين البشر بدون زواج، فإن عناية الله وحفظه للبشرية ولسلامة الجنس البشرى تتدخل ويُصحح المسار، فيهلك الله الأمة التي انتشر فيها هذه الفاحشة، كما أهلك قوم لوط، وأخبرنا القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[3].

[1] سورة النساء الآية 1
[2] سورة الروم الآية 21.
[3] سورة هود الآية 82.

ويقول ربنا سبحانه وتعالى محذرنا ومحذر البشرية كلها من هذا الفعل الشنيع إذا تكرر وانتشر: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[1].

ويحدثنا التاريخ عن قرى ومدن أهلكها الله سبحانه وتعالى لكثرة الفاحشة فيها، وأهم هذه المدن سدوم وعمورة التي تقع عند البحر الميت بين الأردن وفلسطين، ومدينة بومباي في إيطاليا، ولكن أكثر الناس يجهلون سنة الله في إهلاك المفسدين ويرجعونها إلى غضب وثورة الطبيعة أو أسباب جيولوجية، وكأن هذا الكون ليس له إله يدبره ويحكمه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

ويحثنا رسولنا الحبيب ﷺ على سنة الزواج وبناء المجتمع المسلم السليم، فيقول ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ، فإنَّه له وِجَاءٌ»[3].

وكثيرًا ما كان يدعو أصحابه إلى الزواج رغم فقرهم أو عدم قدرتهم المادية للزواج، فقد قالها لربيعة بن كعب الأنصاري والحديث طويل ومروى عنه رضي الله عنه، فقد زوّجه النبي من إحدى بنات الأنصار وجمع من الصحابه مهره ووليمته وأعطاه أرضًا ليرتزق منها[4]، وأيضًا جابر بن عبد الله[5] وجليبيب الذي كان فقيرًا لا مال ولا جاه وكان دميم الخلقة[6]، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ويحدثنا ربيعة بن كعب الأنصاري رضي الله عنه عن زواجه فقال: «كان بعضُ الصَّحابةِ قد انقطع إلى رسولِ اللهِ ﷺ يخدمُه، ويبيتُ عنده لحاجةٍ إن طرقته، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ ألا تتزوَّجُ؟ فقال يا رسولَ اللهِ إنِّي فقيرٌ لا شيءَ لي، وأنقطِعُ عن خدمتِك، فسكت ثمَّ عاد ثانيًا، فأعاد الجوابَ ثمَّ تفكَّر الصحابي وقال: واللهِ لرسولُ اللهِ ﷺ أعلمُ بما يُصلِحُني في دنياي وآخرتي، وما يُقرّبُني إلى اللهِ منِّي، ولئن قال الثَّالثةَ لأفعلنَّ، فقال له الثَّالثةَ ألا تتزوَّجُ؟ قال فقلتُ يا رسولَ اللهِ زوِّجْني، قال اذهَبْ إلى بني فلانٍ فقُلْ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمرُكم أن تُزوِّجوني فتاتَكم قال فقلتُ يا رسولَ اللهِ لا شيءَ لي، فقال لأصحابِه: اجمعوا لأخيكم وزنَ نواةٍ من ذهبٍ فجمعوا له فذهبوا به إلى القومِ فأنكحوه، فقال له: أوْلِمْ وجمعوا له من الأصحابِ شاةً للوليمةِ»[7].

وزوّج الحبيب ﷺ جليبيب أيضًا رضي الله عنه، وكان ﷺ يحبه ويقربه، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رجُلٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يُقالُ له: جُلَيبيبٌ، في وجْهِه دَمامةٌ، فعرَضَ عليه رسولُ اللهِ ﷺ التَّزْويجَ، فقال: إذنْ تَجِدُني كاسِدًا، فقال: غيرَ أنَّكَ عند اللهِ ليس بكاسِدٍ»[8].

وحديث أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبيد رضي الله عنه: «أنَّ جُلَيبيبًا كان امرأً يَدخُلُ على النِّساءِ، يَمُرُّ بهنَّ ويُلاعِبُهنَّ، فقُلتُ لامرأتي: لا يَدخُلَنَّ عليكم جُلَيبيبٌ؛ فإنَّه إنْ دَخَلَ عليكم، لأفعَلَنَّ ولأفعَلَنَّ، قال: وكانتِ

---

[1] سورة هود الآية 83.
[2] سورة الأعراف الآية 54.
[3] عن عبد الله بن مسعود والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5065، مسلم في صحيحه برقم1400.
[4] عن ربيعة بن كعب الأنصاري ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم برقم2/526.
[5] وراه أبو داود وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2048.
[6] عن أنس بن مالك ورواه أحمد وابن حبان وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم9/371.
[7] قال العراقي في تخريج الإحياء إسناده حسن برقم2/30.
[8] قال الألباني صحيح في صحيح الموارد برقم291، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات، وله طرق برقم4،278، كما أخرجه أخرجه أبو يعلى برقم3343 واللفظ له.

الأنصارُ إذا كان لأحَدِهم أيِّمٌ لم يُزوِّجْها حتى يَعلَمَ هل للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيها حاجةٌ أم لا، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لرَجُلٍ مِن الأنصارِ: زَوِّجْني ابنتَكَ، فقال: نَعَمْ وكَرامةً يا رسولَ اللهِ، ونُعْمَ عَيني، قال: إنِّي لستُ أُريدُها لنَفْسي، قال: فلمَن يا رسولَ اللهِ؟ قال: لجُلَيبيبٍ، قال: فقال: يا رسولَ اللهِ، أُشاوِرُ أُمَّها، فأتى أُمَّها فقال: رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَخطُبُ ابنتَكِ، فقالتْ: نَعَمْ، ونُعمةُ عَيني، فقال: إنَّه ليس يَخطُبُها لنَفْسِه، إنَّما يَخطُبُها لجُلَيبيبٍ، فقالتْ: أجُلَيبيبٌ إنِيهِ؟ أجُلَيبيبٌ إنِيهِ؟ أجُلَيبيبٌ إنِيهِ؟ لا، لعَمرُ اللهِ لا نُزوِّجُه، فلمَّا أرادَ أنْ يَقومَ؛ لِيأتيَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيُخبِرَه بما قالتْ أُمُّها، قالتِ الجاريةُ: مَن خَطَبَني إليكم؟ فأخبَرَتْها أُمُّها، فقالتْ: أتَرُدُّونَ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أمْرَه؟ ادفَعوني؛ فإنَّه لم يُضيِّعْني، فانطلَقَ أبوها إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأخبَرَه، فقال: شَأنَكَ بها، فزَوَّجَها جُلَيبيبًا، قال: فخَرَجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في غَزْوةٍ له، قال: فلمَّا أفاءَ اللهُ عليه قال لأصحابِه: هل تَفقِدونَ مِن أحَدٍ؟ قالوا: نَفقِدُ فُلانًا ونَفقِدُ فُلانًا، قال: انظُروا هل تَفقِدونَ مِن أحَدٍ؟ قالوا: لا، قال: لكنِّي أفقِدُ جُلَيبيبًا. قال: فاطلُبوه في القَتلى، قال: فطَلَبوه فوَجَدوه إلى جَنبِ سَبعةٍ قد قَتَلَهم، ثُمَّ قَتَلوه، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، ها هو ذا إلى جَنبِ سَبعةٍ قد قَتَلَهم، ثُمَّ قَتَلوه، فأتاه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقام عليه فقال: قَتَلَ سَبعةً وقَتَلوه، هذا منِّي وأنا منه، هذا منِّي وأنا منه، مرَّتَينِ أو ثلاثًا، ثُمَّ وَضَعَه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على ساعدَيْه وحَفَرَ له، ما له سَريرٌ إلَّا ساعِدا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ وَضَعَه في قَبرِه، ولم يُذكَرْ أنَّه غَسَّلَه. قال ثابتٌ: فما كان في الأنصارِ أيِّمٌ أنفقَ منها، وحَدَّثَ إسحاقُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي طَلحةَ ثابتًا قال: هل تَعلَمُ ما دَعا لها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قال: اللَّهُمَّ صُبَّ عليها الخيرَ صَبًّا، ولا تَجعَلْ عَيشَها كَدًّا كَدًّا، قال: فما كان في الأنصارِ أيِّمٌ أنفقَ منها»[1].

ويحدثنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن عناية النبي الحبيب ﷺ له واهتمامه به وفيروى في حديثه الطويل ومنه «.. قالَ: وقدْ كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ قالَ لي حِينَ اسْتَأْذَنْتُهُ: هلْ تَزَوَّجْتَ بِكْرًا أمْ ثَيِّبًا؟ فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا. فَقالَ: هَلَّا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وتُلَاعِبُكَ؟ قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، تُوُفِّيَ والِدِي -أوِ اسْتُشْهِدَ- ولِي أخَوَاتٌ صِغَارٌ، فَكَرِهْتُ أنْ أتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ، فلا تُؤَدِّبُهُنَّ، ولَا تَقُومُ عليهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا لِتَقُومَ عليهِنَّ وتُؤَدِّبَهُنَّ»[2].

وهو ما يدل على مسئولية الدولة في إسلامنا الجميل في توفير سبل الزواج وتيسره ومساعدة الشباب على الزواج، حفاظا على سلامة المجتمع وأمنه.

ودعا إسلامنا الجميل الرجل والمرأة لحسن اختيار شريك الحياة، لتقليل الخلافات أثناء الحياة الزوجية، ولتستقر بهما سفينة الحياة، ويسعد كل منهما بالآخر، فقد أوصى الرجل أن يتخير من تقوم بمسئولية الزواج وتحسن تربية الأولاد وتقوم على شئونه، فقال رسول الله ﷺ: «جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنِّي أصَبْتُ امرأةً ذاتَ حسَبٍ وجمالٍ، وإنَّها لا تلِدُ، أفأتزوَّجُها؟ قال: لا، ثمَّ أتاه الثَّانيةَ فنهاه، ثمَّ أتاه الثَّالثةَ فقال: تزوَّجوا الوَدُودَ الوَلُودَ؛ فإنِّي مكاثِرٌ بكم الأُمَمَ»[3].

---

[1] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم19784، وقال في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم4035.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2967، ومسلم في صحيحه برقم715.

[3] عن معقل بن يسار، قال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم2050 واللفظ له، والنسائي في سننه برقم 3227، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج زاد المعاد صحيح برقم4/231.

فدعا الحبيب ﷺ للزواج من الودودة التي تملأ بيتها ودًّا وحبًّا، والولودة التي تستطيع الإنجاب، وليس معنى ذلك أن النبي نهى عن زواج العاقر، ولكن جعل الله لها نصيبًا من الزواج لمن كانت له حاجة لمثلها.

وقال النبي الحبيب ﷺ: «تُنكَحُ المرأةُ لأربَعٍ: لمالِها ولحَسَبِها وجَمالِها ولدينها، فاظفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَداكَ»[1].

وقال لولي المرأة: «إذا خَطَب إليكم مَن تَرْضَوْنَ دِينَه وخُلُقَه، فزَوِّجُوه. إلا تفعلوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ»[2].

وقال أيضًا ﷺ: «تخيَّروا لنُطَفِكم، فانكِحوا الأكفاءَ وأَنكِحوا إليهم»[3].

إياك والخطبة على أخيك

إسلامنا الجميل دين الفطرة الجميلة، والسلوك الجميل السليم الذي يتناسب مع كل وقت وحين، ويريد أن تسعد الأسر ليسعد المجتمع وتسعد معه الأمة، فجعل هناك آدابًا تتناسب مع طلب استقامة الأسرة والمجتمع.

فمن آداب الخطبة في البداية أن يتأكد الخاطب أن المرأة أو البنت التي يريد خطبتها ليست مخطوبة، وألا يخطب على أخيه إن علم أنها مخطوبة، حتى يحافظ المجتمع المسلم على ترابطه ولا تشتعل فيه الخلافات والمنازعات، فقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «نهى النَّبيُّ ﷺ أن يَبيعَ بَعضُكم على بيْعِ بَعضٍ، ولا يَخطُبِ الرَّجلُ على خِطبَةِ أخيه، حتَّى يَترُكَ الخاطِبُ قَبلَه أو يَأذَن له الخاطِبُ»[4].

وفي حديث آخر قال ﷺ: «المؤمنُ أخو المؤمنِ فلا يحلُّ للمؤمنِ أن يبتاعَ على بيعِ أخيهِ ولا يخطبَ على خطبةِ أخيهِ حتَّى يذَرَ»[5].

لعله يؤدم بينكما

وإسلامنا الجميل يريد أن تبدأ الأسرة بداية طيبة تبنى على الحب والتوافق بين الزوجين، فسمح للرجل أن ينظر إلى المرأة وجعل المرأة تنظر إلى الرجل في بداية الخطبة لتبدأ معها شرارة الحب والمودة، لا أن يتزوج الرجل المرأة بدون أن ينظر إليها كما تفعل بعض المجتمعات الجاهلة بأحكام دينها الجميل الحنيف، مما يؤثر تأثيرًا كبيرًا في الرجل والمرأة، ويؤدي إلى تعاسة الأسرة وخراب المجتمع، وتظلل الكآبة على الأسرة، وقد تؤدي في كثير من الأحيان إلى الطلاق والفرقة وتحطيم القلوب والأبدان، مما يؤثر في سلامة المجتمع المسلم.

---

[1] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5090، ومسلم في صحيحه برقم 1466.
[2] عن أبي هريرة وقال الألباني حسن صحيح في صحيح الترمذي برقم1084، وابن ماجه في سننه برقم1967، وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح حسن لغيره برقم4026، وبلفظ آخر للترمذى قال إذا جاءكم برقم1085 وقال فيه حسن غريب.
[3] عن عائشة وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم2928، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم1615، وقال في السلسلة الصحيحة صحيح بمجموع طرقه برقم1067، كما رواه الحاكم برقم2687، والبيهقي في السنن الكبرى برقم 14130.
[4] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5142، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم 3243.
[5] عن عقبة بن عامر وأخرجه مسلم في صحيحه برقم 1414، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم 6648.

ومنها هذا الحديث الجميل الذي يدل على مدى التغيير الذي أحدثه إسلامنا الجميل في مجتمع المدينة، وهو اللبنة الأولى للمجتمع الإسلامي السليم، والمثل والقدوة لجميع المجتمعات المسلمة من بعده، كيف لا وقد نشأ هذا المجتمع وفيه رسول الله ﷺ يعلمهم ويرشدهم كيف يُبنى المجتمع المسلم، فقد روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «أتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فذَكرتُ لَهُ امرأةً أخطبُها، فقالَ: اذْهب فانظر إليْها؛ فإنَّهُ أجدرُ أن يؤدمَ بينَكُما. فأتيتُ امرأةً منَ الأنصارِ، فخطبتُها إلى أبويْها، وأخبرتُهما بقولِ النَّبيِّ ﷺ فَكأنَّهما كرِها ذلِكَ، قالَ: فسمعت ذلِكَ المرأةُ وَهيَ في خدرِها، فقالت: إن كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أمرَكَ أن تنظرَ فانظُر وإلَّا فأنشدُكَ، كأنَّها أعظَمت ذلِكَ، قالَ: فنظرتُ إليْها، فتَزوَّجتُها فذَكرَ من موافقتِها»[1].

وفي هذا الحديث الجميل كيف غيّر رسول الله ﷺ عادة جاهلية كانت في المجتمع، ولم يمنع الشرع الرؤية الشرعية الحلال من الرجل إلى المرأة، ومع حياء المرأة وبخاصة الفتاة البكر، لها أن تنظر إلى الرجل الذي سيكون زوجها في المستقبل، فقد يكون فيه ما يدعوها إلى قبوله أو رفضه.

وحديث آخر مليح: «خطَب رجلٌ امرأةً منَ الأنصارِ فقال له رسولُ اللهِ ﷺ هل نظَرتَ إليها؟ قال: لا فأمَره أن ينظُرَ إليها»[2].

وبهذه النظرة الحلال تبدأ الألفة وتبدأ معها خطوات البناء السعيد الجميل.

وبعد الخطبة الصحيحة وبداية شرارة الحب والود والأفة، تبدأ مرحلة مهمة في بناء المجتمع المسلم وهي الزواج الذي عني به إسلامنا الجميل أشد اعتناء؛ لكونه اللبنة الأولى في استقرار المجتمع ونهوضه.

الزواج في إسلامنا الجميل

يبدأ الزواج في إسلامنا الجميل بالشهود والإعلان، وأقلهم شاهدا عدل لإتمام صحة الزواج، لا صحة لزواج سري بدون شهود، لقول حبيبنا ﷺ: «لا نكاحَ إلَّا بوليٍّ وشاهدَيْ عَدلٍ، وما كان مِن نكاحٍ على غيرِ ذلك فهو باطلٌ، فإنْ تشاجَروا فالسُّلطانُ وليُّ مَن لا وليَّ له»[3].

يريد إسلامنا الجميل بهذا الإعلان والشهود حفظ الحقوق والنسب، وإثبات صلة الزواج أمام الجميع، فلا عشيقة أو خليلة، بل صلة شرعية يقبلها المجتمع والعرف بين الناس الأسوياء، أما من اختلت عندهم القيم وضاعت الأخلاق فيتخذون الأخدان والخليلات، أو كما يطلقون عليها الآن الصديق والصديقة، أو كما يسميها الغرب (Boyfriend & Girlfriend).

ويقول ربنا سبحانه وتعالى محرمًا هذه العلاقات والصلات الباطلة: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

---

[1] قال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم 1524، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم 1087، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم 3235، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم 18154.

[2] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم باختلاف يسير في صحيحه برقم1424، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3234 واللفظ له، ورواه أحمد في مسنده برقم7966.

[3] عن عائشة وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1537، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم4075، وهناك روايات متعددة لهذا الحديث بروايات عن أبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعمران بن حصين وأبو موسى الأشعري والحسن البصرى وشريك بن عبد الله وكلها روايات ضعيفة أو متروكة في فيما عدا الجزء الأول من الحديث وهو لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل.

الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

الأمر بيدها

وقد بينا سابقًا أن إسلامنا الجميل جعل موافقة المرأة على الزواج بيدها هي فقط، وشرط أساسي لصحة الزواج ولو أجبرت على الزواج بغير رضاها فهو باطل.

ففي حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن الحبيب ﷺ قال: «الثَّيِّبُ أحقُّ بنفسِها من وليِّها والبِكرُ تستأمرُ وإذنُها سُكوتُها»[2].

وحديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «أنَّ امرأةً أتتِ النَّبيَّ ﷺ فقالت: إنَّ أبي زَوَّجَني وأَنا كارِهَةٌ وأَنا أريدُ أن أتزَوَّجَ عمَّ ولدي، قالَ: فردَّ النَّبيُّ ﷺ نِكاحَهُ»[3].

وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أنَّ جاريةً بِكْرًا أتتِ النَّبيَّ ﷺ فقالت إنَّ أبي زوَّجَني وَهيَ كارِهَةٌ فردَّ النَّبيُّ ﷺ نِكاحَها»[4].

وحفاظا على حقوق المرأة وصيانة لها، اشترط إسلامنا الجميل أن يشهد وليها، سواء كان والدها أو أخوها أو عمها أو غيره، (والمُرادُ بالوليّ: عَصبتُها من الرِّجالِ، ووَلِيُّها منهم الأقربُ فالأقربُ، ولا يدخُلُ فيهم ذَوِو الأرحامِ).

فإن كانت لا ولي لها يكون ولي أمر المسلمين أو حاكم السلمين هو وليها، حتى تكون معززة مكرمة لا يطمع فيها الرجال ضعفاء النفوس.

ولذلك جعل إسلامنا الجميل الزواج بولي شرطًا لصحة الزواج، لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «أيُّما امرأةٍ نُكحتْ بغيرِ إذنَ وليّها، فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ، فإن دخلَ بها، فلهَا المهْرُ بما استحلّ من فرجِها، فإن اشتجروا، فالسلطانُ وليّ من لا وليّ لهُ»[5].

فوليها ليس قيدًا عليها، بل سندًا لها وقوة، فرأيه قد يكون سديدًا لاختلاطه بالناس ومعرفة أحوالهم وأنسابهم، ومعرفة الرجال وأحوالهم وأخبارهم، فيكون رأيه سديدًا، كما أنه يبعد عنها خدش حيائها عند التحدث في أمور الزواج مع خطيبها وأهله، كما يكون سندًا لها عند نزاعها مع زوجها أو أهله، ويكون عونًا وحكمًا لها عند خلافها مع زوجها، فإسلامنا الجميل يريد لها كل خير، ولا يريد أن يضيق عليها ويحرمها من اختيارها ورأيها.

---

[1] سورة المائدة الآية 5.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه مسلم في صحيحه برقم1421، ورواه أبو داود في سننه برقم2098، وأحمد في مسنده برقم1888، وعن عائشة وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6946 باختلاف يسير.

[3] قال البيهقي في السنن الكبرى هذا هو الصحيح المرسل برقم7/120.

[4] أخرجه أبو داود في سننه برقم2096، وابن ماجه في سننه برقم1875، وأحمد في مسنده برقم1/273 باختلاف يسير، وقال البيهقي في السنن الكبرى مرسل معروف برقم7/117.

[5] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1102 واللفظ له، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم2083، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم24372، وقال في تخريج شرح السنة صحيح برقم9/39.

المهر ولو خاتم من حديد

إسلامنا الجميل رفع شأن المرأة وأعطاها حقها كاملًا، فقد أوجب على الرجل المهر للزوجة، فقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يعطي للمرأة مهرها، استرضاءً لها وتكريمًا لحقها، ولا يأخذ وليها مهرها، بل هو حق لها خالص، وأوجب على الزوج إعطاءه للزوجة صغيرًا كان أو كثيرًا، فإن الله فطر النساء على حب الهدية والعطية، وأن يتودد الرجل لها بالعطايا والهدايا، ومنها المهر فيعطي لها حبًّا لها وهديةً موجبةً لها، وإثباتًا لجديته في الزواج منها.

قال سبحانه: ﴿وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[1].

وقوله سبحانه تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2].

وأوجبه الحبيب ﷺ لقوله: «جاءتِ امرأةٌ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فَقالت: إنِّي وَهَبْتُ مِنك نَفْسي، فقامَت طَويلًا، فَقال رَجلٌ: زَوِّجْنيها إنْ لم تَكُنْ لكَ بها حاجةٌ، قال: هَل عِندَك مِن شيءٍ تُصْدِقُها؟ قال: ما عِندي إلَّا إزاري، فقال: إن أَعطَيتَها إيَّاه جَلَسْتَ لا إزارَ لكَ، فالْتَمِسْ شيئًا، فَقال: ما أَجِدُ شيئًا، فَقال: التَمِسْ وَلو خاتَمًا مِن حَديدٍ، فَلم يَجِدْ، فَقال: أَمَعكَ مِن القُرآنِ شيءٌ؟ قال: نَعَم، سورةُ كذا، سورةُ كذا؛ لِسُوَرٍ سمَّاها، فَقال: زَوَّجْناكَها بِما مَعكَ مِنَ القُرآن»[3].

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها عن الحبيب ﷺ قال: «إنَّ مِنْ يُمْنِ المرأةِ تيسيرُ خِطْبَتِها، وتيسيرُ صداقِها، وتيسيرُ رَحِمِها»[4].

وإن زاد المهر وكثر فهو حق خالص للمرأة، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إحداهن قِنطَارًا فَلَا تَأخذوا مِنْهُ شيئًا ۚ أَتَأخذونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[5].

ابدأ الزواج بذكر الله

وبعد هذا الإعلان ومعرفة الجميع بهذا الزواج، تبدأ الخطوة الثانية لهذا الزواج المبارك الذي بدأ بشهادة الله ثم المجتمع، وهذه البداية أيضًا يبدأ فيها بذكر الله؛ حيث يتوضأ كل من الزوج والزوجة، ويصليان ركعتين لله، وبعد الصلاة يضع الزوج يده اليمنى على رأس زوجتهن ويدعو الله أن يبارك لهما ويديم الحب والألفة بينهما، كما علم الرسول الحبيب ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد «جاء رجلٌ من بُجَيْلَةَ إلى

---

[1] سورة النساء الآية 4.

[2] سورة النساء الآية 24.

[3] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5135، ومسلم في صحيحه برقم1425.

[4] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن برقم24478، وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم2235، وقال حسن في إرواء الغليل برقم6/350.

[5] سورة النساء الآية 20 – 21.

عبدِ اللهِ يَعْنِي ابْنَ مسعودٍ، فقال: إِنِّي تَزَوَّجْتُ جَارِيَةً بِكْرًا، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَفْرُكَنِي، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ الْإِلْفَ مِنَ اللهِ وَإِنَّ الْفَرَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ يُكَرِّهُ إليهما، فإِذَا دخلتَ علَيْهَا فمرْها فلْتُصَلِّ خَلْفَكَ رَكْعَتَيْنِ، قال الأعمشُ: فذَكَرْتُهُ لِإِبْرَاهيمَ، قال عبدُ اللهِ: قلِ اللّهمَّ بارِكْ لي في أهْلِي، وبارِكْ لهم فِيَّ، اللَّهمَّ ارْزُقْهُمْ مِنِّي، وارزُقْنِي منهم، اللهمَّ اجمعْ بيْنَنَا مَا جَمَعْتَ إِلَى خَيْرٍ، وفَرِّقْ بَيْنَنَا إِذَا فَرَّقْتَ إِلَى خَيْرٍ»[1].

وإن أراد أن يأتي أهله فيقول كما أمر الحبيب ﷺ: «أما إنَّ أحدَكم إذا أتى أهلَه، وقال: بسمِ اللهِ، اللهمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ وجَنِّبِ الشيطانَ ما رزَقْتَنا، فرُزِقا ولَدًا لم يَضُرَّه الشيطانُ»[2].

ما أجمل إسلامنا الجميل يهدينا إلى الصراط المستقيم، ويدلنا كيف نبدأ حياتنا الزوجية باسم الله وعلى بركة الله، وعلى اتباع هدي الحبيب ﷺ، فتبتهج الحياة ويسعد البيت المسلم، وتنشأ الذرية المسلمة محفوظة من الشياطين.

البيت المسلم دائمًا على ذكر الله وسنة نبيه ﷺ، دائمًا يحيى على نهج الإسلام وشرعه، ويقتبس من سنا نبيه ﷺ معالم الحياة الأسرية الكريمة، ولذا فهو دائمًا بيت قوي محافظ على بنيانه، يربي داخله الذرية الصالحة النافعة للمجتمع والأمة والناس أجمعين، ولذا قامت أمة مسلمة فتية قوية نشرت الخير والسلام والحب بين المجتمعات والعالم أجمع، أما حين أهمل البيت المسلم تفككت الأسرة وتفكك المجتمع، وهبطت الأمة إلى الدرك الأسفل بين الأمم، وانتشر فيها الجهل والمرض والفقر، واتسعت الفجوة بين طبقات المجتمع، وانتشر الطلاق والتفكك الأسري، فضاعت الأسرة كلها من أب وأم وأولاد، وانحدر المجتمع وخابت البشرية بخيبة المسلمين.

عش الزوجية المسلم

يشعر من بداخله بالسعادة والحب والوئام والراحة النفسية، التي تسعد كل أفراد الأسرة وتنشأ الذرية بصحة نفسية سليمة وشعور بالحب والدفء، ويتنافس كل طرف في إسعاد كل فرد من الأسرة، فالزوجة تجتهد لإسعاد زوجها وأولادها، والزوج يبذل كل ما يستطيع لإسعاد أسرته وكفايتها وتلبية احتياجاتها سعيدًا مستبشرًا، وينشأ الأولاد بين أسرة متفاهمة محبة نشأة سليمة سعيدة ينعكس ذلك عليهم في بر أبويهما وتحصيلهم العلم النافع وخدمة مجتمعهم والعالم أجمع.

فالزوج مسئول عن كفالة أسرته وتلبية حاجاتهم والإنفاق عليهم وبذل كل جهد لتوفير سبل العيش الكريم لهم بقدر طاقته.

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[3].

ويشجعنا الحبيب ﷺ على الإنفاق على أهلينا ويقول: «دِينارٌ أنْفَقْتَهُ في سَبيلِ اللهِ ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، ودِينارٌ تَصَدَّقْتَ به علَى مِسْكِينٍ، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ علَى أهْلِكَ، أعْظَمُها أجْرًا الذي أنْفَقْتَهُ علَى أهْلِكَ»[1].

---

[1] عن شقيق بن سلمة وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم4/295، وقال الألباني في آداب الزفاف إسناده صحيح برقم24.
[2] عن عبد الله بن عباس والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم3271، ومسلم في صحيحه برقم1434.
[3] سورة الطلاق الآية 7.

ويحثنا الحبيب ﷺ فيقول: «إِذَا أَنْفَقَ المُسْلِمُ نَفَقَةً علَى أَهْلِهِ، وهو يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ له صَدَقَةً»[2].

ويقول لنا الحبيب ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ ما تَرَكَ غِنًى، واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وأبدأ بمَن تَعُولُ تَقُولُ المَرْأَةُ: إمَّا أنْ تُطْعِمَنِي، وإمَّا أنْ تُطَلِّقَنِي، ويقولُ العَبْدُ: أطْعِمْنِي واسْتَعْمِلْنِي، ويقولُ الِابنُ: أطْعِمْنِي، إلى مَن تَدَعُنِي، فَقالوا: يا أبَا هُرَيْرَةَ، سَمِعْتَ هذا مِن رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قالَ: لَا، هذا مِن كِيسِ أبِي هُرَيْرَةَ»[3].

والزوجة تنفق على بيتها من كد زوجها ولا تسرف وتساعد زوجها ولا تكلفه ما لا يطيق، وتنفق على أسرتها من ماله، ولا تنفق شيئًا من مال زوجها خارج بيتها إلا بإذنه.

فقال الحبيب ﷺ في خطبة الوداع: «لا تنفقُ امرأةٌ من بيتِ زوجِها إلا بإذنِ زوجها. قيلَ يا رسولَ اللهِ: ولا الطعامُ؟ قال: ذاك أفضلُ أموالنَا»[4].

ولكن لها أن تنفق من مال زوجها وتتصدق بالمعروف غير جائرة أو مسرفة، مما قد يؤثر في مال زوجها، ولها به أجر ولزوجها له أجر.

لقول الحبيب ﷺ: «إِذَا أَنْفَقَتِ المَرْأَةُ مِن طَعَامِ بَيْتِهَا غيرَ مُفْسِدَةٍ، كانَ لَهَا أَجْرُهَا بما أَنْفَقَتْ، ولِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بما كَسَبَ، ولِلْخَازِنِ مِثْلُ ذلكَ، لا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شيئًا»[5].

وإذا كان الزوج بخيلا ولا ينفق على أسرته بما يكفيهم، فتنفق من ماله ما يكفيها وأولادها بالمعروف من غير إسراف أو تبذير.

فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «دَخَلَتْ هِنْدٌ بنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ علَى رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، لا يُعْطِينِي مِنَ النَّفَقَةِ ما يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ إلَّا ما أخذتُ مِن مَالِهِ بغيرِ عِلْمِهِ، فَهلْ عَلَيَّ في ذلكَ مِن جُنَاحٍ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: خُذِي مِن مَالِهِ بالمَعروفِ ما يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ»[6].

والمرأة العاملة لها دخلها وذمتها المالية منفصلة عن زوجها، ولا يجوز للزوج أخذ مالها أو جزء منه إلا برضاها وطيب خاطر منها، ولها أن تنفق على زوجها وأولادها من مالها الخاص برضاها، وتعد صدقة لها وبرًّا.

فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: «كانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ علَى عبدِ اللَّهِ، وأَيْتَامٍ في حَجْرِهَا، قَالَ: فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ: سَلْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ أيَجْزِي عَنِّي أنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وعلَى أيْتَامٍ في حَجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟ فَقَالَ:

---

[1] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه مسلم في صحيحه برقم995، والبخاري في الأدب المفرد وقال فيه الألباني صحيح برقم578.

[2] عن أبي مسعود الأنصاري، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5351 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1002.

[3] عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5355، والنسائي في سننه برقم2534، وأحمد في مسنده برقم10785.

[4] عن أبي أمامة الباهلي وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3565، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم2120 واللفظ له، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم1873،

[5] عن عائشة والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم2211، ومسلم في صحيحه برقم1714.

[6] الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم1437، ومسلم في صحيحه برقم1024.

سَلِي أَنْتِ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَانْطَلَقْتُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الأنْصَارِ علَى البَابِ، حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي، فَمَرَّ عَلَيْنَا بلَالٌ، فَقُلْنَا: سَلِ النبيَّ ﷺ أيَجْزِي عَنِّي أنْ أُنْفِقَ علَى زَوْجِي، وأَيْتَامٍ لي في حَجْرِي؟ وقُلْنَا: لا تُخْبِرْ بنَا، فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَن هُمَا؟ قَالَ: زَيْنَبُ، قَالَ: أيُّ الزَّيَانِبِ؟ قَالَ: امْرَأَةُ عبدِ اللَّهِ، قَالَ: نَعَمْ، لَهَا أجْرَانِ، أجْرُ القَرَابَةِ وأَجْرُ الصَّدَقَةِ»[1].

وكثيرًا ما يحدث خلافات ومشاحنات وخصام داخل الأسرة، وهذا يعد طبيعيًّا لاختلاف كل من الزوجة والزوج عن بعضهما، فهناك اختلاف في تربية كل منهما عن الآخر، وهناك بيئة مختلفة تربى وتعلم فيها كل منهما، وهناك ثقافة كل منهما وتأثيرها في سلوكهما وطريقة تفكيرهما، وهناك اختلاف في تحصيل التعليم ومكانه وهو يؤثر كثيرًا، وهناك اختلاف في المستوى المادي لكل منهما، وكثير من العوامل الآخرى التي تكون سببًا في اتساع الخلاف بينهما، وسببًا في كثرة الخلاف والمشاحنات والخصام.

ولذلك حسن اختيار كل منهما للآخر مهم لنجاح العلاقة الزوجية واستمرارها، وفي خلال فترة خطوبة يتعرف كل منهما على الآخر، ويعرف من خلالها هل تستمر هذه الرابطة أم يبحث كل منهما عن آخر يكون أكثر تناسبا وملائمة لاستمرار هذه العلاقة القوية.

وكلما قل اختلاف كل منهما عن الآخر كانت فرصة استمرارهما ونجاحهما في إقامة أسرة ناجحة ومستقرة.

وفي إسلامنا الجميل قاعدة سليمة وناجحة في سلامة اختيارهما، وبداية صحيحة لكل منهما لهذه العلاقة الدائمة والمستمرة.

فقد قال الحبيب ﷺ لولي المرأة والمسئول عنها: «إذا جاءَكم مَن ترضَونَ دينَه وخُلقَه فأنكِحوهُ، إلَّا تفعلوا تَكن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ، قالوا يا رسولَ اللَّهِ وإن كانَ فيهِ قالَ إذا جاءَكم مَن ترضَونَ دينَه وخُلقَه فأنكِحوهُ ثلاثَ مرَّاتٍ»[2].

وقال الحبيب ﷺ للرجل: «تُنكَحُ المرأةُ لأربَعٍ: لمالِها ولحَسَبِها وجَمالِها ولدينها، فاظفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَداكَ»[3].

فإذا تم الالتزام بهذه الأسس البسيطة كان الطلاق وأسبابه أقل ما يمكن، ومشاكل البيوت تكاد أن تنعدم ويسود الحب والوئام والاحترام بين الزوج والزوجة.

خلافات الأسرة

[1] لحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم1466، ومسلم في صحيحه برقم1000.

[2] عن أبي حاتم المزني وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترمذي برقم1085 واللفظ له، وقال في إرواء الغليل حسن برقم1868 ورواه البيهقي في سننه برقم13863.

[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5090، ومسلم في صحيحه برقم1466.

كثيرًا ما يحدث شجار أو خلاف بين الزوج وزوجته، وإذا لم يعالج هذا الخلاف بينهما، فقد ينمو في قلب كليهما أو أحدهما الكُره والبُغض، وإسلامنا الجميل يعالج هذه المشكلة الكبيرة ببساطة الإسلام وسماحته التي بها تستقر البيوت وتعمر، لا تهدم وتدمر.

في إسلامنا الجميل هناك طريقان مضمونان للحل الجميل الذي يضمن السعادة والهناء للأسرة والاستقرار للمجتمع، وهما العلاج الرباني في كتابه سبحانه الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]. والعلاج النبوى في دراسة سيرته ﷺ من أفعاله وأقواله مع أزواجه ومع الصحابة.

ففي آية واحدة من كتاب الله سبحانه حلت معظم مشاكل الأسرة، وهي آية شاملة كاملة لو وعيها الزوج والزوجة لحلت مشاكلهما واستقر البيت والعائلة.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[2].

ففي الآية من الأحكام ما يساعد الأسرة على الاستقرار والراحة، فقوله سبحانه الرجال قوامون على النساء هو حل لمشاكل منازعة النساء الرجال في المسئولية، فالله سبحانه الخالق الذي خلق الذكر والأنثى جعل الرجل قيمًا على المرأة ومسئولًا عنها لما حباه الله من صفات جسدية ونفسية تساعده في هذه القوامة، وبخاصة في الإنفاق والرعاية والحماية لأسرته، فقد وضع الله سبحانه الحل ببساطة في الفطرة التي فطر الناس عليها إذ جعل القوامة بيد الرجل، وكلمة (القوام وهي صيغة مبالغة من القيام بالأمر)[3]تعني الرجل القائم على أمر بيته بما أنفق وينفق على أسرته، وتحمل مسئولية الأسرة من عناية ورعاية وحماية واهتمام وتربية وإصلاح وتوجيه، وكل ما يهم الأسرة والبيت.

وسبحانه وتعالى حين ذكر قوامة الرجل على المرأة ليس تمييزًا للرجل ولا تقليلًا للمرأة، ولكن سبحانه وتعالى جعل لكل منهما مهامَّ يكمل بعضها بعضًا، فجعل للرجل بنية قوية تساعده في إتمام هذه القوامة من حماية أسرته ورعايتها، والعمل الشاق العضلي في اكتساب الرزق والإنفاق على أسرته ومتطلباتها وحمايتها من أي معتدٍ، وجعل للمرأة ما يناسبها من عمل وتكليف، من لين جسمها ليتناسب مع الحمل والولادة وتربية الأطفال والحنان والعطف على الأسرة كلها من الزوج والأولاد، وجعل عاطفتها تغلب عقلها وإلا لفقد البيت الحب والرحمة والعاطفة التي يأنس بها الزوج والأولاد، وهو تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، فالرجل فُضّل بعقله وقوته والمرأة فُضّلت بعاطفتها ولينها، وبهذه القوامة لو فقهها الزوج والزوجة لانتهت الكثير من المشاكل.

---

[1] سورة فصلت الآية 42.

[2] سورة النساء الآية 34.

[3] المعجم الوسيط

والمسئولية في البيت موزعة بين الزوج والزوجة، وهما مسئولان أمام الله عن هذه المسئولية فقد قال الحبيب ﷺ: «إنَّ اللهَ سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاه، حفِظَ أم ضَيَّعَ، حتى يُسأَلَ الرجلُ على أهلِ بيتِه»[1].

والحديث الجميل الشامل في مسألة الرعاية والمسئولية فيقول الحبيب ﷺ: «كلُّكم راعٍ ومسئول عن رَعيَّتِه؛ فالإمامُ راعٍ ومسئول عن رَعيَّتِه، والرَّجلُ في أهلِه راعٍ وهو مسئول عن رَعيَّتِه، والمرأةُ في بيتِ زَوجِها راعيةٌ وهي مسئولةٌ عن رعيَّتِها، والخادِمُ في مالِ سيِّدِه راعٍ وهو مسئول عن رعيَّتِه، قال: فسمعتُ هؤلاء مِن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأحسَبُ النَّبيَّ ﷺ قال: والرَّجلُ في مالِ أبيه راعٍ ومسئول عن رعيَّتِه، فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئول عن رعيَّتِه»[2].

وعلى المرأة المسلمة أن تطيع زوجها فيما أمرها الله به من طاعته والقيام بواجبها نحوه، يقول الحبيب ﷺ: «خيرُ النِّساءِ امرأةٌ إذا نظرتَ إليها سرَّتكَ، وإذا أمرتَها أطاعتْكَ، وإذا غِبتَ عنها حفِظتْكَ في نفسِها ومالِكَ»[3].

وفي روية أخرى: «قيل لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أيُّ النساءِ خيرٌ؟ قال: التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعُه إذا أمر، ولا تخالفُه في نفسِها ومالها بما يكره»[4].

وهذه الرواية الجميلة عن الحبيب ﷺ قال: «خيرُ النِّساءِ مَن تَسُرُّكَ إذا أبْصَرْتَ، وتُطِيعُكَ إذا أمَرْتَ، وتَحْفَظُ غَيْبَتَكَ في نفسِها ومالِكَ»[5].

ويقول الحبيبﷺ: «ما أفاد عبدٌ بعدَ الإسلامِ خيرٌ له مِن زوجٍ مُؤمِنةٍ إذا نظَر إليها سرَّتْه وإذا غاب عنها حفِظَتْه في نَفْسِها ومالِه»[6].

وفي حديث جميل يقول الحبيب ﷺ: «إذا صلَّتِ المرأةُ خمْسَهَا، وصامَتْ شَهْرَهَا، وحفِظَتْ فرجَها، وأطاعَتْ زَوْجَها، قيلَ لها: ادخُلِي من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شئتِ»[7].

ويؤيده حديث آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال الحبيب ﷺ: «إذا صلَّتِ المرأةُ خمسَها، وصامَت شَهرَها، وحفظت فرجَها، وأطاعت زوجَها دخلتِ الجنَّةَ»[1].

---

[1] عن أنس بن مالك والحسن البصرى وقال الألباني حسن صحيح في صحيح الترغيب برقم1966، وقال رجاله رجال الصحيح في السلسلة الصحيحة برقم1636، وقال صحيح في غاية المرام برقم271، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان رجاله رجال الشيخين وهو مرسل برقم4493، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم9129.

[2] عن عبد الله بن عمر والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2558 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1829.

[3] عن أبي هريرة ورواه النسائي في سننه برقم3231، والبزار في البحار الزخار المعروف بمسند البزار برقم15/175، وأحمد شاكر في عمدة التفاسير وأشار في المقدمة إلى صحته برقم 1/500، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده قوي برقم 9587 باختلاف يسير.

[4] عن أبي هريرة وقال الألباني حسن صحيح في صحيح النسائي برقم3231، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده قوى برقم7421، وقال في تخريج سنن أبي داود إسناده صحيح برقم3/98.

[5] عن عبد الله بن سلام، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم3299، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه رزيك بن أبي رزيك ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات برقم4/276.

[6] عن أبي هريرة ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم2/325، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله ثقات برقم4/275، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند [فيه] جابر الجعفي ضعيف، وشريك -وهو ابن عبد الله النخعي- سيئ الحفظ برقم12/385.

[7] عن عبد الله بن عوف، وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم1932، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم1661.

ويحذر نبينا الحبيب ﷺ النساء حبًّا لهن وخوفًا عليهن من مغبة عصيان زوجها، فيقول في حديث جميل: «أُريتُ النارَ فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ، يَكْفُرن. قيل: أيَكْفُرن باللهِ؟ قال: يَكْفُرنِ العشيرَ، ويَكْفُرن الإحسانَ، لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهرَ، ثم رأتْ منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ»[2].

وهناك حديث آخر يكرهه النساء غير الطائعات لأزواجهن ويستغربنه، فيقول الحبيب ﷺ: «ما يَنْبَغِي لأحَدٍ أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ، ولَوْ كانَ أحَدٌ ينبغِي لَهُ أنْ يسجُدَ لأحَدٍ، لأمَرْتُ المرأةَ أنْ تسجُدَ لِزوْجِها؛ لما عظَّمَ اللهُ عليها مِنْ حقِّهِ»[3].

وهذا الحديث رواه أكثر من صحابي هم: أم المؤمنين عائشة، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، ومعاذ بن جبل، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله، وبريدة الأسلمي، وقيس بن سعد، وسراقة بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

ثم يقول ربنا في آية القوامة في حق النساء: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾، فمدح الله سبحانه الزوجة القانتة الدائمة الطاعة لربها ولزوجها، الصالحة في نفسها، الحافظة لزوجها في غيبته في نفسها وماله بما حفظها الله.

نشوز الزوجة والحل الجميل

ثم يهدينا ربنا سبحانه وتعالى لحل مشكلة نشوز الزوجة، ومعنى نشوز هو الارتفاع والعلو، وهي المترفعة عن زوجها، المتعالية عليه، المعرضة عنه، والتاركة لأمره الكارهة له، الممتنعة عن أداء حقه، فقال ربنا متدرجا لحل هذه المشكلة ﴿فعظوهن﴾ بأن ينصحها نصيحة حسنة هادئة بنفسه، وفي وقت صفاء معها تستطيع الزوجة أن تسمع كلام زوجها ونصيحته، كما يخوفها بالله ويبين لها بأهمية وجوب طاعة زوجها حتى تعود إلى رشدها وتنتهي المشكلة، أو يستعين بآخرين ممن لهم حق على الزوجة، أو يكن لهم تأثير عليها فتسمع كلامهم، منهم من هم محارمها مثل أبيها أو أخيها أو جدها أو عمها أو خالها وغيرهم، أو من غير محارمها مثل الطبيب أو مكاتب حل المشاكل الأسرية، أو غيرهم ممن يهتم بحل المشكلات الأسرية.

فإذا صعب الحل ولم تستجب الزوجة للموعظة الكلامية، تبدأ الخطوة الثانية وهي الهجر في المضاجع، وهو حل مؤلم تتأثر به الزوجة تأثرًا بالغًا، فهي تحب أن يكون معها زوجها، يشعرها بالحنان والحب والدفء والقوة والأمان، وتأمن بنوم زوجها بجوارها، وفي حالة هجرها في المضجع تتأثر بذلك، وقد تعود عن نشوزها، وقد يكون الهجر في مكان المضجع نفسه فيعطيها ظهره ولا ينظر إليها أو يترك الفراش بالكلية وينام في مكان آخر وليس بجوارها، ولكن في المنزل نفسها، فكل هذا قد يؤثر فيها فتعود، أو أن يمتنع من محادثتها أو الطعام معها، كل ذلك من أنواع الهجر.

---

[1] ورواه أيضًا كل من عبد الرحمن الزهرى وعبد الرحمن بن حسنة وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم661، وأخرجه البزار في البحار الزخار برقم14/46، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه داود بن الجراح وبقية رجاله رجال الصحيح برقم4/308.

[2] عن عبد الله بن عباس والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيح برقم29 وأخرجه مسلم في صحيحه برقم907.

[3] عن أبي هريرة وقال الألباني إسناده حسن في إرواء الغليل برقم7/54، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان حديث صحيح، إسناده حسن برقم4162، وقال في تخريج سير اعلام النبلاء صحيح برقم10/607.

أما إذا تعذر هذا الحل فهناك الحل الثالث وهو الضرب غير المبرح، وهو مشروع في كتاب الله وسنة رسوله، وهو ليس عيبا في إسلامنا الجميل بل شرع الله الحكيم العليم بنا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

وهو آخر طرق الحل، ولكن أي ضرب وكيفية الضرب؟

لم يترك إسلامنا الجميل هذا الحل للرجال ليضربوا زوجاتهم كما يشاءون ويحلو لهم، ولكن مع إقرار القرآن الكريم والسنة النبوية له، فقد بيّنه ووضّحه شرعنا الجميل، وبكيفية مقننة وموضحة لا يجوز للمسلم أن يتجاوزه، وإلا كان عاصيا لله ولرسوله الحبيب ﷺ.

ومع ذلك لم يضرب الرسول ﷺ امرأة قط، فتقول الحبيبة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها عن الحبيب محمد ﷺ: «ما ضرب رسولُ اللهِ ﷺ شيئًا قطُّ بيدِه، ولا امرأةً، ولا خادمًا، إلا أن يجاهدَ في سبيلِ اللهِ، وما نِيلَ منهُ شيءٌ قطُّ، فينتقمُ من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارمِ اللهِ، فينتقمُ للهِ عزَّ وجلَّ»[2].

والذي يضرب زوجته ليس من خيار المؤمنين كما أخبر الحبيب ﷺ، فعَنْ إِيَاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تضرِبوا إماءَ الله فجاءَ عمَرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ: ذَئرنَ النِّساءُ على أزواجِهِنّ، فرخَّصَ في ضربِهِنَّ، فأطافَ بآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ نساءٌ كثيرٌ يَشكونَ أزواجَهُنّ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: لقَد طافَ بآلِ محمَّدٍ نِساءٌ كثيرٌ يَشكونَ أزواجَهُنَّ ليسَ أولئِكَ بخيارِكُم»[3].

ويوجهنا حبيبنا ﷺ إن كان لا بد من الضرب، وهو آخر الحلول، فيكون الضرب غير مبرح، وهو الضرب الذي لا يترك أثرًا في الجسم أو يكسر العظم أو يسيل الدم، ولا يضرب الوجه أو الدبر بل في الأجزاء اللينة التي لا تترك أثرًا.

فقال الحبيب ﷺ في خطبته الشاملة الكاملة في خطبة الوداع، آخر ما وصى به المسلمين: «فاتقوا اللهَ في النِّساءِ، فإنكم أخذتموهن بأمانِ اللهِ، واستحللتُم فروجهنَّ بكلمةِ اللهِ، ولكم عليهنَّ أن لا يُوطئنَ فُرُشَكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غيرَ مُبَرِّح، ولهنَّ عليكم رزقُهن وكسوتُهنَّ بالمعروفِ»[4].

فإذا وصلت الرسالة للمرأة أن نشوزها هو ضرر عليها لعدم طاعة ربها في زوجها وعصيانه، وعادت إلى رشدها، فلا يستمر الزوج في خصامها أوهجرها بل يسارع لإعادة شحن مشاعرها بالحب والحنان والدفء حتى تعود المياة إلى مجاريها، ويقول ربنا العليم الحكيم استكمال ا في نهاية الآية: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[5].

فلا يقوم الزوج بالانتقام منها وزيادة حدته عليها لتأخرها في الصلح، أو دلالها عليه، فيتحول البيت إلى جحيم وتتهدم الصلة بينه وبينها، ويضيع الحب بين العناد والعتاب.

---

[1] سورة الملك الآية 14

[2] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2328، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم26404.

[3] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2146، وقال حسن صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1628، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم4189.

[4] عن جابر بن عبد الله وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1218، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم1905، وصحيح ابن ماجه في برقم2512.

[5] سورة النساء الآية 34.

أما لو حدث العكس ونشز الزوج من زوجته وأساء معاملتها وتسلط عليها وأذاها سواء باللفظ المهين أو بالضرب الجارح أو قصر في حقها، فالواجب عليها -وهي تستطيع- بحنانها وعطفها عليه أن تحل كثيرًا من هذه المشاكل، فتذكره بالله وتخوفه به سبحانه، وتذكره بحقوقها بما في القرآن والسنة النبوية، فبالكلمة الطيبة والتفاهم الحسن مع زيادة حنانها عليه، تجعله يحسن معاملته لها، ويعطيها حقها، أما إذا لم ينتهِ من فعله ويعود إلى رشده، فلها أن تستعين بمن يستطيع أن يؤثر فيه سواء أكانوا والديه أو أحد الحكماء وبخاصة لو كان من طرفه هو، فإذا لم تجد من أهله حكمًا عادلًا عاقلًا، انتدبت حكمًا من أهلها ليكون طرفًا عادلًا يتفاهم معه ويذكره بالله ويعظه برفق وسهولة حتى لا يزيد الطين بلة، ولا يركب الزوج عناده فيهدم بيته.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[1].

فإذا لم تفلح محاولات الصلح وإصلاح حال الزوج، فإسلامنا الجميل لا يحمل المرأة أكبر من طاقتها في تحمل الزوج الظالم لها ولحقها، فللزوجة اللجوء إلى القاضي ليحكم لها بحقها إما رجوع الزوج إلى رشده وزوجته أو تطليقها أو تطلب الخلع منه إذا رفض الطلاق.

إلا الوجه

والحديث الجميل الذي يذكر الرجل بحق امراته، فيقول الحبيب ﷺ عندما سأله أحد الصحابة: «ما حقُّ المرأةِ علَى الزَّوجِ؟ قالَ: أن يُطْعِمَها إذا طعمَ، وأن يَكْسوَها إذا اكتسَى، ولا يَضربِ الوجه، ولا يُقبِّح، ولا يَهْجر إلَّا في البيتِ»[2].

ويقول من سماه ربه بالرؤف الرحيم حبيبنا ﷺ: «إذا ضرَب أحَدُكم فليتَّقِ الوَجْهَ»[3].

وقال ﷺ في حق الخادم: «إذا ضربَ أحدُكُم خادمَه فلْيتَّقِ الوجهَ»[4].

والحديث عن عدم ضرب الوجه جاء عام للمرأة والرجل والأطفال والخادم، وهناك أحاديث بالمعنى نفسه، حتى في أوقات القتال والحرب، فيقول الحبيب ﷺ: «إذا قاتلَ أحدُكُم فليجتنبِ الوجهَ»[5].

الوجه هو صورة الإنسان الجميلة التي تميز عظم خلق الله فيه، فكيف يضرب الزوج وجه زوجته، ثم ينظر إليها بعد ذلك، ويرى أثر الضرب فيه!

العلاقة الحميمة

---

[1] سورة النساء الآية 35.

[2] عن معاوية بن حيدة القشيرى وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1512 واللفظ له، وقال حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم2143، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم4175.

[3] عن أبي هريرة وأحرجه مسلم في صحيحه برقم2612، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4493.

[4] عن أبي هريره وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم674، وقال صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم130، وأخرجه أبو داود في سننه برقم4493.

[5] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2559، ومسلم في صحيحه برقم2612.

وكثيرًا ما تحدث المشاكل الزوجية نتيجة سوء العلاقة الحميمة بينهما، وهي ركن أساسى في الزواج، وبهذه العلاقة الحميمة تتولد عاطفة الحب والألفة بينهما، ومن نتيجة هذه العلاقة الحميمة يأتي الأولاد الذين هم من زينة الحياة الدنيا: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1].

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

ومع السكن والعلاقة الحميمة تنشأ المودة والرحمة، وهي من آيات الله سبحانه وتعالى التي تربط الرجل بالمرأة، والذي فيه تتكون عاطفة الحب والألفة.

وإسلامنا الجميل يحافظ على هذه العلاقة الحميمة، ويجعلها بابًا لسعادة الزوج والزوجة وعلى استمرار ودوام الحياة الزوجية بينهما، فحث كل من الرجل والمرأة على حسن هذه العلاقة، ومنها أن يتهيأ كل منهما للآخر فتكون هناك راحة وبهجة وسعادة.

فالنظافة الجسدية مهمة جدًّا في نجاح العلاقة الحميمة بين الزوجين، أما إذا قصر أحدهما في النظافة الشخصية الجسدية فلا تتم هذه العلاقة بالحب والألفة والشوق، بل بالتنافر وكره والبغض، وتبدأ المشاجرات والمشاحنات بين الطرفين.

فالاستحمام والتطيب مهم جدًّا في انجذاب كل منهما إلى الآخر، ويعلمنا إسلامنا الجميل كيفية هذه النظافة الشخصية فيقول الحبيب ﷺ: «الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ»[3].

ونظافة الفم من أهمها وأولها، وكان الحبيب ﷺ دائم التسوك بالمسواك لتكون رائحة فمه دائمًا طيبة، فأول ما يدخل بيته ويلقى أهله كان ينظف فمه بالسواك.

فعن زوجته عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بالسِّواكِ»[4].

وكان آخر شيء فعله قبل مماته ولقاء ربه نظافة فمه، فقد روت زوجته عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «مَرَّ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبِي بَكْرٍ وفي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ، فَنَظَرَ إلَيْهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فَظَنَنْتُ أنَّ له بهَا حَاجَةً، فأخذتُهَا، فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا، ونَفَضْتُهَا، فَدَفَعْتُهَا إلَيْهِ، فَاسْتَنَّ بهَا كَأَحْسَنِ ما كانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا، فَسَقَطَتْ يَدُهُ، أوْ: سَقَطَتْ مِن يَدِهِ، فَجَمع اللَّهُ بيْنَ رِيقِي ورِيقِهِ في آخِرِ يَومٍ مِنَ الدُّنْيَا، وأَوَّلِ يَومٍ مِنَ الآخِرَةِ»[5].

---

[1] سورة الكهف الآية 46.

[2] سورة الروم الآية 21.

[3] عن عبد الله بن عمر، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5889، ومسلم في صحيحه برقم257 من حيث أبي هريرة

[4] أخرجه مسلم في صحيحه برقم253، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم4717.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه برقم4451 واللفظ له، وابن حبان في صحيحه برقم6617.

ويعلمنا إسلامنا الجميل كيف العمل والتصرف السليم والجميل في حالة غياب الزوج عن البيت فترة من الزمن للعمل أو السفر أو غيره، فلو عاد إلى بيته فليمهل زوجته بعضا من الوقت حتى تتجمل وتتهيأ له بالنظافة والزينة، وهو كذلك يفعل فعلها حتى لا تتنافر النفوس عند الممارسة العلاقة الحميمة بينهما.

فقال الحبيب ﷺ: «إذا دَخَلتَ ليلًا، فلا تَدخُلْ على أهلِك، حتَّى تَستحِدَّ الْمُغِيبَةُ، وتَمتشِطَ الشَّعِثَةُ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: فعَليك بالكَيْسِ الكَيْسِ»[1].

وفي حديث آخر له المعنى نفسه قال الحبيب ﷺ: «إذا قام أحدكم ليلًا فلا يأتيَنَّ أهلَه طروقًا، حتى تستحِدَّ المُغيبةُ، وتمتشطَ الشعثةُ»[2].

وحديثه ﷺ: «كان النبيُّ ﷺ لا يَطرُقُ أهلَه، كان لا يدخلُ إلا غُدوَةً أو عَشيَّةً»[3].

وحديثه ﷺ: «كان النبيُّ ﷺ يكرهُ أنْ يأْتِيَ أهْلَهُ طُرُوقًا»[4].

أي لا تأتي أهلك وهي زوجتك فجأة يطرق عليها الباب مسرعًا ويعاشرها مباشرة، ومع شوقك إليها وشوقها إليك فقد يكون التسرع سببًا في التنافر والكره لكل منكما لعدم حدوث التهيئة اللازمة والنظافة الشخصية منك ومنها فيكون سببًا للمشاجرات، ثم ينصحك الرسول الحبيب ﷺ في حديث البخاري الأول بأن تأتي زوجتك وتباشرها بعد التهيئة في الليلة نفسها، حتى تشبع نفسك وزوجتك من طول البعد والغياب عنها إن استطعت، وهذا أفضل لكليكما، أما إذا لم يحدث هذا الاتصال بسببك أو بسببها، فقد يكون سببًا مباشرًا للمشاجرات، وإن لم يصرح به أحدكما.

ومن طبيعة خلق الله الرجل أن جعل شهوته أكبرمن الأنثى، ولذا جعله قادرًا على التعدد في الزواج، ولذا فإسلامنا الجميل ينصح المرأة أن تطيع زوجها إذا دعاها إليه ولا تمنعه نفسها، إلا إذا كان عندها مانع شرعي لها.

ويحذر إسلامنا الجميل الزوجة مما يدمر الحياة الزوجية والعلاقة الحميمة بينها وبين زوجها، فتمتنع عنه إذا دعاها، فيقول رسولنا الحبيب ﷺ محذرا الزوجة: «إذا دعا الرجلُ امرأتَهُ إلى فراشِهِ فأَبَتْ، فبات غضبانَ عليها، لعنتها الملائكةُ حتى تُصبحَ»[5].

ويؤكده حديث آخر عن أبي هريرة قال عن الحبيب ﷺ: «إذا باتتِ المرأةُ مهاجرةً فراشَ زوجِها، لعَنَتْها الملائكةُ حتى تُصبِحَ»[6].

---

[1] عن جابر بن عبد الله والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5246 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم715.
[2] عن جابر بن عبد الله وأخرجه مسلم في صحيحه برقم715، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم725
[3] عن أنس بن مالك والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1800 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 1928.
[4] عن جابر بن عبد الله والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5243، ومسلم في صحيحه برقم715.
[5] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم3237، ومسلم في صحيحه برقم1436.
[6] الحديث تفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5194، ومسلم في صحيحه برقم1436.

ويقول الحبيب ﷺ: «لو كُنتُ آمرًا أحدًا أن يسجُدَ لغيرِ اللهِ لأمَرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزوجِها والَّذي نَفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لا تؤدِّي المرأةُ حقَّ ربِّها حتَّى تؤدِّيَ حقَّ زوجِها ولو سألَها نفسَها وَهيَ علَى قتَبٍ لم تمنعْهُ»[1].

وقال الحبيب ﷺ: «إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشِه فلْتُجبْ، وإن كانتْ على ظهْرِ قَتَبٍ»[2].

ويوصي الحبيب ﷺ الزوج الذي قد يعجب بامرأة غير زوجته ويرى فيها ما لا يرى في زوجته، فيتسبب ذلك في الوقيعة بينه وبين زوجته، بأن يأتي أهله ويطفئ نار شهوته مع زوجته في الحلال، حتى لا تقع في الحرام، فيخسر دينه وزوجته وأسرته كلها، فيقول ﷺ: «إنَّ المرأةَ تُقْبِلُ فِي صورَةِ شيطانٍ، وتُدْبِرُ فِي صورةِ شيطانٍ، فإذا رأي أحدُكُم امرأةً أعجبَتْهُ فليأْتِ أَهْلَهُ، فإنَّ ذلِكَ يرُدُّ ما في نفسِهِ»[3].

ومعنى تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان؛ أي أنها تتبرج وتخرج في زينتها، فتفتن الرجال بالنظر إليها، كما يفتن الشيطان الإنسان فيوقعه في المعصية.

وفي رواية أخرى: «إنَّ المرأةَ إذا أقبَلتْ أقبَلتْ في صورةِ شيطانٍ فإذا رأي أحدُكم امرأة أعجَبتْه فلْيأتِ أهلَه فإنَّ معها مِثلَ الَّذي معها»[4].

ويتعجب إسلامنا الجميل من الزوج الذي يسيء إلى زوجته، وقد يضربها ثم يأتي آخر اليوم فيجامعها فتزداد الكراهية في قلبها، وتتباعد الألفة بينهما وتُهدم الأسرة وكيانها.

فيقول الحبيب ﷺ محذرا الزوج: «لا يَجلِدْ أحدُكم امرأتَه جَلْدَ العَبدِ، ثمَّ يجامِعَها في آخرِ اليومِ»[5].

وهناك مشاكل أخرى تسبب فيها خروج المرأة للعمل، والاختلاط بين الرجل والمراة في كثير من الأماكن، فإذا خرجت المرأة متبرجة في زينتها ومتعطرة في بدنها فإنها تفتن الرجل، وتنشأ بذلك مشاكل في البيت، وقد ترى من يفتنها من الرجال وترى فيه أفضل من زوجها، وهو يرى فيها ما هو أفضل من زوجته، فتنشأ الكراهية والمشاكل وتهدم البيوت، فيدعونا إسلامنا الجميل إلى حلول منطقية وعملية منها عدم النظر إلى المحرمات فيقول ربنا سبحانه وتعالى للرجال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[6]، ويقول للنساء: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ

---

[1] عن عبدالله بن أبي أوفي وقال الألباني حسن صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1515، وقال حسن صحيح في صحيح الترغيب برقم1938، وقال حسن في صحيح الجامع برقم5295.

[2] عن زيد بن أرقم، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم533، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم1943.

[3] عن جابر بن عبد الله وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1403وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم1940.

[4] عن جابر بن عبد الله وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم5572، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1158، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم1939.

[5] عن عبد الله بن زمعة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5204 واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم2855.

[6] سورة النور الآية 30

يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

ومنها تعلم العلم الشرعي، وهو ما يؤدي إلى التقوى والاستقامة بمعرفة دين الله، وما الحلال والحرام والمشتبهات بينهما، فيتعلم الزوج والزوجة الحرام من الحلال فلا يقعان فيه، يقول الحبيب ﷺ في الحديث الجامع الشامل: «إنَّ الحَلالَ بيّنٌ وإنَّ الحَرامَ بيّنٌ وبينَهمَا مشْتَبَهَاتٌ لا يعْلَمُهُنَّ كثيرٌ من الناسِ. فمنْ اتَّقَى الشبهَاتِ استَبرَأَ لدينِهِ وعِرضِهِ. ومن وقعَ في الشبهَاتِ وقعَ في الحرامِ. كالراعِي يرعَى حولَ الحِمَى. يوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فيهِ. ألا وإنَّ لكلِ ملِكٍ حِمًى. ألا وإنَّ حِمَى اللهِ محَارِمُهُ. ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإذَا فَسَدَتْ، فسدَ الجَسدُ كُلُّهُ؛ ألا وهِيَ القَلبُ»[2].

ويجب أن يتعلما حكم الشرع وآدابه في المخالطة والمصافحة والخلوة وآداب خروج المرأة للعمل أو قضاء حاجاتها، مثل اللباس الشرعي وغيرها من آداب المحافظة على الأسرة والمجتمع، وعلى الدولة والمجتمع مساعدة الأسرة في الاستقامة على شرع الله بسن قوانين تحمي الأسر، كي تحفظ المجتمع والدولة من التفكك والانحلال.

حكمًا من أهلها

وقد وقع خلاف بين الرسول ﷺ وأزواجه، كما يحدث بين عامة البشر المتزوجين، ولكن في سننه وهديه الشريف ﷺ ما يدلنا على حسن التصرف والحكمة في التعامل مع الزوجة وحل الخلافات الطارئة بينهما، فقد حدث خلاف بين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها وبين زوجها النبي ﷺ على أمر من الأمور الحياتية والتي قد تحدث بين الأزواج، وروى هذا الحدث النعمان بن بشير رضي الله عنه فقال: «استَأْذَنَ أبو بَكرٍ على النَّبيِّ ﷺ، فسَمِعَ صَوتَ عائشةَ عاليًا، فلمَّا دخَلَ تناوَلَها لِيَلطِمَها، وقال: ألَا أراكِ تَرْفَعينَ صَوْتَكِ على رسولِ اللهِ ﷺ، فجعَلَ النَّبيُّ ﷺ يَحجُزُه، وخرَجَ أبو بَكرٍ مُغضَبًا، فقال النَّبيُّ ﷺ حين خرَجَ أبو بَكرٍ: كيف رَأيْتِني أنْقَذتُكِ من الرَّجُلِ؟ قال: فمكَثَ أبو بَكرٍ أيَّامًا، ثُمَّ استَأْذَنَ على رسولِ اللهِ ﷺ، فوَجَدَهما قدِ اصْطَلَحا، فقال لهما: أدْخِلاني في سِلْمِكما كما أدْخَلتُماني في حَربِكما، فقال النَّبيُّ ﷺ: قد فَعَلْنا، قد فَعَلْنا»[3].

اصبر عليها واسترضها

أصبر على زوجتك كما صبر رسول الله ﷺ مع زوجاته، وفي حديث آخر جميل: «جاءَ أبو بكرٍ يستأذنُ على النبيِّ ﷺ فسمعَ عائشةَ وهي رافعةٌ صوتَها على رسولِ اللهِ ﷺ فأَذِنَ لهُ فدخلَ فقال يا ابنةَ أمِّ رُومانَ وتَنَاوَلَهَا أترفعينَ صوتَكِ على رسولِ اللهِ ﷺ، قال: فحالَ النبيُّ بينَه وبينَها، قال: فلمَّا خرجَ أبو بكرٍ جعل النبيُّ ﷺ يقولُ لها يترضَّاها ألا تَرَيْنَ أنِّي قد حُلْتُ بينَ الرجلِ وبينَكِ، قال: ثم جاءَ أبو بكرٍ، فاستأذنَ عليهِ،

[1] سورة النور الآية 31.

[2] عن النعمان بن البشير والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم52، ومسلم في صحيحه برقم1599 واللفظ له.

[3] قال شعيب الأناؤوط في تخريج سنن أبي داود صحيح برقم4999 برقم18394، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة رجاله ثقات برقم6/945، وقال ابن حجر [حسن كما قال في المقدمة]في تخريج مشكاة المصابيح برقم4/400، وقال الوادعا في الصحيح المسند صحيح برقم1172.

فوجدهُ يُضاحِكُهَا فأَذِنَ لهُ فدخلَ، فقال لهُ أبو بكرٍ: يا رسولَ اللهِ أَشْرِكَانِي في سِلْمِكُمَا كما أَشْرَكتُماني في حَرْبِكُمَا»[1].

احلم بها

كن حليمًا مع زوجتك ولا تكن سريع الغضب، فالحلم سيد الأخلاق، واتخذ من سيد الخلق ﷺ لك قدوة، ويوصيك إسلامنا الجميل بالحلم مع زوجتك، فروت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «حدث خلاف بين النبي ﷺ وعائشة رضي الله عنهما فقال لها من ترضين بيني وبينك.. أترضين بعمر؟ قالت: لا أرضي عمر قط «عمر غليظ». قال أترضين بأبيك بيني وبينك؟ قالت: نعم، فبعث رسول الله رسولًا إلى أبي بكر فلما جاء قال الرسول: تتكلمين أم أتكلم؟ قالت: تكلم ولا تقل إلا حقًّا، فرفع أبو بكر يده فلطم أنفها، فولت عائشة هاربة منه واحتمت بظهر النبي، حتى قال له رسول الله: أقسمت عليك لما خرجت بأن لم ندعك لهذا. فلما خرج قامت عائشة فقال لها الرسول: ادني مني؛ فأبت؛ فتبسم وقال: لقد كنت من قبل شديدة اللزوق (اللصوق) بظهري ـ إيماءة إلى احتمائها بظهره خوفًا من ضرب أبيها لها ـ، ولما عاد أبو بكر ووجدهما يضحكان قال: أشركاني في سلامكما، كما أشركتماني في دربكما»[2].

خذ من حبيبك ﷺ قدوة في حلمه في معاملة أزواجه وصبره عليهن واحتمال الأذى منهن والحلم في طيشهن وغضبهن وكف الأذى عنهن، هكذا كان ﷺ يعامل زوجاته ويحل أصعب المشكلات بينه وبينهن، مما يزيد من الحب والألفة بين الزوجين وتدوم العشرة ويطول الوئام.

اترك مكانك الذي تشاجرت فيه

إسلامنا الجميل يدلك على كل جميل في حل مشاكل الأسرة كما كان يفعل النبي ﷺ: «كان للنبيِّ ﷺ تسعُ نسوةٍ، فكان إذا قسم بينهنَّ لا ينتهي إلى المرأةِ الأولى إلا في تسعٍ، فكنَّ يجتمِعْن كلَّ ليلةٍ في بيتِ التي يأتيها، فكان في بيتِ عائشةَ، فجاءت زينبُ، فمدَّ يدَه إليها، فقالت: هذه زينبُ، فكفَّ النبيُّ ﷺ يدَه، فتقاوَلتا حَتَّى اسْتَخَبَتَا، وأقيمتِ الصلاةُ، فمرَّ أبو بكرٍ على ذلك، فسمع أصواتَهما، فقال: اخرُجْ، يا رسولَ اللهِ إلى الصلاةِ، واحثُ في أفواهنَّ الترابَ، فخرج النبيُّ ﷺ، فقالت عائشةُ: الآن يقضي النبيُّ ﷺ صلاتَه فيجيءُ أبو بكرٍ فيفعل بي ويفعل، فلما قضي النبيُّ ﷺ صلاتَه أتاها أبو بكرٍ، فقال لها قولًا شديدًا، وقال: أَتصنَعِينَ هذا؟»[3].

وفي هذا الحديث يتبين كيف كان النبي ﷺ يعدل بين زوجاته ويؤنسهن ويدخل السرور عليهن، فكن يجتمعن عند إحداهن التي يبيت عندها ليأتنسن به، ويداعبهن ويضاحكهن ويطمئن عليهن ويدعو لهن، ثم تذهب كل واحدة إلى حجرتها ويبيت عند إحداهن بالترتيب، فعندما داعب أو لاطف زينب زوجته وهو في بيت عائشة، غارت عائشة لأنه داعبها في بيتها وتريد أن تستأثر به هو فقط في بيتها وفي ليليتها، وكانت شديدة الغيرة عليه لشدة حبها له، فتبادلتا القول والشجار وعلا صوتهما حتى سمعه من بالخارج، وكان أبو

[1] عن النعمان بن البشير، قال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم18394، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة صحيح لغيره برقم6/944.

[2] رواه الحافظ الدمشقي في كتاب السمط الثمين طبعة دار الحديث ص73، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه صالح بن أبي الأسود ضعيف برقم4/199، ورواه الطبراني في الأوسط برقم5/135.

[3] عن أنس بن مالك وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1462.

بكر بالقرب منه فسمع صوت ابنته وصوت زينب وهما يتشاجرتان، فقال للنبي ﷺ وقد أقيمت الصلاة والنبي ﷺ لم يخرج، فقال له أخرج يا رسول الله واتركهن، فلما خرج النبي هدأتا وسكتتا، وعرفت عائشة أن أباها سوف يأتي إليها ويعاتبها لرفع صوتها وشجارها أمام النبي ﷺ، فلم تخف من النبي حبيبها ﷺ بل من أبيها وعتابه.

تبسّم في وجهها

يحثك إسلامنا الجميل عندما تغير زوجتك وتظهر غيرتها عليك، أن تبدل إحساسها بالغيرة إلى الاطمئنان والأمان وزيادة الحنان، وتبسم لها وزد في إظهار الحب لها، كما كان يفعل النبي ﷺ لعائشة بل ومع كل أزواجه.

ففي هذا الحديث الجميل كيف تعامل النبي ﷺ مع غيرة نسائه رضي الله عنهن، وكيف كان يتسامح معهن ويضاحكهن بدون غضب، فقد روت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ بخَزِيرَةٍ طَبَخْتُهَا لهُ، فقلتُ لسَوْدَةَ والنبيُّ ﷺ بيني وبينَها، فقلتُ لها: كُلِي فأَبَتْ، فقلتُ: لتأكلَنَّ أو لَأُلَطِخَنَّ وجهَكَ، فأَبَتْ، فوضعتْ يدي في الخَزِيرَةِ فطليتُ بها وجهَها، فضحكَ النبيُّ ﷺ فوضعَ فَخِذَهُ لها وقال لسَوْدَةَ: الْطُخِي وجهَها، فلَطَخَتْ وجهي، فضحكَ النبيُّ ﷺ أيضًا، فمرَّ عمرُ فنادى يا عبدَ اللهِ يا عبدَ اللهِ، فظنَّ النبيُّ ﷺ أنهُ سيدخلُ، فقال: لهما قُومَا فاغسلا وجوهَكما، قالت عائشةُ: فما زِلْتُ أهابُ عمرَ لهيبَةِ رسولِ اللهِ ﷺ إياهُ»[1].

تقبلْ لهوَها واحترمْ لعبَها

وكان الحبيب ﷺ يضاحك أزواجه ويدخل السرور عليهن، فلقد «قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ، من غزوةِ تبوكٍ - أو خيبرٍ - وفي سهوتِها سترٌ، فهَبَّتْ ريحٌ، فكَشَفَتْ ناحيةَ السِّتْرِ، عن بناتٍ لعائشةَ - لَعِبٌ - فقال: ما هذا يا عائشةُ؟ قالت: بناتي، ورأي بينَهُنَّ فرسًا له جَناحانِ مِن رِقاعٍ، فقال: ما هذا الذي أرى وَسَطَهُنَّ؟ قالت: فَرَسٌ، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جَناحان، قال: فرسٌ له جَناحانِ؟ قالت: أما سَمِعْتَ أن لسليمانَ خيلًا لها أجنحةً؟ قالت: فضَحِكَ حتى رَأَيْتُ نواجذَه»[2].

اصبر عليها

ما أجمل الحلول التي يعطيها إسلامنا الجميل لك في حل مشكلات أسرتك، ويحل المعضلات بينك وبين زوجتك، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جميل: «.. كنَّا معشرَ قريشٍ قومًا نغلِبُ النِّساءَ، فلمَّا قدِمْنا المدينةَ وجَدْنا قومًا تغلِبُهم نساؤُهم، فطفِق نساؤُنا يتعلَّمْنَ مِن نسائِهم، فتغضَّبْتُ على امرأتي يومًا فإذا هي تُراجِعُني، فأنكَرْتُ ذلك عليها فقالت: أتُنكِرُ أنْ أُراجِعَكَ؟ فواللهِ إنَّ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ لَيُراجِعْنَه، وتهجُرُه إحداهن اليومَ إلى اللَّيلِ قال: فقُلْتُ: قد خاب مَن فعَل ذلك منهنَّ وخسِرت، أتأمَنُ إحداهن أنْ يغضَبَ اللهُ عليها لغضبِ رسولِه ﷺ فإذا هي قد هلَكتْ؟ قال: فتبسَّم رسولُ اللهِ ﷺ»[3].

---

[1] رواه الألباني في السلسلة الصحيحة وقال إسناده حسن برقم4476، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن برقم4/318.

[2] عن عائشة ورواه البيهقي في سننه برقم21510، وقال الألباني في صحيح أبي داود صحيح برقم4932.

[3] عن عمر والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2468، ومسلم في صحيحه برقم 1479.

تسامح مع غيرتها

تسامح مع غيرتها ودعها تعبرعنه بتسامح وسعة صدر، فإنها من الصفات البشرية المؤكدة وفي النساء والرجال، ولكنه في النساء أكبر وأعظم، ويشتد كلما زاد حبها لزوجها، فلا تعده طوقًا على رقبتك بل هو حب جارف من زوجتك إليك، فبادلها حبًّا بحب.

قالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها وقد شغلها غيرتها على الحبيب ﷺ: «قلتُ يا رسولَ اللهِ، أرَايتَ لو نزلْتَ واديًا وفيهِ شجرةٌ قدْ أُكِلَ منها، ووجدْتَ شجرًا لمْ يُؤكَلْ منها، في أيِّهَا كنتَ تُرتَعُ بعيرَكَ؟ قال: (في التي لمْ يُرْتَعْ منْها)؛ تعنِي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لمْ يتزوجْ بكرًا غيرَهَا»[1].

وكذلك زينب بنت جحش رضي الله عنها «قالَت زينبُ: يا رسولَ اللَّهِ إنِّي لَستُ كأحدٍ مِن نسائِكَ ليسَت مِنهنَّ امرأةٌ إلَّا زوَّجَها أبوها أو أخوها أو أَهلُها غيري»[2].

وتعني أن الله قد أمر رسوله ﷺ بزواجها فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[3].

وموقف الرسول ﷺ من غيرة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها حين كسرت الطبق الذي أرسلت به أم سلمة رضي الله عنها للنبي ﷺ وعنده أصحابه، فقد روى أنس رضي الله عنه هذا الموقف فقال: «كان النَّبيُّ ﷺ عندَ بَعضِ نِسائِه، فأَرسلَتْ إحدى أُمَّهاتِ الْمُؤمِنينَ بِصَحْفةٍ فيها طَعامٌ، فضَربَتِ الَّتي النَّبيُّ ﷺ في بَيتِها يدَ الخادِمِ، فسَقَطَتِ الصَّحْفةُ، فانفَلَقتْ، فجَمعَ النَّبيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحفَةِ، ثُمَّ جعَلَ يَجمَعُ فيها الطَّعامَ الَّذي كان في الصَّحْفةِ، ويَقولُ: غارَتْ أُمُّكم، ثُمَّ حَبَسَ الخادِمَ حتَّى أُتِيَ بِصَحْفةٍ مِن عندِ الَّتي هوَ في بَيتِها، فَدفَع الصَّحْفةَ الصَّحيحةَ إلى الَّتي كُسِرت صَحفتُها، وأَمسَك المَكسورَةَ في بَيتِ الَّتي كَسَرَت»[4].

لا تخالفها إن كان رأيها صائبًا

كان الحبيب ﷺ يحب خديجة رضي الله عنها حبًّا جمًّا، ويستشيرها في كثير من أموره، وكان لا يخالفها الرأي ويبرها دائمًا، فقد روى ابن إسحاق «... فسألَتْ خديجةُ رسولَ اللهِ ﷺ أن يُزَوِّجَه زينبَ وكان رسولُ اللهِ ﷺ لا يخالِفُها..»[5].

أي في زواج أبي العاص بن الربيع من ابنته زينب رضي الله عنهم أجمعين.

---

[1] عن عائشة وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5077.
[2] عن أنس بن مالك وقال ابن حجر في فتح البارى إسناده ضعيف برقم13/423.
[3] سورة الأحزاب الآية 37.
[4] عن أنس وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 5225، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3966.
[5] عن عائشة وزينب وعبد الله بن أبي بكر وابن إسحاق وقال الهيثمي إسناده منقطع في مجمع الزوائد برقم9/216

وكيف أخذ بمشورة زوجته أم سلمة في صلح الحديبية عندما امتنع الصحابة من التحلل من العمرة، فقالت له رضي الله عنها أخرج إليهم ولا تكلم منهم أحدًا ثم ادع حالقك فاحلق وتحلل، ولما فعل ما أشارت له به قام الصحابة فحلقوا وتحللوا.

فقد روى الطبرى في تفسيره هذا الحدث فقال: «قال النبيّ ﷺ لأصحابه: قُومُوا فانحَروا ثم احْلِقُوا، قال: فوالله ما قام منا رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات؛ فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أُمُّ سلمة: يا رسول الله أتحبّ ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحدًا منهم كلمة، حتى نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه؛ فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما»[1].

تغاضَ عنها

كثيرًا ما تحدث مشاكل وشجار بين الزوج وزوجته، أو بين الزوجات، وإسلامنا الجميل يتعامل مع هذه المشكلات بالحكمة؛ لأنها من الأمور الطبيعية التي تحدث بين المتزوجين، ولنا في رسول الله القدوة الحسنة والأسلوب الجميل في التعامل مع زوجاته وغيرتهن عليه.

فتغاضَ عنها وبخاصة وقت غضبها وشجارها، وقد تحدثنا كيف تعامل مع خلاف وشجار عائشة وزينب رضي الله عنهما، بأن تغاضى قليلا وترك المكان ولم يجرح أحدًا منهما أو يزجرهما، خصوصًا وأن الشجار من أجل حبهن له، فلم يصدر منه كلمة في حق هذه أو تلك، فهدأت النفوس وعرفت كل واحدة خطأها، فالتغاضي أحيانًا يهدئ النفوس، ويبث السكينة، وينشر السعادة في حنايا البيوت.

اجبر خاطرها

يعلمنا إسلامنا الجميل أن نجبر خاطر زوجاتنا، ونعالج كسر قلوبهن ونتسامح معهن، ويعلمنا حبيبنا الزوج الكريم كيف يجبر خاطر زوجته، ويجبر كسرها وحزنها.

وهناك حديث مليح تُشد إليه الرحال يعلمنا كيف جبر خاطر زوجاته رضي الله عنهن أمهات المؤمنين، فعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: «دخلَ عليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقد بلَّغني عن حفصةَ وعائشةَ كلامٌ فذَكرتُ ذلِكَ لَهُ، فقالَ: ألا قلتِ وكيفَ تَكونانِ خيرًا منِّي وزوجي محمَّدٌ وأبي هارونُ وعمِّي موسى، وَكانَ الَّذي بلغَها أنَّهم قالوا نحنُ أَكرمُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ منْها، وقالوا نحنُ أزواجُ النَّبيِّ ﷺ وبناتُ عمِّهِ»[2].

أقنعها وطمئنها

يعلمنا إسلامنا الجميل من فن التعامل الأسري، أن يحاور الرجل زوجته ليقنعها حتى يسود جو من التفاهم والإقناع بين الطرفين، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فقد كان يحاور نساءه، ويقنعهن دائمًا، ولا يفرض عليهن شيئًا إلا أوامر الله ونواهيه، أما في الأمور الحياتية فيتصرف ببشريته السمحة وخلقه العظيم.

---

[1] جامع البيان المعروف بتفسير الطبري، سورة الفتح الآية 25.

[2] قال الألباني إسناده ضعيف في ضعيف الترمذي برقم3892، وقال ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم4963، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سير أعلام النبلاء إسناده ضعيف وله شاهد برقم2/233.

فقد روت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرج من عندها ليلًا، قالت فغِرْتُ عليه، فجاء فرأي ما أصنع، فقال «مالكِ؟ يا عائشةُ أَغِرْتِ؟» فقلتُ: وما لي لا يغارُ مثلي على مثلِك؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أقد جاءك شيطانُكِ؟» قالت: يا رسولَ اللهِ أو معي شيطانٌ؟ قال: «نعم» قلت: ومع كلِّ إنسانٍ؟ قال: «نعم» قلتُ: ومعك يا رسولَ اللهِ؟ قال: «نعم، ولكنَّ ربي أعانَني عليه حتى أسلمَ»»[1].

هدئ من نفسها الغيورة

وكانت عائشة شديدة الغيرة على الحبيب ﷺ فروت رضي الله عنها وعن أبيها: «خرج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ ذاتَ ليلةٍ، فأرسلَتْ بريرةَ في أثَرِهِ لتنظرَ أين ذهب، قالت: فسلك نحو بقيعِ الغَرقدِ، فوقف في أدنى البقيعِ، ثم رفع يدَيه، ثم انصرف، فرجعتْ إليَّ بريرةُ، فأخبرَتْني، فلما أصبحتُ سألتُه؟ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ أين خرجتَ الليلةَ؟ قال: بُعِثتُ إلى أهلِ البقيعِ لأُصلِّيَ عليهم»[2].

وتروي أيضًا حديثًا آخر يدل على شدة حبها وغيرتها عليه ﷺ، وكيف يتعامل الرسول الحبيب ﷺ مع غيرتها فتقول: «قالت عائشةُ: ألا أُحدِّثُكم عني وعن رسولِ اللهِ ﷺ قلنا: بلى. قال: قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبيُّ ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءَه، وخلع نعلَيه، فوضعهما عند رجلَيه، وبسط طرفَ إزارِه على فراشِه، فاضطجع. فلم يلبثْ إلا ريثما ظنَّ أن قد رقدتُ فأخذ رداءَه رويدًا، وانتعل رُويدًا، وفتح البابَ فخرج. ثم أجافَه رويدًا. فجعلتُ دِرعي في رأسي، واختمرتُ، وتقنَّعتُ إزاري. ثم انطلقت على إثرِه. حتى جاء البقيعَ فقام. فأطال القيامَ. ثم رفع يدَيه ثلاثَ مراتٍ. ثم انحرف فانحرفتُ. فأسرع فأسرعتُ. فهرول فهرولتُ. فأحضَر فأحضرتُ. فسبقتُه فدخلتُ. فليس إلا أن اضطجعتُ فدخل. فقال: «ما لك؟ يا عائشُ حَشْيا رابيةٍ». قالت: قلتُ: لا شيء. قال: «لَتُخبِريني أو ليُخبرنِّي اللطيفُ الخبيرُ». قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ بأبي أنت وأمي فأخبرتُه. قال: «فأنتِ السوادُ الذي رأيتُ أمامي؟». قلتُ: نعم. فلهَدني في صدري لهدةً أوجعَتْني، ثم قال: «أظَنَنْتِ أن يحيفَ اللهُ عليكِ ورسولُه؟» قالت: مهما يكتمِ الناسُ يعلمْه اللهُ. نعم. قال: «فإنَّ جبريلَ أتاني حين رأيتِ، فناداني، فأخفاه منك، فأجبتُه، فأخفيتُه منك. ولم يكن يدخل عليكِ وقد وضعتِ ثيابَكِ، وظننتُ أن قد رَقدتِ، فكرهتُ أن أُوقظَكِ، وخشيتُ أن تستَوْحِشي. فقال: إنَّ ربَّك يأمرُك أن تأتيَ أهلَ البقيعِ فتستغفرَ لهم». قالت: قلتُ: كيف أقول لهم؟ يا رسولَ اللهِ قال: «قولي: السلامُ على أهلِ الدِّيارِ من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللهُ المستقدمين منا والمُستأخِرين، وإنا إن شاء اللهُ بكم لَلاحقون»»[3].

تقبل نقاشها ومجادلتها لك

يتعامل إسلامنا الجميل مع النفس البشرية بفهم لطبيعتها وبسماحة وبحبوحة في حل مشاكلها، لطبيعة الاختلاف والخلاف في النفوس والطباع، ولذا فيأمرنا أن نتقبل الخلاف ونتعامل بود وسماحة مع الاختلاف، كما فعل الحبيب ﷺ مع زوجاته ومع أصحابه بل وحتى مع أعدائه.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2815.

[2] قال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده لا بأس به في الشواهد برقم4/376، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده محتمل للتحسين برقم24612.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم974، ابن حبان في صحيحه برقم7110، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم2036.

وروى الفاروق عمر بن الخطاب رواية جميلة عن كيف كانت زوجات النبي ﷺ يراجعنه فقال: «وكنا مَعشرَ قريشٍ نغلِبُ النساءَ، فلما قدِمْنا على الأنصارِ إذا هم قومٌ تغلِبُهم نساؤُهم، فطفِق نساؤنا يأخذنَ من أدبِ نساءِ الأنصارِ، فصِحتُ على امرأتي فراجعَتْني، فأنكَرتُ أن تراجِعَني، فقالتْ: ولم تُنكِرْ أن أُراجِعَك، فواللهِ إن أزواجَ النبيِّ ﷺ ليُراجِعْنَه، وإن إحداهن لتَهجُرُه اليومَ حتى الليلِ. فأفزَعني، فقلتُ: خابَتْ مَن فعَل منهن بعظيمٍ، ثم جمَعتُ عليَّ ثيابي فدخَلتُ على حفصةَ، فقلتُ: أيْ حفصةُ، أتُغاضِبُ إحداكنَّ رسولَ اللهِ ﷺ اليومَ حتى الليلِ؟ فقالتْ: نعمْ، فقلتُ: خابتْ وخسِرَتْ، أفتأمَنُ أن يغضَبَ اللهُ لغضبِ رسولِه ﷺ فتهلِكينَ، لا تستكثِري على رسولِ اللهِ ﷺ ولا تُراجِعيه في شيءٍ ولا تَهجُريه، واسأليني ما بدا لك»[1].

اعتزل زوجتك قليلا حتى تهدأ

عندما تشتعل النفوس غضبا ولا يطيق أحدكما الآخر، اترك المكان وابتعد قليلا حتى تهدأ النفوس الثائرة وتعود إلى طبيعتها الهادئة، ثم ناقش الأمر مرة أخرى، وستجد أن المشكلة قد حلت، وحتى لو لم تعد نقاشها، فقد تكفل الوقت والزمن بحلها.

فقد اعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرًا عندما ألحوا عليه بزيادة النفقة والتوسعة عليهم عندما مَنّ الله على رسوله وأفاء إليه ووسع عليه، فاعتزلهم الحبيب شهرًا تأديبًا لهن وترك الوقت يحل المشكلة معهن، فخفن وخاف المسلمون أن يكون قد طلق الرسول نساءه، ولكنه ﷺ اعتزلهن ليراجعن أنفسهن ويعدن إلى رشدهن ويطعن الله ورسوله، ورغم حزن رسول الله ﷺ منهن، لكنه القدوة في حل المشاكل بينه وبين زوجاته، فلم يطلقهن بل اعتزلهن مع ألم قلبه.

ويستكمل الفاروق رضي الله عنه حديثه فيقول: «فدخَلتُ عليه، فإذا هو مضطَجِعٌ على رمالِ حصيرٍ، ليس بينه وبينه فراشٌ، قد أثَّر الرمالُ بجنبِه، متكئٌ على وِسادةٍ من أَدَمٍ، حشوُها لِيفٌ، فسلَّمتُ عليه، ثم قلتُ وأنا قائمٌ: طلَّقتَ نساءَك؟ فرفَع بصرَه إليَّ، فقال: لا. ثم قلتُ وأنا قائمٌ أستأنِسُ: يا رسولَ اللهِ، لو رأيتَني وكنا معشرَ قريشٍ نغلِبُ النساءَ، فلما قدِمْنا على قومٍ تغلِبُهم نساؤهم، فذكَره، فتبسَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم، ثم قلتُ: لو رأيتَني ودخلتُ على حفصةَ فقلتُ: لا يغُرَّنَّكِ أن كانتْ جارتُكِ هي أوضَأُ منكِ وأحب إلى النبيِّ ﷺ - يريدُ عائشةَ - فتبسَّم أخرى، فجلَستُ حين رأيتُه تبسَّم، ثم رفعتُ بصري في بيتِه، فواللهِ ما رأيتُ فيه شيئًا يرُدُّ البصرَ، غيرَ أُهبَةٍ ثلاثةٍ، فقلتُ: ادعُ اللهَ فليوسِّعْ على أمتِك، فإن فارسَ والرومَ وُسِّعَ عليهِم وأُعطوا الدنيا، وهم لا يعبُدونَ اللهَ، وكان مُتَّكِئًا، فقال: «أوَ في شكٍّ أنت يا ابنَ الخطَّابِ؟ أولئك قومٌ عُجِّلَتْ لهم طيباتُهم في الحياةِ الدنيا». فقلتُ: يارسولَ اللهِ استغفِرْ لي، فاعتزَل النبيُّ ﷺ من أجلِ ذلك الحديثِ حين أفشَتْه حفصةُ إلى عائشةَ، وكان قد قال: ما أنا بداخِلٍ عليهِنَّ شهرًا، من شدةِ مَوجِدَتِه عليهن حين عاتبَه اللهُ، فلما مضَتْ تِسعٌ وعِشرونَ، دخَل على عائشةَ فبدَأ بها، فقالتْ له عائشة: إنك أقسَمتَ أن لا تدخُلَ علينا شهرًا، وإنا أصبَحنا لتسعٍ وعِشرينَ ليلةً أعُدُّها عدًّا، فقال النبيُّ ﷺ: «الشهرُ تِسعٌ وعِشرونَ». وكان ذلك الشهرُ تِسعًا وعِشرينَ، قالتْ عائشةُ: فأُنزِلَتْ آيةُ التخييرِ، فبدَأ بي أولَ امرأةٍ، فقال: إني ذاكِرٌ لكِ أمرًا، ولا عليكِ أن لا تعجَلي حتى تستأمِري أبوَيكِ. «قالتْ قد أعلَم أن أبوَيَّ لم يكونا يأمُراني بفِراقِك، ثم قال: (إن اللهَ قال: يَا أَيُّهَا

[1] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2468 واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1479.

النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ - إلى قولِه – عظيمًا). قلتُ: أفي هذا أستأمِرُ أبوَيَّ، فإني أريدُ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخِرَةَ، ثم خيَّر نساءَه، فقُلْنَ مثلَ ما قالتْ عائشةُ»[1].

تودد إليها لتصفو نفسها

كان رسولنا الحبيب ﷺ يتودد إلى زوجاته ويحبهن ويسترضيهن، رغم أنه في كثير من الأحيان يجادلنه ويخاصمنه، إلا أنه يصبر عليهن ويتودد إليهن استرضاءً لنفوسهن ولإدخال السرور عليهن، لتهنأ البيوت وتصفو النفوس وتسعد القلوب.

فعندما فتح رسول الله ﷺ خيبر وأسر صفية بنت حيي بن أخطب أعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، وقد أسلمت وحسن إسلامها، ويروي ابن عمر كيف كان رسول الله ﷺ يسترضيها فقال: «كانَ بعينَي صفيةَ خضرةٌ، فقال لهَا النبيُّ ﷺ: ما هذِه الخضرةُ بعينَيكِ؟ فقالتْ: قلتُ لزوجِي، إني رأيتُ فيما يرَى النائمُ قمرًا وقَعَ في حجرِي، فلطَمَني وقال: أتريدِينَ مَلِكَ يثربَ؟ قالت: وما كانَ أبغضَ إليَّ مِن رسولِ الله، قتلَ أبِي وزوجِي، فما زالَ يعتذرُ إليَّ، فقال: يا صفيةُ إنَّ أباكِ ألَّبَ عَلِيَّ العربَ وفعلَ وفعلَ يعتذرُ إليها، [قالت] حتَّى ذهبَ ذاكَ من نفسِي»[2].

وكيف كان رسول الله يسترضيها أي صفية رضي الله عنها عندما عايرتها إحدى زوجاته بأنها يهودية كما ذكرنا آنفًا، حتى أصبح رسول الله ﷺ أحب الناس إلى قلبها.

تغاضَ عن غضبها

حين تكون زوجتك غضبى فلا تقف في وجهها لتستكمل فورة غضبها وتغضب أنت لنفسك ويشعل الشيطان نار الغضب في قلبك وقلبها، ولكن إسلامنا الجميل يحل هذه المشكلة التي تهدم كثيرًا من البيوت، وكيف كان النبي ﷺ القدوة الحسنة يتعامل مع مثل هذه المشكلة فيقول الحبيب ﷺ لعائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «إنِّي لأعلمُ إذا كنتِ عنِّي راضيةً، وإذا كنتِ عليَّ غَضبى، قالت: فقلتُ: مِن أين تعرِفُ ذلك؟ فقال: أمَّا إذا كنتِ عنِّي راضيةً، فإنَّكِ قولين :لا وربِّ محمَّدٍ، وإذا كنتِ غَضبى، قلتِ :لا وربِّ إبراهيمَ، قالت: قلتُ: أجَل واللهِ يا رسولَ اللهِ، ما أهجُرُ إلَّا اسمَك»[3].

تسامح معها

تعلم من إسلامنا الجميل التسامح والتعامل بالوفاء والكرم، وتعلم من حبيبنا وسلوك نبينا ﷺ وكيف كان متسامحا حنونا مع زوجاته، فلما كبرت السيدة سودة بنت زمعة ازدادت حدة وخوفا أن يتركها النبي ﷺ وظنت أنه سيطلقها، فقالت له أبقني ولا تطلقني، ووهبت ليلتها لعائشة راضية موافقة، لأنها لم يعد له رغبة في الرجال لكبر سنها، ولرجاحة عقلها وهبت ليلتها لأحب أزواج النبي له وهي عائشة، وكيف تعامل معها النبي بالوفاء والكرم والرحمة وجبر خاطرها وأبقاها ولم يجرح قلبها، فقد روت عائشة رضي الله عنها وعن

[1] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2468 واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1479.
[2] أخرجه ابن حيان في صحيحه برقم5199، وقال الألباني إسناده صحيح في السلسلة الصحيحة برقم6/695، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم9/254.
[3] عن عائشة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له برقم5228، ومسلم في صحيحه برقم2439.

أبيها قالت: «ما رأيتُ امرأةً أحب إليَّ أن أكون في مَسلاخِها من سودةَ بنتِ زَمعةَ. من امرأةٍ فيها حِدَّةٌ. قالت فلما كبرتْ جعلت يومَها من رسولِ اللهِ ﷺ لعائشةَ قالت يا رسولَ اللهِ قد جعلتُ يومي منك لعائشة. فكان رسولُ اللهِ ﷺ يقسِمُ لعائشةَ يومَين: يومَها، ويوم َسودة»[1] .

تعامل معهن بالعدل والمساواة

في إسلامنا الجميل يعلمنا الحبيب ﷺ كيف كان يعدل بين أزواجه ولا يفرق بينهن، لتسود روح المحبة والمودة بينهن، ويروي عروة بن الزبير رضي الله عنهما عن خالته أم المؤمنين عائشة قال: «قالَت عائشَةُ: يا ابنَ أُختي كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يفضّلُ بعضَنا على بعضٍ في القَسْم، من مُكثِهِ عِندنا، وَكانَ قلَّ يومٌ إلَّا وَهوَ يطوفُ علينا جميعًا، فيدنو مِن كلِّ امرأةٍ من غيرِ مَسيسٍ، حتَّى يبلغَ إلى الَّتي هوَ يومُها فيبيتَ عندَها ولقَد قالَت سودةُ بنتُ زَمعةَ: حينَ أسنَّت وفرَقت أن يفارِقَها رسولُ اللَّهِ ﷺ يا رسولَ اللَّهِ، يومي لعائشَةَ، فقبِلَ ذلِكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ منْها، قالت: نقولُ في ذلِكَ أنزلَ اللَّهُ تعالى وفي أشباهِها أراهُ قال: وَإنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا»[2].

حقق لها ما تريد

يعلمنا إسلامنا أن ندخل المحبة والبهجة على قلوب نسائنا، ونحاول استرضاءهن وتحقيق مطالبهن من غير معصية لله العظيم، لأن ذلك يطمئنهن ويشعرن بحبهن لأزواجهن وحب أزواجهن إليهن.

فتروي السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، فتقول: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وعِندِي جارِيَتانِ تُغَنِّيانِ بغِناءِ بُعاثَ، فاضْطَجَعَ علَى الفِراشِ، وحَوَّلَ وجْهَهُ، ودَخَلَ أبو بَكْرٍ، فانْتَهَرَنِي وقالَ: مِزْمارَةُ الشَّيْطانِ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فأقْبَلَ عليه رَسولُ اللَّهِ عليه السَّلامُ فقالَ: دَعْهُما، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُما فَخَرَجَتا، وكانَ يَومَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودانُ بالدَّرَقِ والحِرابِ، فَإمَّا سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ، وإمَّا قالَ: تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فأقامَنِي وراءَهُ، خَدِّي علَى خَدِّهِ، وهو يقولُ: دُونَكُمْ يا بَنِي أرْفِدَةَ حتَّى إذا مَلِلْتُ، قالَ: حَسْبُكِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: فاذْهَبِي»[3].

أشعرها بحبك ودللها

كثيرًا ما كان الحبيب ﷺ يدلل زوجاته ويشعرهن بحبه لهن، وكانت عائشة شديدة الحب لحبيبها وزوجها ﷺ، وكانت تحاول أن تظهر دلالها على الحبيب ﷺ، لترى مكانها في قلب الحبيب ﷺ وترى غيرها مكانتها عند الحبيب ﷺ سواء أكانوا نساء المؤمنين أم زوجاته ﷺ.

فتقول رضي الله عنها وعن أبيها: «دخل الحبشةُ المسجدَ يلعبون فقال لي يا حُمَيراءُ أتُحبّينَ أنْ تنظُري إليهم فقلتُ نعم فقام على البابِ وجئتُه فوضعتُ ذقْني على عاتقِه فأسندتُ وجهي إلى خدِّه قالت ومن قولهم يومئذٍ أبا القاسم طَيِّبًا فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حسبُكِ فقلتُ يا رسولَ اللهِ لا تعجلْ فقام لي ثم قال

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1463، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم4211.
[2] قال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم2135، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد إسناده حسن برقم5/137.
[3] عن عائشة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم949، ومسلم في صحيحه برقم892.

حسبُكِ فقلتُ لا تعجَلْ يا رسولَ اللهِ قالتْ وما لي حبُّ النَّظرِ إليهم ولكن أحببتُ أن يبلغَ النساءَ مَقامُه لي ومكاني منه»[1].

لا تسرع في شكك وثق في أهلك

يعلمنا إسلامنا الجميل من حادثة الإفك واتهام السيدة الفاضلة العفيفة الطاهرة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، وكيف تعامل النبي ﷺ في هذا الموقف العصيب، وعلى كل رجل تُتهم زوجته بالخيانة وهو واثق في صدق زوجته وحبها له ووفائها له ولشرفها، فكان النبي ﷺ صبورا حكيما في تعامله مع عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، ومع من اتهمها زورا وبهتانا، حتى يتبين له ويصل إلى الدليل القاطع في هذا الاتهام الذي يدمر البيوت، فكثيرًا من الأزواج قد يشكون في زوجاتهم بغير دليل أو برهان، فيدمر أسرته ويخرب بيته، فقد مر شهر على الحادثة ورسول الله ﷺ يتألم ولا يتكلم، فروت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها كيف كان النبي ﷺ يعاملها، قالت عائشةُ: «ففَدِمْنا المدينةَ، فاشتَكَيْتُ حين قَدِمْتُ شهرًا، والناسُ يُفِيضون في قولِ أصحابِ الإفْكِ، لا أشعرُ بشيءٍ مِن ذلك، وهو يُرِيبُني في وجعي أني لا أَعْرِفُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الذي كنتُ أرى منه حين أَشْتَكي، إنما يَدْخُلُ عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ فيُسَلِّمُ، ثم يقول: كيف تِيْكُم؟ ثم يَنْصَرِفُ، فذلك يُرِيبُني ولا أَشْعُرُ بالشرِّ، حتى خَرَجْتُ حينَ نَقَهْتُ»[2].

وكيف يتصرف النبي ﷺ فدعا واستشار أقاربه وأهله ليستوضح ويتبين ولا يحكم بالظن، أو بالقول الفاسد، وتقول في موضع آخر من الحديث «قالت: ودعا رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ وأسامةَ بنَ زيدٍ، حين اسْتَلْبَثَ الوحيُ، يسألُهما ويَسْتَشِيرُهما في فِراقِ أهلِه، قالت: فأما أسامةُ أشارَ على رسولِ اللهِ ﷺ بالذي يَعْلَمُ مِن بَراءَةِ أهلِه، وبالذي يعلم لهم في نفسِه، فقال أسامة: أَهْلُك، ولا نعلمُ إلا خيرًا. وأما عليٌّ فقال: يا رسولَ اللهِ، لم يُضَيِّقِ اللهُ عليك، والنساءُ سِواها كثيرٌ، وسلِ الجاريةَ تَصْدُقْك. قالت: فدعا رسولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فقال: أَيْ بريرةُ، هل رأيتِ شيءً يُرِيبُك؟ قالت له بريرةُ: والذي بعثَك بالحقِّ، ما رأيتُ عليها أمرًا قطُّ أُغْمِصُه أكثرَ مِن أنها جاريةٌ حديثةُ السنِّ، تنامُ عن عجينِ أهلِها، فتأتي الداجنَ فتأكلُه»[3].

ثم يسأل رسول الله أكثر ويستيقن من زوجته زينب ضرتها وأكثر زوجاته تنافسًا في حبه ﷺ، وكانت تحدث بينها وبين عائشة رضي الله عنهما كثير من المشادات لغيرتهن في حب رسول الله ﷺ، فلم تستغل الموقف وتقدح فيها، فتكمل عائشة رضي الله عنها الحدث فتقول: «وكان رسولُ اللهِ ﷺ سألَ زينبَ بنتَ جَحْشٍ عن أمري، فقال لزينبَ: ماذا علِمْتِ، أو رأيتِ؟ فقالت: يا رسولَ اللهِ، أحمي سمعي وبصري، واللهِ ما علمتُ إلا خيرًا. قالت عائشةُ: وهي التي كانت تُساميني مِن أزواجِ النبيِّ ﷺ فعَصَمَها اللهُ بالورعِ»[4].

وعندما تأكد رسول الله من أقوال من هم قريبون منه ﷺ ومنها رضي الله عنها، ومن الرجل المتهم بذلك وهو الصحابي الجليل صفوانُ بنُ المُعطِّل السُّلَمِيُّ، قام وكلم الناس في الرجل الذي تحدث عن أهله بالكذب والبهتان، حتى لا تحدث فتنة بين الناس ويقيم الحجة على اتهامه له ولأهله وهو عبد الله بن سلول

---

[1] قال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده صحيح برقم7/818، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم292.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري واللفظ له في صحيحه برقم4141، ومسلم في صحيحه برقم2770.

[3] المصدر السابق.

[4] المصدر السابق.

رأس النفاق في المدينة وعدو الإسلام والرسول ﷺ فقال: «قالت: فقام رسولُ اللهِ ﷺ مِن يومِه فاستَعَذَرَ مِن عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ، وهو على المنبرِ، فقال: يا معشرَ المسلمين، مَن يَعْذُرُني مِن رجلٍ قد بلَغَني عنه أذاه في أهلي، واللهِ ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمتُ عليه إلا خيرًا وما يَدْخُلُ على أهلي إلا معي»[1].

ثم أخيرًا جاءت المصارحه بين رسول الله ﷺ وبين حبيبته وزوجته، بعدما تبين براءتها ممن استشارهم، ولم ينزل الوحى حتى الآن فلم يتسرع الرسول ﷺ في الحكم على زوجته ولكنه تأنى وتمهل واستيقن، ثم كلم عائشة مباشرا في الأمر، وكان قبل ذلك لم يحادثها أو يكلمها فيه؛ خوفا عليها فلا يجرحها مشاعرها أو يؤذي جوارحها فقال لها: «قالت: فتَشَهَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ حين جَلَسَ، ثم قال: أما بعدُ، يا عائشةُ، إنه بلَغَني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً، فسيُبَرِّئُك اللهُ، وإن كنتِ أَلْمَمْتِ بذنبٍ، فاستغفري اللهَ وتوبي إليه، فإن العبدَ إذا اعتَرَفَ ثم تابَ، تابَ اللهُ عليه. قالت عائشة: فلما قضى رسولُ اللهِ ﷺ مقالتَه قَلُصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً، فقلتُ لأبي: أَجِبْ رسولَ الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسولَ اللهِ ﷺ فيما قال، قالت أمي: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ. فقلت: وأنا جاريةٌ حديثةُ السنِّ لا أقرأُ مِن القرآنِ كثيرًا: إني واللهِ لقد علمتُ: لقد سمعتم هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفسِكم وصدقتم به، فلئِن قلتُ لكم: إني بريئةٌ، لا تصدقوني، ولئن اعترَفْتُ لكم بأمرٍ، والله يعلمُ أني منه بريئةٌ، لتُصَدِّقُنِّي، فواللهِ لا أَجِدُ لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسفَ حين قال: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، ثم تحوَّلْتُ واضطَجَعْتُ على فراشي، واللهُ يعلمُ أني حِينئِذٍ بريئةٌ، وأن اللهَ مُبَرِّئي ببراءتي»[2].

كل هذه الأحداث تجري ولم ينزل وحي من السماء على رسول الله ﷺ، ومع عظم الحدث وأهميته يتصرف رسولنا الحبيب ببشريته السمحة وخلقه النبيل الذي مدحه الله عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

ثم ينزل الوحي على رسول الله يبرئ الطاهرة العفيفة الصديقة بيت الصديق رضي الله عنهما فتقول: «فواللهِ ما رامَ رسولُ اللهِ ﷺ مجلسَه، ولا خرَجَ أحدٌ مِن أهلِ البيتِ، حتى أُنْزِلَ عليه، فأخذه ما كان يَأخذه مِن البُرَحَاءِ، حتى إنه لَيَتَحَدَّرُ منه العرقُ مثلَ الجُمَانِ، وهو في يومٍ شاتٍ، مِن ثِقَلِ القولِ الذي أُنْزِلَ عليه، قالت: فسُرِّيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ وهو يَضْحَكُ، فكانت أول كلمةٌ تَكَلَّمَ بها أن قال: يا عائشةُ، أما والله فقد برَّأَكِ»[4].

فماذا كان ردة فعل أمرأة طاهرة عفيفة ومتزوجة من أشرف الخلق وسيد البشرية، لقد كان ردة فعلها مع زوجها وحبيبها هو الغضب الحميد، وكيف له وهو بشر، أن يكون قد شك فيها أو حتى ظن بها سوء كطبيعة البشر في مثل هذه الحالات، فقالت: «فكانت أول كلمةٌ تَكَلَّمَ بها أن قال: يا عائشةُ، أما والله فقد برَّأَكِ. فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت: واللهِ لا أقومُ إليه، فإني لا أحمدُ إلا اللهَ عز وجل، قالت: وأنزل اللهُ تعالى: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم..﴾ العشر الآيات»[5].

---

[1] المصدر السابق.
[2] المصدر السابق.
[3] سورة القلم والآية 4.
[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري واللفظ له في صحيحه برقم4141، ومسلم في صحيحه برقم2770.
[5] المصدر السابق.

فتقبلها رسول الله ﷺ الزوج المحب له متغاضيا لها لحظة غضبها وردة فعلها، ولقد كان ما مرت به عظيمًا عليها وعلى زوجها المحب الرسول الكريم ﷺ صاحب الخلق الرفيع ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[1].

بل وعلى الأمة كلها ليكون درسًا بليغًا لها، ولنتعلم من سيد الخلق خَلقا وخُلقا كيفية مواجة أكبر مشكلة قد تواجه الأسرة المسلمة، وهي الشك في الخيانة الزوجية.

لا تشك فيها وتخونها

ولأن مشكلة الشك في الزوجات قد تحدث أحيانا، فإن إسلامنا الجميل يعطيها اهتمامًا كبيرًا، فهي الهادمة لاستقرار البيوت.

ويحذر الحبيب ﷺ الزوج الذي يشك في أهله ويخونهم، ويتعمد الغياب ثم يفاجئ أهله ليتتبع عثراتهم فقد «نهى رسولُ اللهِ ﷺ أن يطرقَ الرجلُ أهلَه ليلًا يتخوَّنَهم أو يلتمسُ عثراتهم»[2].

وفي قصة الأعرابي الذي حاول أن يتنكر من ولده الذي لم يكن شكله فنهاه النبي ﷺ؛ حيث روي «أنَّ أعرابيًّا أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: إنَّ امرَأتي ولَدَتْ غُلامًا أسوَدَ، وإني أنكَرتُه، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: هل لك من إبِلٍ؟ قال: نعمْ، قال: فما ألوانُها؟ قال: حُمْرٌ، قال: هل فيها من أَورَقَ؟ قال: إنَّ فيها لوُرْقًا، قال: فأنَّى تُرى ذلك جاءها؟ قال: يا رسولَ اللهِ، عِرقٌ نزَعها. قال: ولعلَّ هذا عِرقٌ نزَعه. ولم يُرَخِّصْ له في الانتِفاءِ منه»[3].

والأورق الأسود غير الحالك.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

ويحذرنا ربنا سبحانه وتعالى فيقول في قرآنه العظيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5].

عقاب الرجل للمرأة

إن للرجل أن يعاقب زوجته إذا حدث منها خطأ جسيم، ومع هذا الحق، فإن إسلامنا الجميل لم يطلق العنان للرجل أن يعاقب المرأة أو ينتقم منها بالظلم والقهر، بل يدلنا إسلامنا الجميل بالرفق والعدل والتغافل قليلا وترك الزمن ليصلح ما فسد من العلاقة بينهما، وإن وصل أمر الخلاف للضرب فلا يضرب الضرب المبرح كما ذكرنا، وإن كان آخر العلاج، فقد حدث مع رسول الله مواقف كثيرة مع أزواجه ورأينا كيف تعامل ﷺ بالحسنى والخلق الرفيع والأدب الجم معهن، فازددن حبا له وشوقا إليه وغيرة عليه.

---

[1] سورة النور الآية 15.
[2] عن جابر بن عبد الله وأخرجه مسلم في صحيحه برقم715، وابن حبان في صحيحه برقم4182.
[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم7314 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1500.
[4] سورة الحجرات الآية 12.
[5] سورة النور الآية 23.

وتروي كتب السنة أنه ﷺ قد طلّق إحدى زوجاته عقابا لها، وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقد روى الفاروق عمر بن الخطاب أبو حفصة رضي الله عنهما: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ، كانَ طَلَّقَ حفصَةَ، ثمَّ راجعَها»[1].

وكان الطلاق هنا الحل الأمثل، ولنرى ماذا حدث، فقد روت كتب السيرة الصحاح أن سبب الطلاق كان إفشاء حفصة رضي الله عنها وعن أبيها سر رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها وعن أبيها، فعاقب رسول الله ﷺ حفصة رضي الله عنها وعن أبيها بطلاقها تطليقة؛ حتى تعرف جرم ما ارتكبت ولترتدع باقي زوجاته بعد ذلك، وكان لهذا الطلاق الأثر الكبير في نساء النبي ﷺ فاعتدلن في تعاملهن وقلت الشحناء وقلت المجادلات وقلت المراجعات منهن له ﷺ، ثم رد النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها وعن أبيها بعد ذلك.

وقد عدد كُتّاب السيرة ما سر النبي ﷺ الذي أفشته حفصة رضي الله عنها وعن أبيها، هل هو بسبب تحريمه مارية أم أبراهيم رضي الله عنها، أم بسبب تحريمه أكل العسل الذي كان يأكله عن زينب بنت جحش رضي الله عنها، أو بسبب حديثه لها باستخلاف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده، فلما أنبأه الله سبحانه وتعالى بفعل حفصة رضي الله عنها وعن أبيها عرفها رسول الله ﷺ ببعض ما قالت وأعرض عن باقي مقالتها إكرامًا لها، ولكنه ﷺ غضب عليها فعاقبها فطلقها لعظم إفشاء سره ﷺ، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذه القصة في القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[2].

صل زوجتك ولا تهملها

إسلامنا الجميل يقول للزوجة اصبري على زوجك، وتعاوني معه في إسعاده وإسعاد نفسك وأولادك، فأنت تتحملين العبء الأكبر في إسعاد الأسرة، ولا تتذمري من شظف العيش أو ضنك الحياة، فما هي إلا قليل وتنعمين بالنعيم الدائم مع زوجك وأولادك، يقول ربنا سبحانه وتعالى في وصف الدنيا الزائلة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[3].

وستلحقين بزوجك أو سيلحق بك، أيهما أعلى درجة في الجنة فسيرفعه الله إليه ليلحق بأهله.

قال رحمن الدنيا والآخرة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[4].

---

[1] قال الألباني في صحيح أبي داود صحيح برقم2283، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم3562.
[2] سورة التحريم الآية 3.
[3] سورة الحديد الآية 20.
[4] سورة الطور الآية 21.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[1].

ولمحي في شكواك عن إهمال زوجك لك ولا تصرحي، وخذي من زوجة أبي الدرداء وزوجة عثمان بن مظعون وزوجة عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم أسوة حسنة، فقد قال لهم الرسول لكل واحد منهم إن لزوجتك عليك حقًّا فلا تهملها، فقال في حق عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وراوي الحديث عائشة رضي الله عنها وعن أبوها قالت: «دَخَلَتْ عَلَيَّ خُوَيْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةُ وكانتْ عندَ عثمانَ بنِ مظعونٍ فرأي بَذَاذَةَ هَيْئَتِهَا، فقال لي: يا عائشةُ ما أبَذَّ هيئَةِ خويلةَ، قالتْ: فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ امرأةٌ لا زوجَ لها تصومُ النهارَ وتقومُ الليلَ فهِيَ كَمن لا زوجَ لها، فتَرَكَتْ نَفْسَهَا وأَضَاعَتْهَا، قَالَتْ: فَبَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى عثمانَ بنِ مظعونٍ فجاءَهُ، فقالَ: يَا عثمانُ أَرَغِبْتَ عنْ سُنَّتِي؟ قال: لَا واللهِ يا رسولَ اللهِ، ولكن سُنَّتَكَ أطلُبُ، قال: فإنِّي أنامُ وأُصَلِّي وأصومُ وأُفْطِرُ وأَنْكِحُ النساءَ، فاتَّقِ اللهَ يا عثمانُ، فإنَّ لِأَهْلِكَ علَيْكَ حقًّا، وإنَّ لِضَيْفِكَ علَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حقًّا، فصمْ وَأَفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ»[2].

وفي رواية أخرى «دخَلَتِ امْرأةُ عُثمانَ بنِ مَظْعونٍ -أحسَبُ اسْمَها خَوْلةَ بِنتَ حَكيمٍ- على عائِشةَ وهي باذَّةُ الهَيئَةِ، فسألَتْها: ما شَأنُكِ؟ فقالَتْ: زَوْجي يَقومُ الليلَ، ويصومُ النهارَ، فدخَلَ النبيُّ ﷺ فذكَرَتْ عائِشةُ ذلك له، فلقِيَ رسولُ اللهِ ﷺ عُثمانَ فقال: يا عُثمانُ، إنَّ الرَّهْبانيَّةَ لم تُكتَبْ علينا، أفَما لكَ فيَّ أُسوَةٌ، فواللهِ إنِّي أخْشاكُم للهِ، وأحفَظُكُم لحُدودِه»[3].

وقال في حق أبو الدرداء: «آخَى النبيُّ ﷺ بين سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزار سَلمانُ أبا الدَّرداءِ، فرأي أمَّ الدَّرداءِ مُتَبَذِّلَةً، فقال لها: ما شأنُك؟ قالتْ: أخوك أبو الدَّرداءِ ليس له حاجةٌ في الدنيا. فجاء أبو الدَّرداءِ، فصنَع له طعامًا، فقال: كُلْ، قال: فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تأكُلَ، قال: فأكَل، فلما كان الليلُ ذهَب أبو الدَّرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام، ثم ذهَب يقومُ، فقال: نَمْ، فلما كان من آخِرِ الليلِ، قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلَّيا، فقال له سَلمانُ: إن لربِّك عليك حقًّا، ولنفْسِك عليك حقًّا، ولأهلِك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتَى النبيَّ ﷺ فذكَر ذلك له، فقال النبيُّ ﷺ: صدَق سَلمانُ»[4].

وقال في حديث ابن عمرو: «دخَل عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: ألم أُخبَرْ أنك تقومُ الليلَ وتصومُ النهارَ. قلتُ: بلَى، قال: فلا تفعَلْ، قُمْ ونَمْ، وصُمْ وأفطِرْ، فإن لجسَدِك عليك حقًّا، وإن لعينِك عليك حقًّا، وإن لزَورِك عليك حقًّا، وإن لزَوجِك عليك حقًّا»[5].

احفظي له غيرته عليك

---

[1] سورة الرعد الآية 23.

[2] عن عائشة وأخرجه أبو داود في سننه برقم1369، وأخرجه أحمد في مسنده باختلاف يسير برقم26351، وقال فيها الألباني في صحيح الجامع صحيح في صحيح الجامع برقم7946، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم 26308.

[3] عن عائشة، وقال وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم 25893، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين برقم4/387.

[4] عن وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة وأخرجه البخاري في صحيحه برقم1968، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2413.

[5] عن عبد الله بن عمرو والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6134، ومسلم في صحيحه برقم1159.

يعلمنا إسلامنا الجميل أن على الرجل أن يصبر على غيرة زوجته، فيتغاضى عن كثير من ردة فعلها، كما فعل الحبيب ﷺ مع زوجاته رضي الله عنهن، ودعا المرأة أن تحافظ على بيتها وتراعي غيرة زوجها عليها، ولا تتسبب في زيادة غيرته عليها، وإن كانت هذه الغيرة تسعدها في كثير من الأحيان، بل وتتجنب الأسباب التي تؤدي إلى غيرته، وتسبب المشاكل والتعاسة لها وله، وربما تصل إلى الطلاق وهدم الأسرة.

وكان رسول الله ﷺ يغير على أهله كطبيعة البشر عامة، وكان أشد غيرة عندما تنتهك حرمات الله وأوامره.

فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «دخل رسولُ اللهِ ﷺ وعندي رجلٌ قاعدٌ، فاشتدَّ ذلك عليه، ورأيتُ الغضبَ في وجهِه. قالت: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إنه أخي من الرضاعةِ. قالت: فقال: انظُرْنَ إخوتَكنَّ من الرضاعةِ، فإنما الرضاعةُ من المجاعةِ. وفي روايةٍ: كمعنى حديثه، غير أنهم قالوا (من المجاعةِ)»[1].

ومعناها أنه يجب التحقق من صحة الرضاعة ووقتها ومدتها، وحرمة الرضاعة هي من كانت للصغير الذي يرضع وتسد الرضاعة مجاعته وتشبعه.

وكان يغير من المخنث ومنعه من دخوله على نسائه، فقد روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: «دخل النبيُّ ﷺ وعندي مُخَنَّثٌ، فسمِعَه يقولُ لعبدِ اللهِ بنِ أميةَ: يا عبدَ اللهِ، أرأيتَ إن فتحَ اللهُ عليكم الطائفَ غدًا، فعليك بِابْنَةِ غَيْلانَ، فإنها تُقبِلُ بأربعٍ وتُدبِرُ بثمانٍ، وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لا يَدخُلن هؤلاء عليكُن»[2].

فوصف هذا المخنث المرأة ابنة غيلان وصف من يعرف مفاتن النساء ومواضع الجمال، ولهذا منع النبي دخول المخنثين على نسائه غيرة عليهن، لأن لا يتجرأ هذا المخنث ومثله من وصف نساء النبي رضي الله عنهن.

وقصة أم إبراهيم السيدة مارية رضي الله عنها وما شابها من دخول ابن عم لها عليها وغيرته ﷺ من هذا الرجل، فقد روى عليّ رضي الله عنه قال: «أنَّ رجلًا كان يُتَّهم بأمِّ ولدِ رسولِ اللهِ ﷺ فقال رسولُ اللهِ ﷺ لعليٍّ: اذهبْ فاضربْ عُنُقَه فأتاه عليٌّ فإذا هو في ركي يتبرَّدُ فيها فقال له عليٌّ: اخرجْ فناوله يدَه فأخرجه فإذا هو مجبوبٌ ليس له ذَكرٌ، فكفَّ عليٌّ عنه، ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ إنه لَمجبوبٌ، ما له ذكر»[3].

---

[1] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5102، ومسلم في صحيحه برقم1455 واللفظ له.

[2] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم4324، ومسلم في صحيحه برقم2180.

[3] عن على بن أبي طالب وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2771، وفي رواية أخرى لأنس قال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه ابن لهيعة وهو ضعيف برقم9/164، ورواه البيهقي في الأوسط برقم4/89، وفي رواية عبد الله بن عمرو قال الهيثمي فيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف برقم9/164.

واطمأن قلب الرسول ﷺ عندما أخبره جبريل أنه أبا إبراهيم وبراءة مارية من تهمة الزنا رضي الله عنها فقد روى أنس بن مالك قال: «لَمَّا وُلِدَ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من ماريَّةَ -جاريةٍ- وقع في نفس النبي ﷺ منه شيءٌ حتى أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم، فقال السلام عليك أبا إبراهيمَ»[1].

وروت أم سلمة رضي الله عنها «كنْتُ قاعدةً عندَ النَّبيّ ﷺ أنا وحفصةُ، فاستأْذَنَ ابنُ أُمِّ مَكتومٍ، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: احْتَجِبَا منه، فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّه ضَريرٌ لا يُبْصِرُ، فقال: أفَعَمْياوانِ أنتما لا تُبْصِرانِ؟»[2].

وغيرته ﷺ على كل المسلمين فقال: «أنَّ نفرًا من بني هاشمٍ دخلوا على أسماءَ بنتِ عميسٍ، فدخل أبو بكرٍ الصديقُ، وهي تحتَه يومئذٍ، فرآهم، فكرَهَ ذلك، فذكر ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ وقال: لم أرَ إلا خيرًا. فقال: رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ اللهَ قد برَّأَها من ذلك، ثم قام رسولُ اللهِ ﷺ على المنبرِ فقال: لا يدخلَنَّ رجلٌ، بعد يومي هذا، على مُغيبةٍ، إلا ومعَه رجلٌ أو اثنانِ»[3].

وتتحدث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه، وكيف حفظت هذه الغيرة، رغم تعبها، ولم تركب مع رسول الله ﷺ وأنها أبت أن تعمل عملًا قد يسبب غيرة الزبير أو تسبب مشاكل لبيتها وسعادتها مع زوجها، فتقول: «تَزوَّجَني الزُّبيرُ، وَما لَه في الأرضِ مِن مالٍ وَلا مَملوكٍ، وَلا شيءٍ، غَيرَ ناضحٍ وغيرَ فَرسِه، فكُنتُ أَعلِفُ فَرسَه وأَستقي الماءَ، وأَخرِزُ غَرْبَه وأَعجِنُ، وَلم أَكنْ أُحسِنُ أَخبِزُ، وكان يَخبِزُ جاراتٌ لي مِنَ الأَنصارِ، وكُنَّ نِسوةَ صِدْقٍ، وكُنتُ أَنقُلُ النَّوى مِن أَرضِ الزُّبَيرِ الَّتي أَقطَعَه رَسولُ اللهِ ﷺ عَلى رَأسي، وَهي مِنِّي عَلى ثُلُثي فَرسخٍ، فجِئتُ يومًا وَالنَّوى عَلى رَأسي، فلَقيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ وَمَعه نَفرٌ مِنَ الأَنصارِ، فَدَعاني، ثُمَّ قال: إخ إخ؛ لِيحمِلَني خَلفَه، فَاستَحيَيْتُ أنْ أَسيرَ معَ الرِّجالِ، وذَكَرتُ الزُّبيرَ وغَيرَتَه، وَكان أَغْيَرَ النَّاسِ، فعَرَفَ رَسولُ اللهِ ﷺ أنِّي قدِ استَحيَيْتُ، فَمضى، فجِئتُ الزُّبيرَ، فقُلتُ: لَقيَني رَسولُ اللهِ ﷺ وَعلى رَأسي النَّوى، وَمعَه نَفرٌ مِن أَصحابِه، فأَناخ لِأَركَبَ، فَاستَحيَيْتُ مِنه وَعرَفْتُ غَيرَتَك، فَقال: واللهِ لَحملُكِ النَّوى كان أشدَّ عليَّ مِن رُكوبِك مَعه قالَت: حتَّى أَرسلَ إليَّ أبو بكرٍ بَعدَ ذلكَ خادمًا يَكفيني سياسَةَ الفَرَسِ، فَكأنَّما أَعتَقَني»[4].

والرجال عادة يغارون على نسائهم، وقد تكون هذه الغيرة شديدة فتسبب المشاكل والمشاجرات بين الرجل وزوجته، فمن هذه الغيرة الشديدة ما رواه المغيرة بن شعبة عن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال: قال سعدُ بنُ عُبادةَ: «لو رأيتَ رجلًا مع امرأتي لضربتُه بالسيفِ غير مُصفِحٍ، فبلغ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ فقال: تعجبون من غيرةِ سعدٍ، واللهِ لأنا أغيرُ منه، واللهُ أغيرُ مني، ومن أجلِ غيرةِ اللهِ حرَّمَ الفواحشَ ما ظهر منها

---

[1] رواه البزار في البحار الزخار المعروف بسننه برقم6331 واللفظ له، والطبراني في الأوسط برقم3687 مطولا، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح برقم4/332.

[2] عن أم سلمة ورواه أبو داود في سننه برقم4112، والترمذي في سننه برقم2778، والنسائي في السنن الكبرى برقم9241، وأحمد في مسنده برقم26537، وقال الألباني ضعيف في ضعيف أبي داود برقم4112، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم 26537.

[3] عن عبد الله بن عمرو وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2173، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7681، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم5585، وقال في تخريج المسند إسناده صحيح برقم6744.

[4] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5224، ومسلم في صحيحه برقم2182.

وما بطن، ولا أحدَ أحب إليه العذرُ من اللهِ، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحدَ أحب إليه المُدحةُ من اللهِ، ومن أجل ذلك وعد اللهُ الجنةَ» [1].

ويصحح رسولنا ﷺ الغيرة للرجال، فلا يغير الرجل على زوجته غيرة تخنقها وتتسبب في تعاسة بيته وأسرته، وقد تسبب الفراق والطلاق بغير حق، فحق عليك الغيرة على زوجتك وبها تسعد زوجتك وتشعرها باهتمامك بها وحبك لها، أما الغيرة بالشبهة وبغير بينة، فقد تلاعب بك شيطانك وأدخل في ذهنك الأفكار السيئة التي تهدم بيتك وتحطم أسرتك، فيقول لك الرسول الحبيب ﷺ: «منَ الغَيرةِ ما يحبُّ اللَّهُ ومِنها ما يُبغِضُ اللَّهُ، فأمَّا الَّتي يحبُّها اللَّهُ فالغيرةُ في الرِّيبةِ، وأمَّا الغيرةُ الَّتي يُبغِضُها اللَّهُ فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ، وإنَّ منَ الخُيَلاءِ ما يُبغضُ اللَّهُ، ومنها ما يحبُّ اللَّهُ، فأمَّا الخيلاءُ الَّتي يحبُّ اللَّهُ فاختيالُ الرَّجلِ نفسَهُ عندَ القتالِ، واختيالُهُ عندَ الصَّدَقةِ، وأمَّا الَّتي يبغضُ اللَّهُ فاختيالُهُ في البغيِ والفخرِ» [2].

فالغيرة التي يحبها الله فهي الغيرة في الريبة، وهي أن ترى فعلًا محرمًا أو مكروهًا على زوجتك، مثل رؤية زوجتك في العمل تحدث زميلها وهما في مكانٍ خالٍ عن زملائهما، أو تخرج معه بلا زملاء معهما، كما يحدث عند خروج الزوجة للعمل ومخالطة زملائها في العمل، أما الغيرة البغيضة فهي التي تكون في غير ريبة كأن تغير على فعل حلال، كما في زاوج زوجتك السابقة، أو زواج أمك مثلا، فتغير وتحنق وتحاول بشتى الطرق منع هذا الحلال.

فقد زوج أنس بن مالك أمه أم سليم مليكة بنت ملحان من أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين، فعندما كبر أنس وجاء أبو طلحة لخطبتها ووافقت أمه، قالت لأنس: «يا أنس، زوِّج أبا طلحة، فزوَّجها» [3].

ومن الرجال من لا يغيرون على نسائهم وهم الرجال الديايثة، والديوث وهو الذي لا يغار على زوجته، ويرى الفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار عليها، بل قد يسهل لها هذه الفاحشة فيتسبب في خراب بيته وفساد زوجته وتدمير المجتمع.

فقد قال النبي ﷺ في حقه: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنَّةَ أبدًا: الدَّيُّوث، والرَّجِلَةُ من النساءِ، ومُدمنُ الخمرِ قالوا: يا رسولَ اللهِ أما مُدمنُ الخمرِ فقد عرَفْناه، فما الدَّيُّوث؟ فقال: الذي لا يُبالي من دخل على أهلِه، قُلنا: فما الرَّجِلَةُ من النساءِ، قال: التي تشبَّه بالرِّجالِ» [4].

ويقول ﷺ في حديث آخر: «ثلاثةٌ لا ينظرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إليهم يومَ القيامةِ ؛ العاقُّ لوالِدَيهِ، والمرأةُ المترجِّلةُ، والدَّيُّوثُ، وثلاثةٌ لا يدخُلونَ الجنَّةَ: العاقُّ لوالِدَيهِ، والمدمِنُ على الخمرِ، والمنَّانُ بما أعطى [5].

خذ برأيها

---

[1] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم7416 واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1499.

[2] عن جابر بن عتيك وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2659، وقال حسن في صحيح الجامع برقم2221، وقال حسن في صحيح النسائي برقم2557.

[3] رواه النسائي في السنن الكبرى برقم5395، وابن أبي شيبة برقم17645، وقال الحاكم في المستدرك هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرط الشيخين برقم1134.

[4] عن عمار بن ياسر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم10800، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم2071.

[5] عن عبد الله بن عمر وقال الألباني حسن صحيح في صحيح النسائي برقم2561، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم3071.

من جمال إسلامنا في معاملته للمرأة أنه لم يسفه رأيها وجعل لها رأيا وكلمة تسمع وتطاع، فقد كانت ملكة سبأ لها رأي سديد وقرار صائب في تعاملها مع رسالة سيدنا سليمان عليه السلام، وكيف كان رجاحة عقلها سببا في إسلامها معه لله برب العالمين.

فيقول ربنا واصفا رجاحة عقلها وحسن تصرفها: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[1].

ويحدثنا التاريخ كيف أخذ رسول الله ﷺ برأي أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها، وقد كان لها رأي راجح، وكيف كان رأيها فيه نجاة للصحابة رضي الله عنهم بعد امتناعهم من تنفيذ أمر النبي ﷺ من التحلل من الإحرام يوم صلح الحديبية، فقد روى الصحابيان المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما من حديث يوم الحديبية «فلما فَرَغَ مِن قضيةِ الكتابِ، قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِه: قوموا فانحَرُوا ثم احْلِقُوا. قال: فواللهِ، ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاثَ مراتٍ، فلما لم يَقُمْ منهم أحدٌ دخَلَ على أمِّ سَلَمَةَ، فذَكَرَ لها ما لَقِيَ مِن الناسِ، فقالت أمُّ سَلَمَةَ: يانبيَّ اللهِ، أَتَحُبُّ ذلك، اخرُجْ لا تُكَلِّمْ أحدًا منهم كلمةً، حتى تَنْحَرَ بُدْنَك وتَدْعُوَ حالقَك فيَحْلِقَكَ. فخَرَجَ فلم يُكَلِّمْ أحدًا منهم حتى فعَلَ ذلك، نحَرَ بُدْنَه، ودعا حالقَه فحَلَقَه، فلما رأَوْا ذلك قاموا فنَحَرُوا وجعَلَ بعضُهم يَحْلِقُ بعضًا، حتى كاد بعضُهم يُقْتَلُ غمًّا»[2].

لا تضربها

فقضية ضرب المرأة رغم شناعتها ففي إسلامنا الجميل قضية محلولة، احترم فيها الإسلام المرأة وصانها وحافظ على كرامتها، وإذا حدث منها إعراض أو نشوز عن زوجها، جعل إسلامنا الجميل لها حلولًا كثيرة ومتنوعة كما ذكرنا، فقد قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3].

فمنها الحديث بالحسنى بينها وبينه، ويتخير الزوج الوقت المناسب لتستمع الزوجة للنصح له وتنهي حالة النشوز، فإذا لم تستجب فله أن يهجرها ولكن في داخل البيت، ولا يكلمها ولا يبيت معها أو يعاشرها، فإذا أجدى هذا العلاج فبه ونعمة، فإذا لم يفلح فله ضربها ضرب غير مبرح، كما أمره الشرع، والضرب غير المبرح كما ذكرنا لا يترك أثرًا ولا يحدث إصابة ولا ينزف دمًا، ولقد علمنا أن النبي ﷺ كما ذكرت عائشة ما ضرب امرأة قط، وإن كان في طبع بعض الرجال الضرب سواء كان لزوجته أو ولده أو خادمه، فقد قوم إسلامنا الجميل هذا السلوك السيئ بتحديد نوعية الضرب كما ذكرنا، ولقد كان للنبي ﷺ يكره أن يضرب الرجل امرأته، وجعله سببًا في التخيير بين الأزواج، فقد رفض النبي الحبيب ﷺ أبو جهم بن هشام لأنه كان يضرب، فقد روت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت: «فلمَّا حللتُ ذَكرتُ لَهُ أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيان، وأبا جَهمٍ خطباني، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أمَّا أبو جَهمٍ، فلا يضَعُ عصاهُ عن عاتقِهِ، وأمَّا معاويةُ

[1] سورة النمل الآية 32 – 35.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه برقم2731، وابن حبان في صحيحه برقم4872، وأبو داود في سننه برقم1754.

[3] سورة النساء الآية 19.

فصُعلوكٌ لا مالَ لَه، انْكِحي أسامةَ بنَ زيدٍ» فَكرِهتُه، ثمَّ قال: «انْكحي أسامَةَ»، فنَكحتُه، فجعلَ اللَّهُ فيهِ خيرًا، واغتبطتُ»[1].

فحين استشارته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في أمر خطابها زوجها رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما، لما له من خلق طيب وحسن معاشرة، ولم يزوجها لجهم بن هشام رضي الله عنه؛ لأنه كان لا يضع عصاه على عاتقه كناية عن استخدامه عصاه دائمًا في الضرب، فكان سببًا لرفضه.

ونهيه ﷺ عن ضرب النساء في حديثه الجميل: «لا يَجلِدْ أحدُكم امرأتَه جَلْدَ العَبدِ، ثمَّ يجامِعَها في آخرِ اليومِ»[2].

بل جعل رسول المحبة والرحمة ﷺ ضرب الرجل لزوجته سببًا في طلب الطلاق والخلع، فروت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «أنَّ حبيبةَ بنتَ سَهلٍ كانت عندَ ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمَّاسٍ فضربَها فَكسرَ بعضَها، فأتت رسولَ اللَّهِ ﷺ بعدَ الصُّبحِ فاشتَكتهُ إليهِ فدعا النَّبيُّ ﷺ ثابتًا، فقالَ خذ بعضَ مالِها وفارقها، فقالَ ويصلحُ ذلِك يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ نعم قالَ فإنِّي أصدقتُها حديقتينِ وَهما بيدِها، فقالَ النَّبيُّ ﷺ خذهما وفارقها ففعلَ»[3].

أرضِ زوجك

إسلامنا الجميل يريد للأسرة المسلمة دوام المودة والرحمة والحب، ولذا أمر الزوج والزوجة بحسن المعاملة، فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4]؛ أي على الرجال حسن المعاشرة والصحبة والمودة كما عليها حسن طاعة الزوج وحسن المعاشرة له.

والزوجة تتقي الله في زوجها بحسن معاشرته وطاعته وإن كرهته، فلو جعلت ذلك لله تعالى كما أمرها واحتسبت ذلك عند الله، فلها أجر عظيم لطاعتها لربها في زوجها، ولعل الله أن يحبب إليها زوجها وأن يزيل عنها هذا الكره، أو يحسن من خلق زوجها فتحبه، فالقلوب بين يدي الله يقلبها كيف يشاء، وكذلك الزوج فقال له الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[5].

ويقول رسولنا الحبيب ﷺ: «أيُّمَا امرأَةٍ ماتتْ وزوجُها عنها راضٍ دخلتِ الجنة»[6].

وكوني ممن تسري زوجها إذا نظر إليها، وبالكلمة الحلوة تملكي قلب زوجك وكيانه.

قال الحبيب ﷺ: «خيرُ النِّساءِ مَن تَسُرُّكَ إذا أبْصَرْتَ، وتُطِيعُكَ إذا أمَرْتَ، وتَحْفَظُ غَيْبَتَكَ في نفسِها ومالِكَ»[1].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1480، وابن حبان في صحيحه برقم4049، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2284.
[2] عن عبد الله بن زمعة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5205، ومسلم في صحيحه برقم2855.
[3] رواه الطبري في تفسيره جامع البيان برقم4808 أو برقم4/553، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2228.
[4] سورة البقرة الآية 228.
[5] سورة النساء الآية 19.
[6] عن أم سلمة وأخرجه الترمذي في سننه وقال حسن غريب، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه برقم364، وقال ضعيف في ضعيف الجامع برقم2227، وقال في تحقيق رياض الصالحين في إسناده مجهولان برقم292.

و«قيل لرسولِ اللهِ ﷺ أيُّ النساءِ خيرٌ؟ قال: التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعُه إذا أمر، ولا تخالفُه في نفسِها ومالها بما يكره»[2].

وقال الحبيب ﷺ: «ثلاثٌ من السعادةِ، وثلاثٌ من الشقاوةِ، فمن السعادةِ: المرأةُ تراها تُعجبكَ، وتَغيبُ فتأمنُها على نفسِها ومالكَ.. ومن الشقاءِ: المرأةُ تراها فتسوؤك، وتحملُ لسانَها عليك، وإن غبتَ عنها لم تأمنْها على نفسِها ومالِك»[3].

لا تكرهها

يريد إسلامنا الجميل حياة سعيدة للأسرة، ومجتمعًا قائمًا على الحب والمودة والرحمة، والبيوت المسلمة قائمة على الحب والتفاهم والمودة والرحمة؛ لأنها من آيات الله في الزواج فيقول ربنا الكريم: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

وإذا كرهها الزوج فإسلامنا الجميل يحثه على حسن معاملتها، فليست كل البيوت تبنى على الحب، ولكن تبنى أكثر على الاحترام والمودة وإعطاء كل ذي حق حقه، ومنهما ينشأ الحب.

ونصح رسول الله ﷺ الزوج فقال له: «لا يفرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كرِهَ منْها خُلقًا رضِيَ منْها آخرَ أو قال: غيرَهُ»[5].

والفرك هو البغض والكره، أي ليس الزوجة سيئة تماما وليست طيبة تماما، وهو كذلك، ولكن كعادة البشر فيهما الطبعان وقد يغلب أحدهما على الآخر، ويدلنا إسلامنا الجميل أن نقبل ذلك بذاك، ولا نتعجل ببغض الزوجة لو ظهر منها خلق سيئ أو تصرف لا يرضي الزوج، لأن الله حباها خلقًا آخر حسنًا، وكذلك الزوج قد يغلب عليه خلق سيئ أو تصرف غير سليم لا يرضي زوجته، لكنه له خلق آخر طيب، وعلى الزوج والزوجة اكتشاف وإخراج الأفضل والأحسن في طباعهما وتصرفاتهما ليسعدا في الدنيا والآخرة.

(كَانَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ سَيِّئَةُ الْعِشْرَةِ وَكَانَتْ تُقَصِّرُ فِي حُقُوقِهِ وَتُؤْذِيهِ بِلِسَانِهَا، فَيُقَالُ لَهُ فِي أَمْرِهَا وَيُعْذَلُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا، فَكَانَ يَقُولُ: أَنَا رَجُلٌ قَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ عَلَيَّ النِّعْمَةَ فِي صِحَّةِ بَدَنِي وَمَعْرِفَتِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي، فَلَعَلَّهَا بُعِثَتْ عُقُوبَةً عَلَى ذَنْبِي فَأَخَافُ إِنْ فَارَقْتُهَا أَنْ تَنْزِلَ بِي عُقُوبَةٌ هِيَ أَشَدُّ مِنْهَا)[6].

ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا

---

[1] عن عبد الله بن سلام وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم3299، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه رزيك بن أبي رزيك ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات برقم4/276.

[2] عن أبي هريرة ورواه أحمد في مسنده برقم7421، وقال الألباني حسن صحيح في صحيح النسائي برقم3231، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم3298.

[3] عن سعد بن أبي وقاص وقال الألباني حسن في صحيح الترغيب برقم1915، وقال حسن في صحيح الجامع برقم3056، وقال حسن في السلسلة الصحيحة برقم1047.

[4] سورة الروم الآية 21.

[5] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1467، وقال الألباني صحيح في غاية المرام برقم247، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم7741

[6] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (تفسير سورة النساء الآية 19).

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شيئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

يخبرنا ربنا الرحيم أن المؤمن لا يكره شيئًا قد يجعل الله فيه خيرًا له، أو يحب شيئًا قد يجعل الله فيه شرًّا له، فالأمر كله لله، ولو أسقطناه على علاقتنا الأسرية فإن إسلامنا الجميل يدلنا على حسن العشرة، وألا يعجل الزوج أو الزوجة في بغض وكره الآخر، فالصبر على الآخر وتحمله والتغاضي قليلا، تستقر معه الأسر وتستمر، فقد يجعل الله فيه خيرًا كثيرًا.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شيئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خيرًا كثيرًا﴾[2].

وكما ذكرنا في حديث أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يفرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كرِهَ منْها خُلقًا رضِيَ منْها آخرَ أو قال: غيرَهُ»[3].

هل البيوت تُبنى على الحب فقط؟

في إسلامنا الجميل تبنى البيوت على المودة والرحمة التي أرساها الله سبحانه وتعالى في قلبي الزوجين، فقد كانا مختلفين فجمعهما الله وألف بينهما وجعل بينهما مودة ورحمة بقدرته، قال سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

ومع هذه المودة والرحمة ينشأ الحب بين الزوجين، وإن لم ينشأ الحب في البيوت فيكفيهما المودة والرحمة واحترام كل منهما الآخر، وبهم تبنى البيوت وتعمر.

فالرجل يحسن إلى زوجته ويكرمها ويحافظ على شعورها، وإن كرهها لا يهنها ويجرح مشاعرها ويبقيها معه، والمرأة تصبر على زوجها وتحسن إليه وتطيعه، فليست كل البيوت تبنى على الحب.

وقال الفاروق عمر رضي الله عنه لامرأة سألها زوجها هل تبغضه؟ فقالت: نعم، فقال لها عمر: «فلتكذب إحداكن، ولتجمل، فليس كل البيوت تبنى على الحب، ولكن معاشرة على الأحساب، والإسلام»[5].

فقد روي «أن رجلًا جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشيره في طلاق امرأته، فقال له عمر: لا تفعل، فقال الرجل: ولكني لا أحبها قال عمر رضي الله عنه: ويحك وكم من البيوت يبنى على الحب؟ فأين الرعاية وأين التذمم؟»[6].

---

[1] سورة البقرة الآية 216.
[2] سورة النساء الآية 19.
[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 1467، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم 7741، وقال في غاية المرام صحيح برقم247.
[4] سورة الروم الآية 21.
[5] عن أبي غرزة وأورده المتقى الهندى في كنز العمال برقم45859 عن ابن جرير الطبري.
[6] عشرة النساء للنسائى ص177.

فالرعاية: وهي التي يرعى كل من الزوج والزوجة بعضهما وأن يتعاونا في تطبيق ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات.

والتذمم: وهو الاستحياء والتحرج من أن يصبح الرجل مصدرًا لتفريق الشمل وتقويض البيت وهدم الأسرة وتشتت الأولاد، وتعاسة الزوجة.

وفي رواية أخرى عن الفاروق عمر رضي الله عنه عن «ابن أبي عزرة الدؤلي، وكان في خلافة عمر يخلع النساء التي يتزوجها، فطار له في الناس من ذلك أحدوثة فكرهها، فلما علم بذلك، قام بعبد الله بن الأرقم حتى أدخله بيته، فقال لامرأته، وابن الأرقم يسمع: أنشدك بالله، هل تبغضينني؟ فقالت امرأته: لا تناشدني. قال: بلى. فقالت: اللهم نعم. فقال ابن أبي عزرة لعبد الله: أتسمع. ثم انطلق حتى أتى عمر، ثم قال: يا أمير المؤمنين، يحدثون أني أظلم النساء، وأخلعهن، فاسأل عبد الله بن الأرقم عما سمع من امرأتي، فسأل عمر عبد الله، فأخبره، فأرسل عمر إلى امرأته، فجاءت، فقال لها: «أنت التي تحدثين زوجك أنك تبغضينه؟»، قالت: يا أمير المؤمنين، إني أول من تاب، وراجع أمر الله، إنه يا أمير المؤمنين أنشدني بالله، فتحرجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: «نعم، فاكذبي، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدًا، فلا تحدثه بذلك، فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والإحسان»[1].

لاعبها وسابقها وأدخل السرور عليها

إسلامنا الجميل يرشد الزوج والزوجة أن يصبح عشهما عشًّا جميلًا سعيدًا، ويبدد عنهما رتابة الحياة وتكرار أحداثها، فما المانع الذي يمنع الزوج أن يدخل السرور والبهجة على قلب زوجته؟ فقد فعلها الحبيب ﷺ مع زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، فقد سابقها الحبيب ﷺ مرتين، مع كثرة مشاغله في الدعوة وقيادة الأمة، إلا أنه كان ﷺ حريصًا على إدخال البهجة والسعادة في بيوت أزواجه، وقضاء أوقات سعيدة معهن، مما يزيد الحب والوئام داخل بيوت أزواجه ﷺ.

فتروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «إنها كانَت معَ النَّبيِّ ﷺ في سفَرٍ قالت: فسابقتُهُ فسبقتُهُ على رجليَّ، فلمَّا حَملتُ اللَّحمَ سابقتُهُ فسبقَني فقالَ: هذِهِ بتلكَ السَّبقةِ»[2].

وفي رواية مفصلة قالت رضي الله عنها: «إنها كانت مع رسولِ اللهِ ﷺ في سفرٍ وهي جاريةٌ فقال: لأصحابِه تقدَّموا فتقدَّموا، ثم قال: تعالَيْ أُسابِقُكِ فسابقتُه فسبقتُه على رجلي، فلما كان بعد خرجتُ معه في سفرٍ فقال لأصحابِه: تقدَّموا، ثم قال: تعالَيْ أُسابِقُكِ ونسيتُ الذي كان وقد حمَلتُ اللحمَ، فقلتُ: وكيف أُسابِقُكَ يا رسولَ اللهِ وأنا على هذه الحالِ، فقال: لَتفعَلِنَّ فسابقتُه فسبقَني، فقال: هذه بتلكِ السَّبقةِ»[3].

آداب الجماع

[1] أخرجه البخاري في التاريخ الكبير مختصرا برقم4/152، وابن جرير الطبري في تهذيب الآثار: مسند على بن أبي طالب برقم236.
[2] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2578، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم 4691.
[3] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده جيد برقم26277، وقال الألباني إرواء الغليل إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين برقم5/327، وقال في السلسلة الصحيحة إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم1/254

إسلامنا الجميل دين الفطرة ودين الحياة، ويدعونا إلى كل خير وينهانا عن كل شر، ويريد لنا حياة سعيدة، ويريد لنا بعد الموت حياة أبدية سعيدة في جنات الخلد.

ولذا يرشدنا إلى وسائل إسعاد أسرتنا وهنائها ودوام المودة والمحبة، وهذه السعادة تتم بالجماع بين الزوج والزوجة، فدوام العلاقة الحميمة بين الزوجين يزيل التوتر بين الزوجين، كما يشعرهما بالسعادة لإفراز أجسامهما هرمونات السعادة، مما يديم الألفة والمحبة بينهما، وتتم سعادتهما بإنجاب الذرية الصالحة.

وإسلامنا الحميل يدلنا على آداب هذه العلاقة الحميمة حتى تدوم السعادة بين الزوجين وينعكس على باقي الأسرة ثم المجتمع.

حتى تستحِدَّ المُغيبةُ، وتمتشِطَ الشَّعثةُ

من جمال إسلامنا أن أدبنا حتى في الجماع مع نسائنا، وأمرنا أن نعطي نساءنا فرصة لكي تتهيئ وتتجمل، وبخاصة إذا كان الرجل مسافرًا أوغائبًا عن أهله، فلا يأتي أهله فور وصوله بل يعطي أهله ونفسه فرصة أن يتجمل وتتجمل، حتى لا يحدث نفور أو كره.

وكان ﷺ إذا عاد من سفر يرسل من يخبر أهله بقدومه، ولا يدخل بيته مباشرًا، بل يذهب إلى المسجد فيصلي ركعتين ثم يذهب إلى بيته، وفي خلال هذا الوقت تستعد أزواجه أمهات المؤمنين للقائه ﷺ، فيكون لقاء حب وود وألفة، وقد جهز كل واحد نفسه واستعد للقاء حبيبه.

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان لا يقدمُ من سفرٍ إلا نهارًا، في الضحى، فإذا قدم، بدأ بالمسجدِ، فصلى فيهِ ركعتينِ، ثم جلس فيهِ»[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ قال: «إذا دخلتُم ليلًا، فلا تدخُل على أهلِك، حتى تستحِدَّ المُغيبةُ، وتمتشِطَ الشَّعثةُ. قال: قال رسولُ الله ﷺ: فعليك بالكَيسِ الكَيسِ»[2].

لا تأتها فجأة

يأمرنا إسلامنا الجميل أن نتهيأ لنسائنا ونترك لهم فرصة ليتهيؤوا لنا، فيكون اللقاء ناجحًا وقد تمتع كل منكما بالآخر بمزيد من الحب واللهفة، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فكان يعطي نساءه فرصة لتتهيأ له، وكان لا يدخل عليهم طروقا أي فجأة وبخاصة عند قدومه من سفر.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَكْرَهُ أنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أهْلَهُ طُرُوقًا»[3].

وقال الحبيب ﷺ: «إذا أطالَ أحَدُكُمُ الغَيْبَةَ فلا يَطْرُقْ أهْلَهُ لَيْلًا»[4]؛ أي فجأة بدون استعداد.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 716، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم 2773، وصحيح النسائي برقم 730.
[2] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 5246،5245، ومسلم في صحيحه برقم 715.
[3] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5243، ومسلم في صحيحه برقم 715.
[4] عن جابر بن عبد الله، الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5244، ومسلم في صحيحه برقم 715.

تزين لها كما تتزين لك

ومن آداب الجماع أمر ديننا الجميل أن يتجمل الرجل لامرأته ويتزين لها ويتطيب، ويلبس الجميل والنظيف من الثياب، ولا يأتيها بثياب العمل بما فيها من رائحة العرق والغبار، بل يستحم ويتطيب ويتزين، كما يجب أن تتجمل له امرأته، ليدوم الحب والود بينهما، ولا يتأذى أحدهم أو ينفر من الآخر في علاقته الحميمة.

عن ابن عباس – رضي الله عنه قال: «إِنِّي أحب أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أحب أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي الْمَرْأَةُ؛ لأن الله - عز وجل - يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: 228]، وَمَا أحب أَنْ أَسْتَنْطِفَ حَقِّي عَلَيْهَا؛ لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[1].

قال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: «أتيت محمد بن الحنفية فخرج إلي في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية، فقلت: ما هذا؟ قال: إن هذه الملحفة ألقتها علي امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن[2]».

وقد قال ابن كثير في تفسيره: «قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: طيِّبُوا أقوالكم لهن، وحَسّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله»[3].

وعن أبي يوسف صاحب أبو حنيفة النعمان قال: «كما يعجبني أن تتزين لي يعجبها أن أتزين لها»[4].

نظّف فمك

ومن آداب الجماع في إسلامنا الجميل أن يتظف كل منهما فمه، إذا أراد الرجل أن يجلس مع زوجته ويحدثها وتحدثه فليحرص على أن يكون رائحة فمه طيبة، فكثير من الرجال لا يهتم بهذا مما يؤذي زوجته، وقد تكره التحدث معه والنوم بجواره، مما ينبعث من فمه من رائحة كريهة، وكذلك المرأة كما في الرجل سواء، وعلاجها سهل إذ يجب عليهما مداومة تنظيف أسنانهما مما يعلق بها من بقايا طعام أو يزيل طبقات الجير المتراكمة التي تسبب هذه الرائحة الكريهة.

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فقد سُئلت عائشة رضي الله عنه : «بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ - ﷺ - إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ، قَالَتْ: بِالسِّوَاكِ»[5].

كما كان آخر فعله في الدنيا قبل مماته ولقاء ربه أن تسوك ونظف أسنانه استعدادًا للقاء ربه نظيف الفم طاهر البدن ﷺ، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «إن من نعم الله علي: أن رسولَ

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم 5/272، وعبد الرزاق في مصنفه برقم4/196، بإسناد حسن وفي رواية معاوية بن حيدة القشيرى قال أحمد شاكر في عمدة التفاسير إسناده صحيح برقم1/277.

[2] الجامع لأحكام الفرآن للفرطبى ج5 ص 87.

[3] تفسير ابن كثير 2/242.

[4] المبسوط للأمام السرخسى 5/10/199(كتاب التحرى)، والفقة على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيرى الجزءالثاني/كتاب الحظر والإباحة(الشعر).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه برقم253، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم51، وصحيح ابن ماجة برقم 238 وصحيح ابن خزيمة برقم134.

اللهِ ﷺ توفي في بيتي، وفي يومِي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عِندَ موته: دخل علي عبد الرحمن، وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقُلْت: أخذه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم. فتناولته، فاشتد عليه، وقُلْت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم. فلينته، فأمره، وبين يديه ركوة - أو علبة يشك عمر - فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، ثم نصب يده، فجعل يقول: اللهم في الرفيق الأعلى. حتى قبض ومالت يده»[1].

اللهم جنبنا الشيطان

ما أجمل إسلامنا الذي يدلنا أن نذكر الله والبسملة في بداية كل عمل، فالله الكريم يجعل فيه البركة والخير ويبعد عنه الشيطان ولا يجعل له نصيبا فيه، وبخاصة ونحن نبحث عن الذرية الصالحة المباركة البارة لوالديها النافعة لأسرتها ولمجتمعها، ويحول العلاقة الجسدية الشهوانية إلى علاقة روحية تبدأ بذكرالله في أول خطاها وتنتهي بثواب عظيم للرجل والمرأة على حد سواء.

ومن آداب الجماع كما علمنا الحبيب ﷺ أن نبدأ بذكر الله عند بدء العلاقة الحميمة حماية لنا ولذريتنا من الشيطان، فروى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال عن النبي ﷺ: «لو أن أحدَكم إذا أتى أهلَه قال: بسمِ اللهِ، اللهم جَنِّبْنا الشيطانَ، وجَنِّبِ الشيطانَ ما رزقْتَنا، فقُضِيَ بينهما ولدٌ لم يَضُرُّه»[2].

الستر أفضل

ومن آداب الجماع يدعونا إسلامنا الجميل إلى الستر والعفة، وعلمنا أن هناك من يرانا ولا نراه، فقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

ويقول سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[4].

ولذا لحماية أنفسنا من الذين يتلصصون علينا من الجن والإنس، وبخاصة حين نتخفف من ملابسنا أو نخلعها بالكامل في بيوتنا أو عند دخولنا الحمام للاستحمام أو قضاء الحاجة أو عند النوم وعند ممارسة العلاقة الحميمة، فأمرنا إسلامنا الجميل أن نستتر، وليس ذلك بأن لا نخلع ملابسنا ولكن عند ذكرك الله والبسملة يجعل بينك وبين الجن حجابًا، فلا يراك هو وقبيله.

فلك ولها أن تتعرى، ففيه كمال اللذة والمتعة بين الزوجين، ولكن مع بداية خلع ملابسك أن تستعذ بالله من الشياطين ثم تذكر الله وتسمي.

---

[1] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم4449 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 2443،2192.
[2] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم141، ومسلم في صحيحه برقم1434
[3] سورة الأعراف الآية 27.
[4] سورة المؤمنون الآية 97- 98.

فعن معاوية بن حيدة القشيرى رضي الله عنه قال: «قلتُ: يا نبيَّ اللهِ عوراتُنا ما نأتي منها وما نذَرُ؟ قال: احفَظْ عورتَك إلَّا من زوجتِكَ أو ما ملكتْ يمينُك قلت: يا رسولَ اللهِ إذا كان القومُ بعضُهم في بعضٍ؟ قال: إنِ استطعتَ أنْ لا يراها أحدٌ فلا يراها قال: قلتُ يا نبيَّ اللهِ إذا كان أحدُنا خاليًا؟ قال: فاللهُ أحقُّ أنْ يُستحيا منه مِن الناسِ»[1].

وقال رسولنا ﷺ: «سِتْرُ ما بين أُعْيُنِ الجِنِّ، وعَوْراتِ بني آدمَ، إذا دخل أحدُهم الخلاءَ أن يقولَ: بسمِ اللهِ»[2].

ويقول معلمنا الحبيب ﷺ: «إذا دخل الرجلُ بيتَه، فذكر اللهَ عند دخولِه وعند طعامِه، قال الشيطانُ: لا مَبيتَ لكم ولا عشاءَ، وإذا دخل فلم يذكر اللهَ عند دخولِه، قال الشيطانُ: أدركتُم المَبيتَ. وإذا لم يذكر اللهَ عند طعامِه، قال: أدركتُم المَبيتَ والعَشاءَ». وفي رواية: «وإن لم يذكر اسمَ اللهِ عند طعامِه، وإن لم يذكر اسمَ اللهِ عند دخولِه»[3].

الوضوء والتطيب والتجمل

ومن آداب الجماع في إسلامنا الجميل، وما أجمله وهو يحافظ على المرأة ومشاعرها، فهي تتحمل من زوجها إهماله أحيانا في النظافة والطهارة عندما يكون معها في علاقتهما الحميمة، فالنساء في العادة تهتم بنظافتها وجمالها وزينتها لتكون جميلة مرغوبة، وإسلامنا الجميل يدعونا إلى النظافة والطهارة والتزين حتى في العلاقات الحميمة بين الزوج وزوجته فيجب على كل منهما والطهارة والنظافة بالوضوء، وإذا أرادا العودة مرة أخرى فعليهما بالوضوء والنظافة.

فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول ﷺ سيد المتطهرين: «إذا أَتَى أحدُكم أهلَهُ، ثم أرادَ أن يعودَ، فليتوضأْ، زادَ أبو بكرٍ في حديثِهِ: بينَهما وُضوءًا. وقال: ثم أرادَ أن يُعاوِدَ»[4].

وتقول أم المؤمنين عائشة رضى الله وعن أبيها: «يَرحَمُ اللهُ أبا عبدِ الرحمنِ، كنتُ أطَيِّبُ رسولَ اللهِ ﷺ، فيَطوفُ على نسائِه، ثم يُصبِحُ محرمًا يَنضَخُ طِيبًا»[5].

وكان رسولنا الحبيب ﷺ يحب أن يتجمل فيمشط شعره ويدهنه ويكتحل ويتطيب، فقال الحبيب ﷺ: «اكتحِلوا بالإثمِدِ فإنه يجلو البصرَ وينبتُ الشعرَ، وزعم أنَّ النبيَّ ﷺ كانت له مِكحلةٌ يكتحِلُ بها كلَّ ليلةٍ، ثلاثةً في هذه وثلاثةً في هذه»[6].

---

[1] قال الألباني حسن في صحيح الترمذي برقم2769، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم1572، والنسائي في السنن الكبرى برقم8972، وأحمد في مسنده برقم20034.

[2] عن على ابن أبي طالب وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم606، وقال في تخريج مشكاة المصابيح صحيح برقم343، ورواه ابن ماجه في سننه برقم297.

[3] عن جابر بن عبدالله وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2018، وابن حبان في صحيحه برقم819.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 308، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم263، وصحيح في صحيح الترمذي برقم141.

[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم267، ومسلم في صحيحه برقم1192.

[6] عن عبد الله بن عباس وقال الألباني صحيح دون قوله وزعم برقم1757، وقال صحيح بمجموع طرقه في تخريج مشكاة المصابيح برقم4398، ورواه البيهقي في السنن برقم 5816.

«وعنِ ابنِ عبَّاسٍ، قال: إنِّي لأحب أن أتزيَّنَ للمرأةِ كما أحب أن تتزيَّنَ ليَ المرأةُ، لأنَّ اللَّهَ يقول: وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»[1].

محصنين غير مسافحين

دعانا إسلامنا الجميل إلى التحصن من فتنة الفروج؛ لما لها من تأثير كبير في الرجل والمرأة، وما تسببه هذه الشهوة من الوقوع في الفتن وهلاك صاحبها إن أتاها في الحرام ولم يطفئها في الحلال.

وأمرنا بإطفاء هذه الشهوة في الحلال عن طريق الزواج، فقال سبحانه تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾[2].

ويقول سبحانه العليم الحكيم: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خيرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4].

وفي الآية الكريمة أمر من الله تعالى العليم بالبشر بالزواج والتناسل.

كما حثنا رسولنا الكريم على الزواج فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يا معشرَ الشبابِ، منِ استَطاع الباءَةَ فلْيتزوَّجْ، فإنه أغضُّ للبصَرِ وأحصَنُ للفَرْجِ، ومَن لم يستَطِعْ فعليه بالصَّومِ، فإنه له وِجاءٌ»[5].

وفي رواية أخرى: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يأْمُرُ بالباءَةِ ويَنْهي عنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شديدًا ويقولُ تَزَوَّجُوا الودودَ الولودَ فَإِنِّي مكاثِرٌ بِكُمُ الأنبياءَ يومَ القيامَةِ»[6].

ونهانا نهيًا شديدًا أن نبتغي طرقًا غير الزواج، كالزنا والفاحشة، فقال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾[7].

---

[1] عن معاوية بن حيدة القشيرى وقال أحمد شاكر في عمدة التفاسير إسناده صحيح برقم1/277.
[2] سورة النساء الآية 3.
[3] سورة النور الآية 32-33.
[4] سورة المائدة الآية 5.
[5] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5066، ومسلم في صحيحه برقم1400.
[6] عن أنس بن مالك وقال شعيب الأرناؤوط صحيح لغيره في تخريج المسند برقم13569، وقال صحيح لغيره في نخريج صحيح ابن حبان برقم4028، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم2940، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن برقم4/261.
[7] سورة الإسراء الآية 32

ويقول العليم الحكيم: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[1].

ويقول الخبير العليم: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[2].

وقال ﷺ: «ومن أجلِ غيرةِ اللهِ حرَّمَ الفواحشَ ما ظهر منها ومابطن»[3].

وإن كان بين الرجل والمرأة ود وحب، فليس للمتحابين إلا طريق واحد وهو الزواج وفي العلن، ولا يكون بينهما علاقة حرام في الظلام، فقد قال العليم: ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ﴾[4]؛ أي عشيقات بغير زواج.

ويحثنا الحبيب ﷺ على الزواج ممن نحب فقال ﷺ: «لم يُرَ لِلْمُتَحابَّيْنِ مثلُ النكاحِ»[5].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عندنا يتيمة خطبها رجلان موسر ومعسر، وهي تهوى المعسر ونحن نهوى الموسر، فقال رسول الله ﷺ: لم ير للمتحابين مثل النكاح»[6].

وقد روى لنا الحبيب ﷺ صورة مما شاهده في رحلة الإسراء والمعراج، من مشهد الزناة الذين يتركون اللحم الحلال الطيب في الزواج إلى اللحم الخبيث النتن في الزنا ويأكلون منه.

«ثم أَتى على قَوْمٍ بينَ أيديهم لحمٌ نضيجٌ في قدرٍ، ولحمٌ آخرُ نيئ في قدرٍ خبيثٍ، فجعلوا يأكلونَ من النيئ الخبيثِ ويدعونَ النضيجَ الطيبَ، فقال: ما هؤلاءِ يا جبريلُ؟ فقال: هذا الرجلُ من أمتكَ، تكونُ عندهُ المرأةُ الحلال الطيبُ، فيأتي امرأةً خبيثةً فيبيتُ عندها حتى يصبِحَ، والمرأَةُ تقومُ من عندِ زوجها حلالا طيّبا، فتأتِي رجلًا خبيثًا فتبيتُ معهُ حتى تصبحَ»[7].

الكيس الكيس

ولأن الله الخالق جعل من شهوة الفرج أكبر الشهوات وأشدها فتنة للبشر، فأمرنا أن نجعلها في الحلال لا الحرام، كما بينا في كتابه العظيم وسنة نبيه الحبيب ﷺ.

فالعلاقة الجنسية بين الزوجين وانتظامها يكون له أثر كبير في الاستقرار النفسى والعاطفي، ويزيل التوتر والخلافات بينهما، مما ينعكس على استقرار الأسرة.

ولكي يحثنا على النكاح وإطفاء هذه الشهوة في الحلال، قال رسولنا الحبيب ﷺ للصحابي جابر بن عبد الله وقد كان قد تزوج حديثا: «كنا مع رسولِ اللهِ ﷺ في غزاةٍ. فلما أقبلنا تعجلتُ على بعيرٍ لي قطوفٌ.

---

[1] سورة الأنعام الآية 151.
[2] سورة الأعراف الآية 33.
[3] عن المغيرة بن شعبة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم7416، ومسلم في صحيحه برقم1499.
[4] سورة الماءدة الآية 5.
[5] عن عبد الله بن عباس وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم5200، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1509.
[6] رواه المتقى الهندى في كنز العمال برقم45597 عن ابن النجار.
[7] عن أبي هريرة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العاليه أو غيره فتابعيه مجهول برقم1/72، وروى عن أبي سعيد الخدري نحوه وقال البيهقي في دلائل النبوة أمثل إسنادا برقم2/390.

فلحقني راكبٌ خلفي. فنخس بعيري بعنزةٍ كانت معَهُ. فانطلق بعيري كأجودِ ما أنت راءٍ من الإبلِ. فالتفتُّ فإذا أنا برسولِ اللهِ ﷺ. فقال: ما يعجلك يا جابرُ؟ قلتُ: يا رسولَ اللهِ إني حديثُ عهدٍ بعُرْسٍ. فقال: أبكرًا تزوجتها أم ثيبًا؟ قال: قلتُ: بل ثيبًا. قال: هلا جاريةً تُلاعبها وتلاعبك؟ قال: فلما قدمنا المدينةَ ذهبنا لندخل. فقال: أمهلوا حتى ندخلَ ليلًا (أي عشاءً) كي تمتشطَ الشعثةُ وتستحِدَّ المُغيبةُ. قال: وقال: إذا قدمت فالكَيْسُ الكَيْس»[1].

ومعنى الكيس في الحديث هو الجماع، وهو أكثر قول الشراح، أو هو بمعنى العقل والحلم في تعامله مع زوجته بعد غيبة عنها مراعاة لظروفها من حيث الحيض والطهر.

الجماع لك فيها صدقة

إسلامنا الجميل يدلنا كيف ننشئ أسرة متحابة، يستقر فيها أفرادها ويشعرون بالسعادة والهناء والراحة النفسية والجسدية.

ولذا أمرنا إسلامنا بكل فطرة سليمة صالحة، ومنها الجماع مع زوجتك، فمع العلاقة الحميمة يزداد الحب والألفة والانسجام بين الزوجين، ولذا دعا الرجل ألا يتكاسل عن أداء واجبه في إشباع رغبة زوجته وكفايتها حتى تستقر الأسرة ويشعر أفرادها بالسعادة.

فأمره أن يأتي زوجته، وعرفه أن في كل مرة يأتي فيها زوجته يكتب له أجر وثواب الصدقة، والصدقة فيها من الثواب والحسنات ما لا يعلمها إلا الله الكريم، فقد تكتب بعشر حسنات، وقد تتضاعف حتى سبعمائة ضعف، وقد تتضاعف حتى لا يعلم ثوابها إلا الله الكريم الحليم.

فيقول الحبيب ﷺ حاثًّا الزوج على مجامعة زوجته: «وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أَيَأتي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكونُ له فِيهَا أَجْرٌ؟ قالَ: أَرَأَيْتُمْ لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ أَكانَ عليه فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذَا وَضَعَهَا في الحَلَالِ كانَ له أَجْرٌ»[2].

لا تعجل

إذا كنت مع زوجتك في علاقة حميمة وقضيت حاجتك مسرعا، فلا تعجل عليها حتى تقضي حاجتها كما قضيت حاجتك، فإن تكرار التعجل معها قبل أن تقضي حاجتها يؤثر فيها نفسيا وقد تكره المعاشرة معك، ويتم ذلك بالمصارحة والتنسيق مع بعضكما، فقد يكون في المداعبة أكثر حلًّا، وقد يستلزم علاجًا طبيًّا فلا تتأخر عنه، وتشاور مع زوجتك فيما هو الأفضل لإشباع بعضكم، حتى تشعر أنت وهي بلذة الجماع، ليبارك لكما في حياتكما وتجتمعا في خير وبركة دائمًا، ويأتي نسلكما مباركًا محفوظًا من الشيطان.

وقد روى أنس بن مالك حديثًا جميلًا في هذا الموضوع عن الحبيب ﷺ قال: «إذا جَامَعَ أحدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيُصْدِقْهَا فَإِذَا قَضَى حاجتَهُ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا فَلَا يُعْجِلْها حتى تَقْضِيَ حَاجتَها»[1].

---

[1] عن جابر بن عبد الله والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5079، ومسلم في صحيحه برقم715 واللفظ له.
[2] عن أبي ذر الغفارى، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1006، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم21482.

وفي رواية أخرى عن طلق بن علي الحنفي رضي الله عنه قال الحبيب ﷺ: «إذا جامع أحدُكم امرأتَه، فلا يَتَنَحَّ حتى تَقْضِيَ حاجتَها، كما يحبُّ أن يَقْضِيَ حاجتَه»[2].

أفضل الأوقات

في إسلامنا الجميل كل شيء جميل حتى في العلاقة الحميمة بين الرجل وزوجته، فيدعونا إلى الاستمرار في هذه العلاقة الحميمة وعدم انقطاعها وتقارب المدد بينهما، لما فيه من سعادة للزوج والزوجة، كما فيه إشباع لهذه الرغبة لكليهما، ومن خلالها تأتي الذرية وتستمر البشرية، ولذا دعا إليها إسلامنا الجميل عن طريق حلال وهو الزواج.

لم يمنع إسلامنا الجميل أن يأتي الرجل زوجته كما يشاء ومتى يشاء، ولم يحدد له عددًا أو مدة، فكل حسب استطاعته وقدرته وقدرة زوجته كذلك، ولكن حث الأزواج الكسالى على إتيان حق زوجته في النكاح كما حث رسول الله ﷺ على الجماع كما ذكرنا.

ولكن هل هناك أوقات أفضل للنكاح؟، ذكر علماؤنا أن من أفضل الأوقات هي ليلة الجمعة وفيها أكثر من حديث في ذلك منها حديث ابن عمر رضي الله عنه «أن النبي ﷺ سأل رجلا من أصحابه فقال: عدت اليوم مريضًا، قال: لا، قال: فتصدقت بصدقة، قال: لا، قال: فصليت على جنازة، قال: لا، قال: فأصبت من أهلك، قال: لا، قال: فأصب منهم فإنها منك عليهم صدقة وذلك يوم الجمعة»[3].

ويقول الحبيب ﷺ في حديث جميل: «من اغتسلَ يومَ الجمعةِ غسلَ الجنابة ثم راح فكأنما قرَّبَ بَدَنَةً، ومن راح في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قرَّبَ بقرةً، ومن راح في الثالثةِ فكأنما قرَّبَ كبشًا أقرنَ، ومن راح في الساعةِ الرابعةِ فكأنما قرَّب دجاجةً، ومن راح في الساعةِ الخامسةِ فكأنما قرب بيضةً، فإذا خرج الإمامُ حضرتِ الملائكةُ يستمعون الذكر»[4].

ويؤيده هذا الحديث الجميل عن الحبيب ﷺ: «من غسَّلَ يومَ الجمعةِ واغتسلَ، ثمَّ بَكَّرَ وابتَكرَ، ومشى ولم يرْكب، ودنا منَ الإمامِ فاستمعَ ولم يلغُ، كانَ لَهُ بِكلِّ خطوةٍ عملُ سنةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها»[5].

وحمل كثير من العلماء معنى غسل واغتسل أي غسل الجنابة له ولزوجته.

وهذا الحديث الآخر عن الحبيب ﷺ: «يعجَزُ أحدُكم أن يُجامِعَ أهلَه في كلِّ جمعةٍ، فإنَّ له أجرَيْن: أجرَ غُسلِه،وأجرَ غُسلَ امرأتِه»[6].

---

[1] رواه أبو يعلى في مسنده برقم4201، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم450، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات برقم4/289.

[2] وقال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم449، وابن عدى في الكامل للضعفاء وقال فيه محمد بن جابر مع ما تكلم فيه من تكلم يكتب حديثه برقم7/333.

[3] رواه الطبراني في الأوسط برقم6/160، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه النصر بن عاصم بن هلال ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات برقم4/295.

[4] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم881 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم850.

[5] عن أوس بن أبي أوس وقيل أوس بن أوس والد عمرو وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم345 واللفظ له، وقال صحيح في صحيح النسائي باختلاف يسير برقم1380، كما أخرجه الترمذي برقم496، وابن ماجه برقم1087، وأحمد في مسنده برقم16173 باختلاف يسير.

[6] عن أبي هريرة ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال فيه بقية في رواياته نظر برقم3/1133، وأنكره الألباني في السلسة الضعيفة برقم6194.

وقد يكون المقصود من يوم الجمعة أي مرة في الأسبوع، حيث يكون يوم الجمعة هو بداية الأسبوع.

وقال ابن القيم: «وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة»، وقال رحمه الله: «ومن منافعه - أي الجماع -: غض البصر، وكف النفس، والقدرة على العفة عن الحرام، وتحصيل ذلك للمرأة، فهو ينفع نفسه في دنياه وأخراه، وينفع المرأة، ولذلك كان النبي ﷺ يتعاهده ويحبه، ويقول: «حبب إلي من دنياكم: النساء والطيب»[1] رواه أحمد 3/128 والنسائي 7/61 وصححه الحاكم [2].

هل هناك عدد محدد؟

في إسلامنا الجميل لم يحدد عدد مرات الجماع للرجل بل جعل ذلك لقدرته وقوته، وقدرة زوجته على ذلك فيراعي كل واحد الآخر.

فقد كان النبي ﷺ يطوف على أزوجه كلهن في ليلة واحدة، فقد روى أنس بن مالك: «أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يَطُوفُ على نسائِهِ في الليلةِ الواحدةِ، وله يومئذٍ تِسْعُ نِسْوَةٍ»[3].

وهذه خاصية له ﷺ فقد آتاه الله قوة وقدرة أكثر من أي رجل، وهي خاصية للأنبياء خاصة دون باقي الرجال في قوة الاحتمال والجلد سواء كانت في الصحة أو المرض صلى الله عليهم أجمعين، كما كان من نبي الله سليمان عندما مر على مئة امرأة في ليلة واحدة فقد قال الحبيب ﷺ: «قالَ سُلَيْمانُ بنُ داوُدَ عليهما السَّلامُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ علَى مِئَةِ امْرَأَةٍ، أوْ تِسْعٍ وتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتي بفارِسٍ يُجاهِدُ في سَبيلِ اللَّهِ، فقالَ له صاحبه: إنْ شاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إنْ شاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ منهنَّ إلَّا امْرَأَةٌ واحِدَةٌ، جاءَتْ بشِقِّ رَجُلٍ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لو قالَ: إنْ شاءَ اللَّهُ، لَجاهَدُوا في سَبيلِ اللَّهِ، فُرْسانًا أجْمَعُونَ»[4].

ولكن هناك آداب لذلك فعليه بالنظافة والتطيب والوضوء لاستعادة النشاط، فقال الحبيب ﷺ: «إذا أَتَى أحدُكم أهلَهُ، ثم أرادَ أن يعودَ، فليتوضأْ. زادَ أبو بكرٍ في حديثِهِ: بينَهما وُضوءًا. وقال: ثم أرادَ أن يُعاوِدَ»[5].

فلك أن تعاود ما استطعت وما تحملتك زوجتك، وللوضوء خاصية طيبة من حيث النظافة وتجديد النشاط لكليهما.

نساؤكم حرث لكم

إسلامنا الجميل يدلنا على كل جميل وما فيه الخير للمسلم والمسلمة وسعادة للزوج والزوجة، فجعل العلاقة الحميمة بين الرجل وزوجته تقوي رابطة الزواج وتدخل السعادة عليهما، وهي الطريق الصحيح لإنجاب الذرية التي هي نصف سعادة البشرية لقول الله سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[6].

---

[1] عن أنس بن مالك وقال الألباني حسن صحيح في صحيح النسائي برقم3939، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم3124، وأحمد في مسنده برقم13079.

[2] ابن القيم في كتابه الطب النبوى ص 249-251 بتصرف.

[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم521 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 309.

[4] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه معلق برقم2819، ومسلم في صحيحه برقم1654 موصولا.

[5] عن أبي سعبد الخدري وأخرجه مسلم في صحيحه برقم308، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم220 باختلاف يسير.

[6] سورة الكهف الآية 46.

ولاكتمال سعادتهما عند ممارسة هذه العلاقة الحميمة لم يجعل لهما وضعًا معينًا أو طريقة محددة، بل جعل ذلك بالتوافق والتراضي بينهما، بأي طريقة ومن أي جهة، ولكن اشترط أن يكون في القبل موضع الولد، لقول الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِيءتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كانت اليهودُ تقول: إذا أتى الرجلُ امرأَتَه، من دُبُرِها، في قُبُلِها، كان الولدُ أحولَ. فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾»[2].

وسألته امرأةٌ من الأنصارِ عن وطءِ المرأةِ في قبلها من ناحيةِ دبرِها فتلا عليها قولَه تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواحَرْثَكُمْ أَنَّى شئتم﴾ صمامًا واحدًا[3].

وقدموا لأنفسكم

من تمام المتعة الجنسية ونجاح العلاقة الحميمة بين الزوجين أن يكون هناك تهيئة لنجاح هذه العلاقة التي يطلبها كلا الزوجين، فلا تفاجئها بطلبك وهي ليست مهيئة له، فالمرأة تحب أن تتزين وتتجمل، فأعطها فرصة لتتهيئ لك، فتسعد بها وتسعد بك.

لذا أوصانا الحبيب في إسلامنا الجميل أن نقدم لأنفسنا لإتمام العلاقة الحمية مقدمات منها كما ذكرنا من طيب الرائحة في الجسم والفم، والتعطر والتزين وغيرها، فإنه كذلك دلنا على أن ننتقي حسن الكلام والهمس واللمس والتقبيل وغيرها مما يزيد من شهوتهما، وقد ينهي الرجل شهوته قبل المرأة فعليه أن يمهلها حتى تقضي شهوتها.

ولعلاج هذا الموقف على الزوج أن يزيد من مداعبتها قبل الجماع فإن ذلك يساعد في وصولها إلى شهوتها.

وهناك أحاديث ضعيفة في هذا الموضوع، وقد تكون ضعيفة في السند ولكن هي صحيحة في الواقع ومنها قوله ﷺ: «لا يقعنَّ أحدُكم علَى امرأتِهِ كما تقعُ البَهيمةُ، وليكُن بينَهما رسولٌ، قيلَ: وما الرسولُ؟ قال: القُبلَةُ والكلامُ»[4].

وقال رسول اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثةٌ مِن الجَفَا:...وأن يَكونَ بَيْن الرجُلِ وَأهلِه وِقاعٌ مِن غَير أن يُرسِلَ رسُولًا: المِزاحُ والقُبَل؛ لا يَقَع أحدُكم على أَهلِهِ مِثلَ البَهِيمة على البهيمةِ»[5].

وقال ابن قدامة في المغنى: «وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُلَاعِبَ امْرَأَتَهُ قَبْلَ الْجِمَاعِ؛ لِتَنْهَضَ شَهْوَتُهَا، فَتَنَالَ مِنْ لَذَّةِ الْجِمَاعِ مِثْلَ مَا نَالَهُ».

---

[1] سورة البقرة الآية 223.

[2] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم4528، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1435 واللفظ له.

[3] عن أم سلمة وقال الألباني في غاية المرام صحيح برقم235، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم2979 باختلاف يسير.

[4] عن أنس بن مالك وقال الألباني في السلسلة الضعيفة منكر برقم6075، وقال العراقي في تخريج الإحياء رواه الديلمى في مسند الفردوس وقال منكر برقم2/65.

[5] عن أنس بن مالك وقال الألباني ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم6075.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «لَا تُوَاقِعْهَا إِلَّا وَقَدْ أَتَاهَا مِنْ الشَّهْوَةِ مِثْلُ مَا أَتَاك، لِكَيْ لَا تَسْبِقَهَا بِالْفَرَاغِ. قُلْت: وَذَلِكَ إلَيَّ؟ قال: نَعَمْ، إنَّك تُقَبِّلُهَا، وَتَغْمِزُهَا، وَتُلْمِزُهَا، فَإِذَا رَأَيْت أَنَّهُ قَدْ جَاءَهَا مِثْلُ مَا جَاءَك، وَاقَعْتَهَا».

فَإِنْ فَرَغَ قَبْلَهَا، كُرِهَ لَهُ النَّزْعُ حَتَّى تَفْرُغَ؛ لِمَا رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ فَلْيَصْدُقْهَا، ثُمَّ إِذَا قَضَى حَاجَتَهُ، فَلَا يُعَجِّلْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا». وَلِأَنَّ فِي ذَلِكَ ضَرَرًا عَلَيْهَا، وَمَنْعًا لَهَا مِنْ قَضَاءِ شَهْوَتِهَا[1].

إلا الدبر

وينهانا إسلامنا الجميل عن كل قبيح ومنافٍ للفطرة السوية للبشر، فنهانا في علاقتنا الحميمة أن نأتي زوجاتنا من أدبارهن، لأنه من أقبح الأفعال وتنافي الفطرة، فهو موضع القذر وإخراج الفضلات، كما أنه ليس موضع الولد، ولم يخلقه الله العليم لذلك، فنهانا إسلامنا الجميل من هذا الفعل الشنيع.

فقال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ومن المعلوم أن مكان الحرث هو الفرج وليس الشرج، وهو موضع الولد والذرية.

ونهانا رسولنا الكريم عن فعل هذا الشر فقال ﷺ: «ملعونٌ من أتى امرأتَهُ في دبرِها»[3].

وروي عنه ﷺ: «أنَّ رجلًا سألَ النبيَّ ﷺ عن إتيانِ النساءِ في أدبارِهنَّ أو إتيانِ الرجلِ امرأتَهُ في دُبُرِهَا، فقال النبيُّ ﷺ حلالٌ، فلمَّا وَلَّى الرجلُ دعاهُ أو أمَرَ بهِ، فدُعِيَ فقال كيفَ قلتَ في أيِّ الخُربَتَينِ، أو في أيِّ الخَرَزَتَينِ، أو في أيِّ الخَصْفَتَينِ، أمن دبرِها في قُبُلِهَا فنعم أم من دبرِها في دبرِها فلا، فإنَّ اللهَ لا يستحيي من الحقِّ، لا تأتوا النساءَ في أدبارِهنَّ»[4].

الغسل والنظافة

يدعونا إسلامنا الجميل إلى النظافة والطهارة في كل وقت وأن يكون المسلم نظيفًا طاهرًا متطيبًا دائمًا سواء كان في بيته أو خارج بيته.

ولذا أمرنا أن نتنظف ونتطهر ونتوضأ ونغتسل دائمًا بعد الجماع، فهو نظافة وطهر وحماية ومنع للأمراض، فقد أثبت العلم الحديث أن بعد الجماع ينضح الجلد مع العرق كثيرًا من هرمونات الذكورة عند الرجل وهرمونات الأنوثة عند المرأة، ويكون الجلد مرتعا لكثير من الجراثيم سواء كانت بكتيريا أو فطريات أو غيرها من مخلوقات الله التي لا يعلمها إلا هو، والتي لم يعلمها ويكتشفها العلم حتى الآن، وتكون من

---

[1] المغنى لابن قدامة المقدسى برقم5702 فصل آداب الجماع.

[2] سورة البقرة الآية 223.

[3] عن أبي هريره وقال الألباني في صحيح أبي داود حسن برقم2162، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن برقم9733..

[4] عن خزيمة بن ثابت ورواه ابن ماجه في سننه برقم1924، والنسائي في الكبرى برقم8990 باختلاف يسير، وقال الألباني في إرواء الغليل صحيح برقم7/67، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم 21865، وقال في تخريج زاد المعاد صحيح برقم4/239.

نتيجة هذه التفاعلات بين مفرزات العرق والجراثيم، رائحة غير محببة لكلا الطرفين، مما يسبب النفور ويكون سببًا في تباعد هذه العلاقة أو انعدامها، مما يكون له أثر سيئ في استمرار الزواج نفسه ويكون سبب الفراق والطلاق.

ولذا أمرنا إسلامنا الجميل بدوام التنظف والاغتسال، ولك أن تغتسل بعد كل مرة أو بعد عدة مرات ولكن اجعل بينهم وضوءًا فهذا أنظف وأطيب وأكثر نشاطًا للجسم، كما فعل الحبيب ﷺ.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبيَّ ﷺ كانَ يَطُوفُ على نسائِه بِغُسْلٍ واحد»[1].

ولك أن تغتسل في كل مرة فقد روى أسلم القبطى أبو رافع رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ: «أنَّ النبيَّ ﷺ طاف ذاتَ يومٍ على نسائِه يغتسِلُ عندَ هذه وعندَ هذه، قال: قلتُ له: يا رسولَ اللهِ ألا تجعَلُه غُسلًا واحدًا، قال: هذا أزكي وأطيبُ وأطهر»[2].

وفي هذين الحديثين فسحة لمن أراد أن يجعله غسلًا واحدًا، أو إذا كان عنده وفرة من الماء والوقت أن يغتسل بعد كل مرة.

وفي إسلامنا الجميل فسحة وراحة، فللجنب أن ينام ثم يغتسل أو يغتسل قبل أن ينام أو يتوضأ بعد كل مرة أو لا يتوضأ فكل ذلك جائز.

أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، سَأَلَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ: «أيَرْقُدُ أحَدُنَا وهو جُنُبٌ؟ قالَ: نَعَمْ إذَا تَوَضَّأَ أحَدُكُمْ، فَلْيَرْقُدْ وهو جُنُبٌ»[3].

وسُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «أَكانَ النبيُّ ﷺ يَرْقُدُ وهو جُنُبٌ؟ قالَتْ: نَعَمْ ويَتَوَضَّأُ»[4].

وفي حديث آخر لها قالت: «كانَ النبيُّ ﷺ إذَا أرَادَ أنْ يَنَامَ، وهو جُنُبٌ، غَسَلَ فَرْجَهُ، وتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ»[5].

العزل هل يجوز أو لا يجوز؟

يسّرَ لنا إسلامنا الجميل حياة زوجية يملأها السعادة والهناء، وذلك في طاعة الله الذي شرع لنا كل خير وحمانا من كل شر، فيقول رب العالمين: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[6]، ويقول سبحانه

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم309، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم263، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم1206.
[2] قال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم219، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم486، وقال إسناده حسن في تخريج مشكاة المصابيح برقم447، والبيهقي في السنن الكبرى وقال ليس بالقوى برقم7/192.
[3] عن ابن عمر، الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم287، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم306.
[4] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم286، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم306.
[5] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم288، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم305.
[6] سورة البقرة الآية 185.

وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[2].

فقد أجاز لنا أن نتمتع بأزواجنا ونمتعهن، وأجاز لنا العزل ولم يجزه أيضًا، فهناك بحبوحة في الأمر، على حسب الموقف والظروف.

ففي الإجازة، عندما تخاف المرأة على صحتها وتريد الحفاظ على وليدها الرضيع من تكرار الحمل، ومن المعروف لدى النساء أنه عند الحمل يقل لبن صدرها ويتوقف، مما يضر بوليدها الرضيع، أو تكون بها علة مرضية ولا تتحمل الحمل، أو تخاف الحمل المتتابع، مع هذه الحالات جاز إسلامنا الجميل العزل ولكن بموافقة الزوجة أو لا لأنها هي المتضرر الأكبر.

لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا نَعْزِلُ على عهدِ رسولِ اللهِ والقرآنُ ينزلُ: وقال: كنا نَعْزِلُ على عهدِ رسولِ اللهِ فبَلغ ذلك رسولَ اللهِ فلم يَنْهَنا»[3].

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «أنه بينما هو جالسٌ عِندَ النبيِّ ﷺ جاء رجلٌ من الأنصارِ فقال: يا رسولَ اللهِ، إنا نُصيبُ سَبيًا ونُحِبُّ المالَ، كيف تَرَى في العَزلِ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أوَ إنكم تفعلون ذلك، لا عليكم أن لا تفعَلوا، فإنه ليسَتْ نَسَمَةٌ كتَب اللهُ أن تَخرُجَ إلا هي كائِنَة»[4].

وحديث: «أنَّ رجلًا سأل رسولَ اللهِ ﷺ عن العزلِ، فقال: إنَّ امرأتي تُرْضِعُ، وأنا أكرهُ أن تحملَ؟ فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: إنَّ ما قد قُدِّرَ في الرَّحِمِ سيكون»[5].

وحديث: «أنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقالَ: إنَّ لي جَارِيَةً، هي خَادِمُنَا وَسَانِيَتُنَا، وَأَنَا أَطُوفُ عَلَيْهَا، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ، فَقالَ: اعْزِلْ عَنْهَا إنْ شِيءتَ، فإنَّه سَيَأْتِيهَا ما قُدِّرَ لَهَا، فَلَبِثَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَاهُ، فَقالَ: إنَّ الجَارِيَةَ قدْ حَبِلَتْ، فَقالَ: قدْ أَخْبَرْتُكَ أنَّهُ سَيَأْتِيهَا ما قُدِّرَ لَهَا»[6].

وحديث: «ذُكِرَ العَزْلُ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: وَما ذَاكُمْ؟ قالوا: الرَّجُلُ تَكُونُ له المَرْأَةُ تُرْضِعُ، فيُصِيبُ منها، وَيَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ منه، وَالرَّجُلُ تَكُونُ له الأَمَةُ فيُصِيبُ منها، وَيَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ منه، قالَ: فلا علَيْكُم أَنْ لا تَفْعَلُوا ذَاكُمْ، فإنَّما هو القَدَرُ. قالَ ابنُ عَوْنٍ: فَحَدَّثْتُ به الحَسَنَ، فَقالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ هذا زَجْر»[7].

وفي عدم الإجازة، إذا كان بعدم رغبة الزوجة، فيجب أن يكون العزل برضاها، فإن العزل يسبب لها عدم اكتمال إشباعها في الجماع، أو حرمانها من الحمل وهي راغبة فيه، فإن كل زوجة تريد أن تكون أما وتشعر بالأمومة.

---

[1] سورة النساء الآية 27.

[2] سورة النساء الآية 28.

[3] الجزء الأول من الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5209 ومسلم في صحيحه برقم1440 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في غاية المرام برقم239، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم4195.

[4] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6603، ومسلم في صحيحه برقم1438.

[5] عن أبي سعيد الزرقى، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3328.

[6] عن جابر بن عبد الله، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم 1439، ورواه أيضًا أبو سعيد الخدري نحوه وقال الألباني فيها صحيح في صحيح أبي داود برقم2171، وقال شعيب الأرناؤوط في شرح زاد المعاد صحيح برقم5/131.

[7] عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1438.

فقال الحبيب: «أنَّ النبيَّ ﷺ نَهى عن العَزْلِ عن الحُرَّةِ إلَّا بإذنِها»[1].

فقال الحبيب ﷺ: «لا عليكُم أنْ لا تفعَلُوا ذاكم؛ فإنَّما هو القدَرُ»، وقال الإمام مسلم: قال محمد وقوله: «لا عليكم) أقرب إلى النهي، وقال ابن عون: فحدثت به الحسن، فقال: والله لكأنه هذا زجر»[2].

لا تتحدث وتتباهَ بما فعلت

إسلامنا الجميل يأمرنا بحفظ الأسرار وعدم إفشاء الستر بينك وبين زوجتك، ففي اللقاءات الحميمة قد يحدث الزوج زوجته حديثًا جميلًا وتكلمه هي كلامًا عذبًا يسعدهما، ومع بلوغ النشوة لكليهما تصدر منهما أصوات النشوة مما يكتمل معه سعادتهما وترتاح نفوسهما، وما يقوي العلاقة الزوجية بينهما فتزداد أواصرها متانة وحبًّا.

ومن أعظم المصائب التي تحدث بين الزوجين، وتسبب انهيار العلاقة بينهما وتصل إلى الطلاق، هو التحدث مع الغير بما يحدث بينهما في أوقات العلاقة الحميمة، وهو ما نهى عنه إسلامنا الجميل نهيًّا قاطعًا، فهو يعري كل منهما أمام الآخرين، فكيف يجرؤ كل منهما أن يحدث الناس بما جرى بينهما؟ فيعري زوجته أو تعري زوجها أمام الآخرين؟ وهل يرضى أن يشاهد الناس ما يحصل بينهما؟ إلا أصحاب القلوب المريضة التي لا علاج لها إلا الانفصال عنها.

فيقول الحبيب ﷺ: «إنَّ من أعظَمِ الأمانةِ عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ الرَّجلَ يُفضي إلى امرأتِهِ وتُفضي إليْهِ ثمَّ ينشُرُ سرَّها وقالَ ابنُ نميرٍ إنَّ أعظمَ»[3].

وتروي الصحابية أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: «أنها كانتْ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ والرجالُ والنساءُ قعودٌ عندَهُ فقال لَعَلَّ رجلًا يقولُ ما يفعلُ بأهلِهِ ولعلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بما فَعَلَتْ مَعَ زوجِها فَأَرَمَّ القومُ فقلْتُ أَيْ واللهِ يا رسولَ اللهِ إنهم لَيَفْعَلُونَ وَإِنَّهُنَّ لَيَفْعَلْنَ قال فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّما مثلُ ذلِكَ مَثَلُ شيطانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً فَغَشِيَها والناسُ ينظرونَ»[4].

كما حدث الحديث نفسه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ألا عسَى أحدُكم أن يخلوَ بأهلِه يُغلِقُ بابًا، ثمَّ يُرخي سِترًا، ثمَّ يقضي حاجتَه، ثمَّ إذا خرج حدَّث أصحابَه بذلك، ألا عسَى إحداكنَّ أن تُغلِقَ بابَها وتُرخي سِترَها، فإذا قضت حاجتَها حدَّثت صوأحبها فقالت امرأةٌ سفعاءُ الخدَّيْن، واللهِ يا رسولَ اللهِ إنَّهنَّ

---

[1] عن عمر بن الخطاب، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم212، وقال الألباني في التعليقات الرضية إسناده ضعيف برقم2/225.

[2] عن أبي سعيد الخدري وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1438، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3327.

[3] عن أبي سعيد الخدري وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1437، وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح رواه مسلم وفي إسناده عمر بن حمزة العمري، قال الحافظ في "التقريب": (ضعيف) وأورده الذهبي في "الضعفاء" وقال: (ضعفه ابن معين لنكارة حديثه) برقم3126، كما ضعفه في ضعيف أبي داود برقم4870.

[4] قال الألباني صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم2022، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه شهر بن حوشب وحديثه حسن وفيه ضعف برقم 4/297، وأخرجه الطبراني برقم 24/162 ورقم414 باختلاف يسير،وقال الألباني في هذه الرواية حسن في صحيح الجامع برقم4008.

ليفعلن وإنَّهم ليفعلون، قال: فلا تفعلوا، فإنَّما مثلُ ذلك مثلُ شيطانٍ لقي شيطانةً على قارعةِ الطَّريقِ فقضَى حاجتَه منها ثمَّ انصرف وتركها»[1].

وهناك رواية أخرى نحوها برواية الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه مما يدل أن هذه الروايات لها شواهد متعددة يقوي بعضها بعضا.

أحل الله الزواج وحرم الزنا

من جمال إسلامنا أن منّ الله علينا بنعمة الزواج، وجعلها الله آية من منته وفضله على البشر، فقد جمع بين اثنين مختلفين وربط بينهما رباطًا قويًّا موثقًا، وجعل بينهما مودة ورحمة، ومنهما جعل الله السبيل القويم للذرية الصالحة واكتمال السعادة في الدنيا، ومن هذه العلاقة القوية نشأت المجتمعات وتآلفت الأمم وقامت الحضارات.

فقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وبهذه العلاقة السوية بين البشر أكرم المرأة وحافظ على كرامتها وصان عرضها ولم يعرضها للمهانة والإزدراء، كما حافظ على كرامة الرجل وعرضه، وجعل ذريته معلومة من صلبه، وبها استقرت الأسر وعم الحب والسكون.

وحرم إسلامنا الجميل الزنا وجعله من أكبر الكبائر فقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[3].

وقال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخذكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّـهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

حتى القرب من الزنا حرمه الله تعالى مثل الخلوة بين الرجل والمرأة، والذهاب إلى أماكن الزنا، أو أي شيء يقربك إلى الزنا سواء بالسماع أو المشاهدة أو الملامسة، فقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[5].

---

[1] قال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم2023، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه روح بن حاتم وهو ضعيف وبقية رجاله ثقات برقم4/297

[2] سورة الروم الآية 21.

[3] سورة الفرقان الأيات من 68 – 71.

[4] سورة النور الآية 2- 3.

[5] سورة الإسراء الآية 32.

وحرم إسلامنا الجميل هذا الفعل القبيح الذي حرمته كل الشرائع وتأباه كل نفس حرة ونقية، حفاظا على المجتمع وتماسكه في تكوين أسر مستقرة وذرية صالحة، ومنع اختلاط الأنساب وانتشار الرزيلة ومنع انتشار الأمراض التي تأتي مع الزنا.

فقال رسولنا الحبيب ﷺ: «يا مَعشَرَ المُهاجِرينَ! خَمسُ خِصالٍ إذا ابْتُلِيتُم بِهنَّ، وأَعوذُ باللهِ أنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لم تَظْهرِ الفاحِشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلِنُوا بِها؛ إلا فَشَا فِيهمُ الطاعونُ والأَوجاعُ التِي لم تكنْ مَضتْ في أسلافِهم الَّذين مَضَوَا»[1] .

وفي إسلامنا الجميل أن المرأة التي يجبرها وليها على الزنا ليست مسئولة عنه ما دامت مكرهة على فعله وتأباه نفسها النقية، ولذا برأها إسلامنا الجميل من هذا الإكراه، فقال تعالى: ﴿..وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وفي حديث جابر بن عبد الله قال: «أنَّ جاريةً لعبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ بنِ سلولٍ يقال لها: مُسَيكَةُ. وأخرى يقال لها: أُمَيمةُ. فكان يُكرههما على الزِّنى. فشكَتَا ذلك إلى النبيِّ ﷺ. فأنزل اللهُ: وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ، إلى قوله: غَفُورٌ رَحِيمٌ»[3].

وفي حديث آخر «جاءت مسكينةٌ لبعضِ الأنصارِ فقالَت: إنَّ سيِّدي يُكرِهُني على البغاءِ فنزل في ذلكَ ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾»[4].

ولذا حمى إسلامنا الجميل المرأة من الإجبار على الزنا، كما يحدث الآن من عصابات تجبر النساء على الزنا، أو من أناس فقدوا الكرامة واتصفوا بالدياثة في إجبار النساء على الزنا، فقد جعل الله لها فرجًا ومخرجًا في إكراهها على فعل الفاحشة، وأن رحمة الله تشملها فلا تيأس وتستعين بالله على هذا البلاء، وتشتكي إلى أهل الحق لكي يحموها من هذا الفعل المنكر، كما اشتكت جاريتا رأس النفاق عبد الله بن سلول إلى رسول الله ﷺ، وكما اشتكت الجارية مسكينة إلى بعض الأنصار في إنصافها ومنع وليها من إجبارها على الزنا.

والله سبحانه وتعالى القوي الجبار قادر على إهلاك الأمم ومحو البلاد عندما ينتشر الزنا وتختلط الأنساب ولا تحفظ للمرأة كرامتها، ولا يكون للرجال نخوة ولا شهامة بل دياثة وخنوع، ولا ينكر أحد منهم هذه الأفعال الشاذة، فعندها تتدخل عدالة الله وعنايته ورحمته بالبشرية ليعيدها إلى الصراط المستقيم بمحوها من الأرض.

فقد أخبر نبينا الحبيب ﷺ بذلك فقال: «لا تزالُ أمَّتي بخيرٍ ما لم يفْشُ فيهم ولدُ الزِّنا فإذا فشا فيهم ولدُ الزِّنا فأوشك أن يعُمَّهم اللهُ بعذاب»[1].

---

[1] عن عبد الله بن عمر وقال الألباني صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم1761، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم7978، ورواه ابن ماجه في سننه برقم4019، والطبراني في الأوسط برقم4671

[2] سورة النور الآية 33.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم3029.

[4] عن جابر بن عبد الله وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2311، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم11365 باختلاف يسير.

والتاريخ يشهد على ذلك والآثار دلت على هذه الحوادث، فقد أهلك الله مدينة بومبأي الإيطالية ودُفنت كاملة تحت الرماد البركاني، واكتشف علماء الآثار في شواهد قائمة حتى الآن كيف كانت هذه المدينة ومن حولها تفعل الفحشاء والزنا علنا وفي الطرقات وأماكن تجمعهم، بدون حياء ولا حرج.

كما حدثنا قرآننا الكريم عن إهلاك ربنا القوي المنتقم من قوم لوط وما كانوا يفعلون، ودلت الآثار المكتشفة عن مكانهم وهلاكهم.

فقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[3].

وقد توعد ربنا سبحانه وتعالى العادل الحكيم الأمم كلها بالإهلاك، إذا انتشرت فيهم جريمة الزنا والفاحشة، وأعلنوها ولم يرتدعوا ولم يتنهوا عن غيهم، فقد قال الله سبحانه وتعالى متوعدا هؤلاء الفاسقين: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[4].

السعي بالصلح بين الزوجين

ما أجمل إسلامنا الذي يحافظ على البيت والأسرة، ويريد أن تستمر العشرة والود والحب في الأسرة والمجتمع، وإن حدث خلاف بين الزوجين وهو من طبيعة العلاقة الزوجية، فيسعى وبسرعة إلى الصلح بين الزوجين ورأب الصدع الذي حدث، حتى لا يتسع الخلاف والشقاق ولا يصلح معه الصلح، ودعا المجتمع كله للسعي في هذا الصلح، فالقريب ثم الأقرب إلى الزوجين يسعى للصلح، وإسلامنا الجميل يبين لنا فضل من سعى بالصلح بين الفرقاء وبخاصة الزوجين، لأنه بذلك يحفظ هذا البيت من الانهيار، ثم يحفظ المجتمع كله من التفسخ والانحلال.

فقال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[5].

وقال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[6].

وقال ربنا عز وجل: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

---

[1] عن ميمونة بنت الحارث، وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم2400، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد صحيح أو حسن برقم6/260.
[2] سورة الحجر الآية 74.
[3] سورة الذاريات الآية 32 – 37.
[4] سورة هود الآية 82 – 83.
[5] سورة النساء الآية35.
[6] سورة النساء الآية 128.

ويقول رسولنا ﷺ: «ألا أخبرُكم بأفضلِ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى، قال: إصلاحُ ذاتِ البينِ، وفسادُ ذاتِ البينِ الحالِقةُ»[2].

ويقول الحبيب ﷺ: «أَفضلُ الصدقةِ إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ»[3].

ويخبرنا رسولنا الحبيب ﷺ في حديث جميل عن فرح إبليس عليه لعنه الله في التفريق والخصام بين الزوجين فقال: «إنَّ إبليسَ يضَعُ عرشَه على الماءِ ثمَّ يبعثُ سراياهُ فأدناهم منهُ منزلةً أعظمُهم فتنةً يجيءُ أحدُهم فيقولُ فعلتُ كذا وَكذا فيقولُ ما صنعتَ شيئًا قال ثمَّ يجيءُ أحدُهم فيقولُ ما ترَكتُه حتَّى فرَّقتُ بينَه وبينَ امرأتِه قال فيدنيهِ منهُ ويقولُ نِعمَ أنتَ»[4].

وحتى الكذب فهو مسموح به في الصلح بين المتخاصمين، ولا إثم عليه في ذلك ما دام يسعى لرأب الصدع ولم الشمل، فقد قال الحبيب ﷺ: «لم يكذبْ من نمى بين اثنين ليُصلِحَ وفي لفظٍ: ليس بالكاذبِ من أصلحَ بين الناسِ فقال خيرًا أو نمَّى خيرًا»[5] .

الخلاف بين الزوجين

قد يحدث بين الزوجين بعض المشاجرات أو المشاحنات أوالغضب، فليس الحل أن يهجر أحد الزوجين الآخر هجرا طويلا، أو يتطاول أحدهما على الآخر بالسب واللعن، أو يصل الأمر بالضرب المبرح الذي يحدث أثرا بليغا في كلا الطرفين يصعب محو أثره ولو بعد حين، ويظل هناك حاجزًا نفسيًّا وجسديًّا بين الزوجين يحيل حياتهما إلى نكد وكآبة بين الطرفين، وقد يحدث فيها الانفصال والطلاق.

ولكن إسلامنا الجميل عالج هذه المشكلات التي تحدث وستظل تحدث بين الزوجين، لاختلاف كل منهما عن الآخر في الصفات الجسدية والثقافية والبيئية المحيطة بهما، وكذلك التربية المختلفة في الأسرة أو المجتمع، وهكذا من عوامل الاختلاف الطبيعية بين الزوجين.

فجعل هناك تدرجا في الحلول طبقا لطبيعة كل زوج وزوجة فجعل حل المشكلة بين الزوجين يبدأ من داخل البيت فقط بدون تدخل خارجي من الأهل أو الأصدقاء، وهناك بيوت كثيرة لا تسمع عنها شيء من شجار أو مشاحنات، وإذا حدثت لا يعلمها أحد من الأهل أو الأصدقاء المقربين، وتحل المشكلات بينهما فقط حتى بدون علم الأولاد، وذلك في وجود تفاهم بين الزوجين وحكمة أحدكما أو كليهما.

---

[1] سورة النساء الآية114.

[2] عن أبي الدرداء ورواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم4919، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم2509، وقال صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم303، وابن حبان في صحيحه برقم5092.

[3] عن عبد الله بن عمرو ورواه الألباني في السلسلة الصحيحة وقال له شاهد قوي برقم2639، وقال صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم2817، وقال الهيثمي فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف في مجمع الزوائد برقم8/83.

[4] عن جابر بن عبد الله وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2813، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع1526.

[5] عن أم كلثوم بنت عقبة وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4920، وصحيح في صحيح الترغيب برقم2815، وقال صحيح في صحيح الجامع5203.

فيقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1].

والتدرج في علاج مشاكل الزوجين يبدأ بالعظة والنصحية، وقد تكفي لحل المشكلة، وينتهي الأمر وتعود المياه إلى مجاريها بالحب والود بينهما، وإذا تعذر الحل بالكلمة قد يكون الحل بالهجر في المضاجع، وقد يجدي هذا الحل بين الزوجين لتوصيل رسالة للآخر أنه في خصام ولا يرضيه ما فعله الآخر، ويكون الهجر في فراش الزوجية أو داخل البيت وليس خارجه لما له من تأثير نفسي وجسدي على الزوجة، كما أمر النبي ﷺ فقد قال معاوية بن حيدة القشيرى: «يا رسولَ اللهِ ما حَقُّ زوجةِ أَحَدِنا عليه؟ قال: أن تُطْعِمَها إذا طَعِمْتَ، وتَكْسُوَها إذا اكْتَسَيْتَ، ولا تُقَبِّحِ الوجهَ، ولا تَضْرِبْ، ولا تَهْجُرْ إلا في البيتِ، كيف وقد أَفْضَى بعضُكم إلى بعضٍ ؛ إلا بما حَلَّ عَلَيْهِنَّ»[2].

وإذا لم يتم الوئام بين الزوجين فهناك حل ثالث وهو الضرب غير المبرح الذي لا يؤذي أو يترك أثرًا، وهو في حالة النشوز فقط، والنشوز (وهو امتناع المرأة عن القيام بحقوق زوجها)، ولكن كما ذكرنا يبعث رسالة إلى الزوجة بأن زوجها غير راض عنها وغاضب عليها لسلوك خاطئ منها، وذكره الله آخر الحلول التي قد تجدي في الندرة من النساء طبقا لاختلاف الزمان والمكان والعادات والتقاليد، وللعلماء توصيف لهذا الضرب بألا يؤذي المرأة في بدنها أو يترك أي علامة عليها، ويكون بالسواك وما شابهه، فلم يضرب النبي ﷺ أحدًا من زوجاته قط، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شيئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صاحبه، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[3].

وقال ﷺ: «لا تضرِبوا إماءَ الله» قال: فذئِر النِّساءُ وساءت أخلاقُهنَّ على أزواجِهن فقال عمرُ بنُ الخطَّابِ: ذئِر النِّساءُ وساءت أخلاقُهنَّ على أزواجِهنَّ منذُ نهَيْتَ عن ضربِهنَّ فقال النَّبيُّ ﷺ: (فاضرِبوا) فضرَب النَّاسُ نساءَهم تلك اللَّيلةَ فأتى نساءٌ كثيرٌ يشتكينَ الضَّربَ فقال النَّبيُّ ﷺ حينَ أصبَح: (لقد طاف بآلِ محمَّدٍ اللَّيلةَ سبعونَ امرأةً كلُّهنَّ يشتكينَ الضَّربَ وايمُ اللهِ لا تجِدونَ أولئكَ خيارَكم)[4].

وفي رواية أخرى له ﷺ: (لا تضرِبوا إماءَ اللَّه فجاءَ عمَرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ: ذَئرنَ النِّساءُ على أزواجِهنَّ فرخَّصَ في ضربِهنَّ فأطافَ بآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ نساءٌ كثيرٌ يَشكونَ أزواجَهُنَّ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: لقَد طافَ بآلِ محمَّدٍ نِساءٌ كثيرٌ يَشكونَ أزواجَهُنَّ ليسَ أولئِكَ بخيارِكُم)[5].

أي أن الذي يضرب زوجته ليس من خيار الناس وفضلائهم.

---

[1] سورة البقرة الآية 128.

[2] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم 2142، وصحيح الترغيب برقم 1929، وصحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم3195، وقال أحمد شاكر في عمدة التفاسير إسناده صحيح برقم1/277، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم11431.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 2328، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم488.

[4] عن إياس بن عبد الله ورواه ابن حبان في صحيحه برقم4189، وأشار أحمد شاكر في المقدمة إلى صحته في عمدة التفاسير برقم 1/501، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2146 باختلاف يسير،وقال صحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم3197، وصحيح الجامع برقم7360.

[5] عن إياس بن عبد الله وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2146، وقال حسن صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1628، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم4189.

فكيف يضرب الرجل زوجته ضربًا مبرحًا في الصباح ثم يعاشرها في المساء؟ أتكون هذه حياة سعيدة ! أيكون هناك مودة ورحمة كما أمرربنا سبحانه وتعالى!

وقد قال الحبيب ﷺ: (لا يَجلِدْ أحدُكم امرأتَه جَلْدَ العَبدِ، ثمَّ يجامِعَها في آخرِ اليومِ)[1].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[2].

وهناك تفسير جميل لكلمة الضرب في اللغة فمن معانيها في المعاجم المختلفة مثل لسان العرب ومختار الصحاح: الإعراض والمباعدة أو الامتناع عن عمل الشيء، وهذا التعريف يعني ابتعاد الزوج خارج بيت الزوجية لفترة حتى تعود الزوجة إلى رشدها، وتعود النفوس إلى الهدوء والراحة وطلب العودة والأنس مرة أخرى.

وقد يكون معناه هو الألم الجسدي الخفيف الذي لا يؤثر في الجسم أو يترك أثرًا عليه، وقد بينها ربنا في كتابه العزيز في قصة سيدنا أيوب عليه السلام؛ إذ أمره ربه ببر قسمه عندما أقسم أن يضرب زوجته، فقال له الله الرحيم: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[3]. أي خذ حزمة قش واضرب بها، فهي تبر بقسمك ولا تؤثر في زوجتك بأي ألم.

ويؤيده الحديث السابق عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها في أن النبي لم يضرب امرأة ولا خادم بيده قط.

فإذا خرجت المشكلة من بين جدار بيت الزوجية، فهناك تدرج آخر للحلول السهلة التي جاء بها إسلامنا الجميل؛ ومنها أن يكون هناك شخصية قريبة من الزوج والزوجة تسمع لها وتطيع الزوجة أو الزوج، كأبي الزوج أو أبيها أو أخيها أوغيره من الشخصيات القريبة من دائرة الزوج والزوجة، ويسمع لها الطرفان ويكون له الكلمة عليهما، فيسمع منه ومنها ويحكم بينهما بالعدل كما كان النبي ﷺ يحكم بين عليّ وفاطمة رضي الله عنهما، فقد روى سعد بن سهل الساعدي قال: «جاء رسولُ اللهِ ﷺ بيتَ فاطمةَ، فلم يجِدْ عليًّا في البيت. فقال: أين ابنُ عمِّك. قالتْ: كان بيني وبينَه شيءٌ، فغاضبَني فخرَج، فلم يقِلْ عِندي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لإنسانٍ: انظُرْ أين هو. فجاء فقال: يا رسولَ اللهِ، هو في المسجدِ راقدٌ، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ وهو مضطجِعٌ، قد سقَط رِداؤُه عن شِقِّه، وأصابَه ترابٌ، فجعَل رسولُ اللهِ ﷺ يمسحُه عنه ويقولُ: قُمْ أبا ترابٍ، قُمْ أبا تراب»[4].

---

[1] عن عبد الله بن زمعة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5204 مختصرا، وكاملا برقم3377، وأخرجه مسلم في صحيحه كاملا برقم2855.

[2] سورة النساء الآية 34.

[3] سورة ص الآية 44.

[4] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم441، ومسلم في صحيحه برقم2409.

وقد حدث خلاف بين النبي ﷺ وزوجته عائشة رضي الله عنها وحكّم رسول الله فيه أبا بكر رضي الله عنه، فقد روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كان بيني وبينَ النبيِّ ﷺ كلامٌ فقال أجعلُ بَيْنِي وبينَكِ عمرَ، فقلْتُ: لا قال أجعلُ بيني وبينكِ أباكِ، قلتُ: نعم»[1].

فإذا لم يتم الصلح وعودة الوفاق بينهما فدلنا إسلامنا الجميل إلى طريقة أخرى في القرآن الكريم فيقول ربنا الرحيم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّـهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[2].

فإسلامنا الجميل يريد أن يحفظ على الزوجين سرهما وخصوصيتهما ولا ينتشر بين الناس حديثهما، فاختيار حكم من أهله وحكم من أهلها يجعل الحل أسهل، ولا تنتشر بين الناس أسرار الزوجين، ويجعل قبول الحلول ممكنا، وألا يترك في النفوس أثرًا بعد الصلح.

«جاءَ رجلٌ وامرأةٌ إلى عليٍّ ومعَ كلِّ واحدٍ منهما فئامٌ من النَّاسِ فأمرَهُم عليٌّ فبعثوا حَكَمًا من أَهْلِهِ وحَكَمًا من أَهْلِها ثمَّ قالَ للحَكَمينِ: تدريانِ ما عليكُما، عليكُما إن رأيتُما أن تجمَعا أن تَجمَعا وإن رأيتُما أن تُفرِّقا أن تُفرِّقا قالت المرأةُ رَضيت بِكِتابِ اللَّهِ بما عليَّ فيهِ وليَ، قالَ الرَّجلُ أمَّا الفُرقةُ فلا. فقالَ عليٌّ كذَبتَ واللَّهِ حتَّى تُقرَّ بمثلِ الَّذي أقرَّت بِهِ»[3].

الخلع

كم ذكرنا يريد إسلامنا الجميل أن تبنى البيوت على الحب والألفة وكرم الأخلاق بين الزوج والزوجة، ولا يريد أن يشيع جو الكآبة والحزن في البيوت، وأباح لنا مع الكراهة الطلاق كآخر الحلول، ولكن قد يتعنت الزوج في طلاق زوجته ويصر على استمرار سياسة النكد والشجار، وقد يصل إلى إهانة زوجته وضربها وحبسها في البيت، فتصبح الحياة لا تطاق لجور هذا الزوج وظلمه لزوجته.

ولهذه الزوجة المظلومة حلول في إسلامنا الجميل، حفاظا على حقوقها وكرامتها، فقد أجاز لها إسلامنا الجميل طلب الطلاق للضرر الواقع عليها، وغير القابل للصلح أو الإصلاح، فإذا رفض الزوج الظالم أجاز لها حلًّا آخر وهو الخلع منه.

فبعد الزواج قد يرى كل في الآخر ما يستحيل معه الحياة الزوجية، وما لا يستطيعه أو يتحمله كل منهما من الآخر، وتخفق معه كل طرق الإصلاح، وقد تتحمل المرأة الجزء الأكبر من الظلم، فتريد الطلاق، وقد يكون الزوج أعطاها مهرًا كبيرًا، وتكلف نفقات كثيرة من أجل الزواج منها، ويخسر كثيرًا بالطلاق، ومما يزيد معه تكلفة الطلاق مع أخذ الزوجة مهرها ونفقتها ومتعتها وخسارة ما تكلفه في سبيل الزواج من هدايا ونفقات عرس، كل ذلك مما قد يمنع الزوج من طلاق زوجته.

---

[1] قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد فيه صالح بن أبي الأسود وهو ضعيف برقم4/199، وضعفه ابن عدى في الكامل في الضعفاء وقال فيه صالح بن الأسود أحاديثه ليست مستقيمة.

[2] سورة النساء الآية 35.

[3] عن عبيده بن عمرو السلماني، وقال الشافعي ثابت في الأم برقم6/496، وقال ابن كثير إسناده صحيح في إرشاد الفقيه برقم2/188.

فيكون الخلع من زوجها آخر الحلول في طلب المرأة أن تفارق زوجها لكرهها له واستحالة العشرة معه، وأن الزوجة هي من تطلب الطلاق والخلع منه، وهو يصبر على زوجته ولا يريد طلاقها، وقد يرضي الخلع الزوج الطامع في استرداد مهره وبخاصة لو كان كثيرًا، وقد يستخدمه الزوج في طلاق زوجته ليكون رابحًا أقل الأضرار من هذا الزواج المخفق وقد دفع مهرًا كبيرًا ويريد ألا يخسره كما خسر زوجته وبيته، فترد له زوجته مهرها أو تزيد عليه أو جزءًا منه حتى يرضى الزوج بطلاق زوجته وخلعها منه، ويكون عونًا له في الزواج من أخرى.

وييسر إسلامنا الجميل هذا الفراق ويهونه على الزوج والزوجة، وخوف كل منهما من القادم وبخاصة الزوجة؛ لأنها تكون أكثر ضررًا في الطلاق، فيقول الله لهما: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[1].

أي أن الله سوف يغني كل منكما عن الآخر، فالله الكريم يغني الزوج عن زوجته ويغني الزوجة عن زوجها، ويعوضهما خيرًا، فيعوضها زوجًا خيرًا من زوجها ويعوضه زوجة خيرًا من زوجته، وهو سبحانه واسع الفضل والكرم عظيم المن والعطاء، حكيمًا في أحكامه وأقداره وفي جميع أفعاله سبحانه وتعالى.

وهذا من تيسير إسلامنا الجميل للمرأة الكارهة لزوجها لظلمه لها، فقد سنه الحبيب ﷺ لرجوع النفوس لاطمئنانها وسكونها واستمرار الحياة هادئة ميسرة، ومنعًا لظلم المرأة التي كانت مظلومة في الأمم وشرائع من قبلنا، حتى جاء إسلامنا الجميل فنصفها ونصرها، وأعاد لها كرامتها وإنسانيتها الضائعة.

وسبحان من شرع لنا ما ييسر لنا حياتنا ونسعد في الدنيا والآخرة، وجعل من كل ضيق مخرجًا ومن هم فرجًا وجعل بعد العسر يسرًا، فقال تعالى لحل مشاكل الأسر: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

وأول حالة خلع في الإسلام كانت في عهد النبي الحبيب ﷺ، وكان في هذا الحكم حل لمن أرادت أن تخلع زوجها؛ لكراهتها له وخوفها من كفران العشير.

فقد روى محمد بن مسلم المكي أبو الزبير: «أن ثابت بن قيسِ بن شماس كانت عندهُ بنتُ عبد الله بن أبي سَلول، وكانَ أصدقَها حديقةً، فكرهتهُ فقال النبي ﷺ: أتردّينَ عليهِ حديقتهُ؟ قالت: نعمْ وزيادة، قال: أما الزيادةُ فلا ولكن حديقتَهُ، قالت: نعم فأخذهَا لَهُ وخلّى سبيلها، فلما بلغَ ذلك ثابت بن قيسٍ قال: قد قبلتُ قضاءَ رسولِ اللهِ ﷺ»[3].

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بنِ قَيْسٍ أتَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بنُ قَيْسٍ، ما أعْتِبُ عليه في خُلُقٍ ولَا دِينٍ، ولَكِنِّي أكْرَهُ الكُفْرَ في الإسْلَامِ، فَقالَ

---

[1] سورة النساء الآية 130.

[2] سورة البقرة الآية 229.

[3] وراه الذهبي في تنقيح التحقيق وقال جيد برقم 2/202، وقال الشوكاني في نيل الأوطار إسناده قوي مع أنه مرسل برقم7/35، والحديث روى نحوه عن أكثر من واحد من الصحابة وهم سعيد بن المسيب، وأبو سعيد الخدري، وجد عبد الله بن شعيب وأكثرهم صحة رواية عبد الله بن عباس وقال فيها الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم 1686.

رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَتَرُدِّينَ عليه حَدِيقَتَهُ؟ قالَتْ: نَعَمْ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: اقْبَلِ الحَدِيقَةَ وطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً»[1].

«عن أبي حريز أنه سأل عكرمة، هل كان للخلع أصل؟ قال: كان ابن عباس يقول: إن أول خلع كان في الإسلام، أخت عبد الله بن أبي، أنها أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا يجمع رأسي ورأسه شيء أبدًا إني رفعت جانب الخباء، فرأيته أقبل في عدة، فإذا هو أشدهم سوادًا، وأقصرهم قامة، وأقبحهم وجهًا قال زوجها: يا رسول الله، إني أعطيتها أفضل مالي حديقة، فإن ردت على حديقتي قال: ما تقولين؟ قالت: نعم، وإن شاء زدته قال: ففرق بينهما»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «أنَّ حبيبةَ بنتَ سَهلٍ كانت عندَ ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمَّاسٍ فضربَها فَكسرَبعضَها، فأتت رسولَ اللَّهِ ﷺ بعدَ الصُّبحِ فاشتَكتهُ إليهِ فدعا النَّبيُّ ﷺ ثابتًا، فقالَ خذ بعضَ مالِها وفارقها، فقالَ ويصلحُ ذلِك يارسولَ اللَّهِ؟ قالَ نعم قالَ فإنِّي أصدقتُها حديقتينِ وَهما بيدِها، فقالَ النَّبيُّ ﷺ خذهما وفارقها ففعلَ»[3].

وقد روت الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: (اختلَعتُ مِن زَوجي، ثمَّ جئتُ عثمانَ، فسألتُ: ماذا علَيَّ منَ العِدَّةِ؟ فقال: لا عِدَّةَ علَيكِ، إلَّا أن يَكونَ حديثَ عَهْدٍ بِكِ، فتمكُثينَ عندَهُ حتَّى تحيضينَ حَيضةً، قالَت: وإنَّما تبِعَ في ذلِكَ قضاءَ رسولِ اللَّهِ ﷺ في مريمَ المغاليَّةِ، وَكانت تحتَ ثابتِ بنِ قَيسٍ، فاختلَعتْ منهُ)[4].

ومن هذه الأحاديث السابقة أحل إسلامنا الجميل الخلع، إذا كرهت المرأة زوجها، ولقد خشيت أن أنام في جنبك ولا أؤدي حقك، أو لا تبر له قسمًا ولا تطيع له أمرًا، أو تخشى وتخاف منه وتبغضه مخافة أن يبطش بها ويسيء إليها، أو لا يعطيها حقها وتخاف الفتنة، أو يكون سيئ الأخلاق أو الخلق، أو يكون من الفاسقين الذين يرتكبون الكبائر لا يرتدعون ولا يخافون الله وتخشى على إيمانها ونفسها معه، أو كان يعتدي عليها بالضرب المبرح الذي يترك أثرًا.

كل هذه الأسباب أحلت للمرأة أن تطلب الخلع من زوجها، ولكن لا تعتدي وتطلب الخلع لأسباب تافهة أو يمكن إصلاحها، فإن فعلت وطلبت الطلاق أو الخلع فقد عصت الله ورسوله لقول الحبيب ﷺ: (أيُّمَا امرأةٍ سألت زوجَها طلاقًا في غيرِ ما بأسٍ فحرامٌ عليها رائحةُ الجنةِ)[5].

ويكون الخلع طلقة بائنة، فلا رجعة لها، فتعتد المرأة عدتها وهي حيضة واحدة حتى تتأكد أن لا وجود لحمل، ولا تعود لزوجها إلا إذا ارتضت ووافقت بمهر جديد وعقد جديد.

وللمرأة التي تريد الخلع التوافق بينها وبين زوجها على قيمة الخلع، فيجوز لها أن تفتدي نفسها بأقل من قيمة مهرها أو تساوي مهرها أو تزيد عليه، حتى يجري التوافق مع الزوج، أما إذا رفض الزوج التوافق

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه برقم5273، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3463.
[2] رواه الطبري في تفسيره جامع البيان برقم4807 أو برقم4/553،وقال إسناده صحيح وابن حريز وثقه ابن معين وأبو زرعة.
[3] رواه الطبري في تفسيره جامع البيان برقم4808 أو برقم4/553، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2228.
[4] قال الألباني في صحيح ابن ماجه حسن صحيح برقم1687 واللفظ له، ورواه النسائي في سننه برقم3489.
[5] عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2226، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1685، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم2706.

على قيمة الخلع فلها أن تلجأ إلى التحكيم بينهما من أهلهما أو من يتوافق عليه الزوجان، فإن أخفقا في التوافق بينهما فتلجأ إلى القاضي فيقضي بينهما بحكمه.

وفي هذه الظروف العصيبة على كليهما ألا ينسيا الفضل بينهما، وهذا أمر الله إليهما، فقد قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۖ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

وإسلامنا الجميل جعل الطلاق بيد الرجل وجعل الخلع بيد المرأة، فالطلاق بيد الرجل ورضاه، فهو الذي يتكفل بتكاليف الطلاق برغبته، فيدفع إليها ما تبقى من مهرها إن كان أعطاها مقدمًا من المهر وآخر الجزء الآخر، ويتكفل بنفقة إقامتها وسكنها خلال مدة العدة، ونفقة متعتها وحضانتها، ويكون ذلك حاجزًا ومانعًا لتأخير الطلاق والتروي فيه.

وجعل الخلع بيد المرأة، فهي برضاها وموافقتها تدفع للزوج لكي يرضى ويوافق على خلعها، فهي تتنازل عن مهرها وهداياه ونقوده لطلب الخلع منه، وقد يؤخر هذا طلب الخلع، والحكمة هي لم الشمل ونجاح الأسرة ودوامها، فإن لم يكن وكان الشقاق والبغض، فالطلاق والخلع تعد حلولًا ناجعة حتى تعود النفوس إلى هدوئها وراحتها.

فتذروها كالمعلقة

ومنع إسلامنا الجميل الرجل أن يجعل زوجته كالمعلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة، فقد أمره الله سبحانه وتعالى فقال سبحانه: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّـهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٢٩) وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّـهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّـهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[2].

وحمى إسلامنا الجميل المرأة في أن تقع في الفتنة حين تطول مدة بعد زوجها عنها وعدم نكاحها، فحماها من شر نفسها ووسوسة الشيطان عليها، وحمى الأسرة أن تتفكك وحمى المجتمع من الرزيلة والفساد.

ومن خير إسلامنا الجميل في المحافظة على كيان الأسرة، أمر الزوج أن يراعي حق زوجته عليه وألا يهجرها فوق أربعة أشهر، أو يطلقها إذا أخفق الصلح بينهما، فقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

والإيلاء لغة هو الحلف، وشرعًا هو كما عرفه ابن عباس رضي الله عنهما في الفتح القدير للشوكاني بقوله: «هو الرجل يحلف لأمرأته بالله أن لا ينكحها، فتتربص أربعة أشهر، فإن هو نكحها كفرّ عن يمينه، فإن مضت أربعة أشهر قبل أن ينكحها خيره السلطان: إما أن يفيء وإما أن يعزم فيطلق»[1].

---

[1] سورة البقرة الآية 237.
[2] سورة البقرة الآية 130،129.
[3] سورة البقرة.

وروي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه سأل عن المدة التي يمكن للمرأة أن تصبر على فراق زوجها، لأنه لكونه حاكمًا كان مشغولًا بالحفاظ على المجتمع المسلم في كل شئونه، فمر ليلة في طرق المدينة يتفقد أحوالها فسمع امرأة تقول أبيات من الشعر تشتكي فيه بُعد زوجها عنها: «فسألَ عمرُ من النِّساءِ كم تصبرُ المرأةُ عن زوجِها؟ تصبرُ شَهرًا، فقلنَ: نعم. قالَ: تصبرُ شَهرينِ، فقلنَ: نعم. قالَ: ثلاثةَ أشْهرٍ، قلنَ: نعم. ويقلُّ صبرُها، قالَ: أربعةَ أشْهرٍ، قلنَ: نعم، ويفنى صبرُها، فَكتبَ إلى أمراءِ الأجنادِ في رجالٍ غابوا على نسائِهِم أربعةَ أشْهرٍ أن يردُّوهم، ويُروى أنَّهُ سألَ عن ذلِكَ حفصةَ فأجابَت بذلِكَ»[2].

وفي رواية أخرى: «خرجَ عمرُ بنُ الخطَّابِ منَ اللَّيلِ فسمِعَ امرأةً تقولُ: تطاولَ هذا اللَّيلُ واسوَدَّ جانبُهُ * وأرَّقَني ألَّا خليلَ ألاعبُهُ * فواللهِ لولا اللَّهُ أنِّي أراقبُهُ * لحُرِّكَ من هذا السَّريرِ جوانبُهُ. فسألَ عمرُ بنُ الخطَّابِ ابنتَهُ حفصةَ :كم أَكْثرُ ما تصبرُ المرأةُ عن زوجِها؟ فقالت: ستَّةَ أشهرٍ أو أربعةَ أشهرٍ قالَ مالِكٌ: أشُكُّ أربعةً أو ستَّةً لا أدري! فقالَ عُمرُ: لا أحبسُ أحدًا منْ جُيوشٍ أَكْثرَ من ذلِكَ»[3].

وعن ابنِ عمرَ «إذا مضَتْ أربعةُ أشهرٍ يُوقَفُ حتى يطلقَ، ولا يقعُ عليهِ الطلاقُ حتى يطلقَ. ويُذْكَرُ ذلكَ عن: عثمانَ، وعليٍ، وأبي الدَرْدَاءِ، وعائشةَ، واثْنَي عَشَرَ رجلًا، من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ»[4].

ولقد آلى الحبيب ﷺ من أزواجه شهرًا كاملًا، وقد اختلفت الروايات في سبب إيلائه ﷺ، فمنها طلبهن زيادة التفقة، منها إفشاء حفصة للحديث الذي أسره إليها.

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «آلَى رَسولُ اللَّهِ ﷺ مِن نِسَائِهِ شَهْرًا، وكَانَتِ انْفَكَّتْ قَدَمُهُ، فَجَلَسَ في عُلِّيَّةٍ له، فَجَاءَ عُمَرُ فَقالَ: أطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ قالَ: لَا، ولَكِنِّي آلَيْتُ منهنَّ شَهْرًا، فَمَكَثَ تِسْعًا وعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَ، فَدَخَلَ علَى نِسَائِهِ»[5].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أَصْبَحْنَا يَوْمًا ونِسَاءُ النبيِّ ﷺ يَبْكِينَ، عِنْدَ كُلِّ امْرَأَةٍ منهنَّ أهْلُهَا، فَخَرَجْتُ إلى المَسْجِدِ، فَإِذَا هو مَلْآنُ مِنَ النَّاسِ، فَجَاءَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فَصَعِدَ إلى النبيِّ ﷺ وهو في غُرْفَةٍ له، فَسَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ أحَدٌ، ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ أحَدٌ، ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ أحَدٌ، فَنَادَاهُ، فَدَخَلَ علَى النبيِّ ﷺ فَقالَ: أطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَقالَ: لَا، ولَكِنْ آلَيْتُ منهنَّ شَهْرًا فَمَكَثَ تِسْعًا وعِشْرِينَ ثُمَّ دَخَلَ علَى نِسَائِهِ»[6].

وحديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: «أنَّ النبيَّ ﷺ حَلَفَ لا يَدْخُلُ علَى بَعْضِ أهْلِهِ شَهْرًا، فَلَمَّا مَضَى تِسْعَةٌ وعِشْرُونَ يَوْمًا غَدَا عليهنَّ أوْ رَاحَ، فقِيلَ له: يا نَبِيَّ اللَّهِ، حَلَفْتَ أنْ لاتَدْخُلَ عليهنَّ شَهْرًا؟ قالَ: إنَّ الشَّهْرَ يَكونُ تِسْعَةً وعِشْرِينَ يَوْمًا»[7].

ولقد آلى ﷺ من زوجته زينب بن جحش ما يقارب أربعة أشهر، عقابًا وتأديبًا لها لما اقترفت في حق زوجته صفية بنت حُيي، عندما تناولتها بقولها لرسول الله أنها يهودية، غيرة منها على رسول الله ﷺ، فقد

---

[1] فتح القدير للشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ص150

[2] قال ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير: لم أقف عليه مفصلًا هكذا برقم4/1264

[3] عن عبد الله بن دينار وقال عبد العزيز بن محمد النخشبى في تخريج الحنائيات حسن غير أنه مرسل برقم 2/1274.

[4] عن نافع مولى ابن عمر ورواه البخاري في صحيحه برقم 5291، ومالك في الموطأ برقم1185.

[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2469واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1479.

[6] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5203 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1479.

[7] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5202، ومسلم في صحيحه برقم1085.

كانوا في سفر حجة النبي ﷺ فبرك جمل السيدة صفية رضي الله عنها فبكت بكاءً شديدًا خوفًا ألا تكمل رحلة الحج مع الحبيب ﷺ، فمسح الحبيب دموعها بيده وطيّب خاطرها، وطلب من زينب بنت جحش رضي الله عنها أن تعيرها جملا آخر لها، فغارت منها وعيرتها بيهوديتها، فتروي السيدة صفية رضي الله عنها قالت: «لَمَّا كانَ عندَ الرَّوَاحِ قالَ لِزَيْنَبَ بنتِ جَحْشٍ أَفْقِرِي أُخْتَكِ صَفِيَّةَ جملًا وكانَتْ مِنْ أَكْثَرِهِنَّ ظَهْرًا فقالَتْ أنا أُفْقِرُ يَهُودِيَّتَكَ فغَضِبَ النبيُّ ﷺ حينَ سَمِعَ ذلِكَ مِنْهَا فهَجَرَها فَلَمْ يُكَلِّمْهَا حتَّى قَدِمَ مَكةَ وأيامَ مِنًى في سفَرِهِ حتى رجعَ إلى المدينةِ والمحرمِ وصَفَرٍ فلَمْ يَأْتِها ولم يَقْسِمْ لها حتى يَئِسَتْ مِنْهُ فلَمَّا كانَ شهرُ ربيعٍ الأولِ دخلَ علَيْهَا»[1].

راجعها حفاظًا على الأسرة

وإن طلقها زوجها، أمر إسلامنا الجميل أن يكون هناك رجعة بعد الطلاق لاستكمال مسيرة الأسرة مرة أخرى، فجعل للرجل أن يراجع زوجته ويعود وئام الأسرة، فجعل الطلاق مرتين بعودة ورجعة، وإذا طلقها الثالثة لا تعود إليه مرة أخرى.

وإن انتهت عدة المرأة في الطلاق الرجعي أي قبل الطلقة الثالثة ولم تتزوج بآخر، مهد إسلامنا الجميل طريقًا للعودة مرة أخرى بين الزوجين، فبعد انتهاء عدتها يجوز لزوجها أن يطلب منها أن تعود إليه بعقد جديد ومهر جديد إذا رضيت المرأة بذلك، ولا يجوز لوليها أن يمنعها من العودة إلى زوجها مرة أخرى، للم شمل الأسرة وعودة الوئام والود والحب والمودة مرة أخرى، فقد جربا لوعة الفراق والتشتت.

ويقول ربنا سبحانه وتعالى الرحيم بعباده: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

عن الحسنِ قال: ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنّ﴾ قال: حدَّثَني مَعقِلُ بنُ يَسارٍ: أنها نزَلَتْ فيه، قال: زوَّجْتُ أختًا لي من رجلٍ فطلَّقَها، حتى إذا انقضَتْ عِدَّتُها جاء يَخطِبُها، فقُلْتُ له زوَّجْتُك وفرَشْتُك وأكرَمتُك، فطلَّقْتَها، ثم جِئتَ تَخطِبُها، لا واللهِ لا تعودُ إليك أبدًا وكان رجلًا لا بأسَ به، وكانتِ المرأةُ تُريدُ أن تَرجِعَ إليه، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ: ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنّ﴾ فقُلْتُ: الآنَ أفعَلُ يا رسولَ اللهِ، قال فزوَّجَها إياه[3].

وإذا حدث وتزوجت امرأته من زوج آخر وعاشا معًا مدة ثم طلقت منه، فيجوز أن تعود لزوجها الأول مرة أخرى استكمالًا لمسيرة الأسرة وبخاصة في حالة وجود أولاد منهما، قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَـٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ

[1] عن صفية أم المؤمنين، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة صحيح برقم7/621، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه سمية روى لها أبو داود وغيره ولم يضعفها أحد، وبقية رجاله ثقات برقم4/323.

[2] سورة البقرة الآية 232.

[3] عن معقل بن يسار ورواه البخاري في صحيحه برقم5130، والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين برقم2/527.

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[1].

وأوجب إسلامنا الجميل ضرورة دخول الزوج الجديد على زوجته دخولًا شرعيًّا، فلعل هذه الحياة الجديدة مع زوج جديد تدوم عشرتها معه، وتنسى الزوجة آلام تعدد طلاقها من زوجها السابق، وتبدأ صفحة جديدة، لعله يكون أفضل من زوجها السابق.

ولذا أوجب رسول الله ﷺ ضرورة دخول الزوج الجديد على زوجته، وأن يتذوق كل منهما لذة الجماع مع الآخر.

لحديثه ﷺ: «عن عائشةَ قالَت: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ، عن رجُلٍ طلَّقَ امرأتَهُ - يعني ثلاثًا - فتزوَّجت زوجًا غيرَهُ، فدخلَ بِها، ثمَّ طلَّقَها قبلَ أن يواقِعَها أتحلُّ لزوجِها الأوَّلِ؟ قالَت: قالَ النَّبيُّ ﷺ: لا تحلُّ للأوَّلِ حتَّى تذوقَ عُسَيْلةَ الآخرِ، ويذوقَ عُسَيْلتَها»[2].

وحديث آخر أكثر تفصيلا: «جاءَتْ امرأَةُ رفَاعَةَ القُرَظِيِّ النبيَّ ﷺ فقالتْ: كنتُ عندَ رفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فأَبَتَّ طلاقِي، فتزَوَّجْتُ عبدَ الرحمنِ بنِ الزبيرِ، إنَّمَا معهُ مثلُ هُدْبَةِ الثَّوبِ، فقال: «أَتَرِيدِينَ أن تَرجِعِي إلى رفَاعَةَ؟ لا، حتَّى تَذُوقِي عُسَيلَتَهُ ويذُوقَ عُسَيلَتِكِ»[3].

المحلّل حرام

حرّم إسلامنا الجميل المحلّل للمرأة المطلقة التي طلقت ثلاث مرات من زوجها، لأن إسلامنا الجميل يريد للأسر أن تستمر، ولا يهدم كيان بيت قد يضم أولادًا، وما قد يصيبهم من هذا الطلاق من أضرار نفسية وجسدية تؤثر فيهم طوال حياتهم.

أن أحكام إسلامنا الجميلة والميّسرة والمنزلة من لدن حكيم عليم، لا تُستخدم للتحايل على أحكام الله التي شرعها سبحانه لدوام السعادة في الدنيا والآخرة، وأن الأساس في الزواج في إسلامنا الجميل هو المودة والرحمة والاستمرارية، وبهما تقام أسرة سعيدة ومجتمع مستقر.

فإذا أراد الزوج الذي طلّق زوجته ثلاث مرات أن يعود لمطلقته مرة أخرى، ووافقت المطلقة أن تعود له، وهذا محرم عليهما، يلجآن للتحايل لإتمام زواجها، فتتزوج المرأة رجلًا آخر ليحللها لزوجها القديم، ويطلقها هذا المحلل بدون الدخول عليها أو حتى بالدخول عليها، وكانت نيتهما هو التحلل لزوجها القديم فقط، فهذا الزواج باطل شرعًا، لأنه تحايل على أحكام الله واستهزاء بأوامره سبحانه، الذي يريد سبحانه بالزواج الحلال دوام العشرة واستقرار الأسرة.

فقد قال الحبيب ﷺ محذرًا: «ألا أخبرُكُم بالتَّيسِ المُستَعارِ؟ قالوا: بلَى يا رسولَ اللهِ، قالَ: هوَ المُحلِّلُ، لعنَ اللَّهُ المُحلِّلَ والمُحلَّلَ لَهُ»[1].

---

[1] سورة البقرة الآية 229 - 230.

[2] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2309، وصحيح في صحيح النسائي برقم3407، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم4119.

[3] عن عائشة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2639 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1433.

وفي حديث آخر: «لعَن اللهُ المُحلِّلَ والمُحلَّلَ له»[2].

وهكذا تدرج إسلامنا الجميل في حل مشاكل الأسرة، والحفاظ على كيانها واستمرارها، لأن الأسرة هي نواة المجتمع، ونجاحها هو نجاح للمجتمع وتفككها هو تفكيك للمجتمع كله.

ولهذا حذّر الله سبحانه وتعالى القائمين على كيان الأسرة سواء كان الزوج أو الزوجة أو وليها من التهاون والتلاعب بهذا الكيان المتين الذي يريده الله سبحانه وتعالى قويًّا متينًا مبنيًا على الترابط والحب والود، فيقول ربنا سبحانه وتعالى في نهاية كل أمر أو توجيه في آيات الحديث عن الأسرة والمجتمع المسلم بداية من الآية 221 إلى الآية 242 من سورة البقرة: ﴿وَاللَّـهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)، إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)، وَاتَّقُوا اللَّـهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)، وَاللَّـهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) وَاللَّـهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)، فَإِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)، وَاللَّـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)، تِلْكَ حُدُودُ اللَّـهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّـهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّـهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّـهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّـهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)، ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)، وَاتَّقُوا اللَّـهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)، وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)، مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)، وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)، وَاللَّـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)، وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)﴾[3].

إلا بإذنها

من تعاليم إسلامنا الجميل في حق المرأة سواء كانت بكرًا لم تتزوج أم ثيّبًا تزوجت قبل ذلك أم يتيمة، ألا يزوجها وليها إلا بموافقتها، ويكون العقد باطلًا في حالة الإكراه وعدم موافقتها.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُنْكَحُ الأيِّمُ حتَّى تُسْتَأْمَرَ، ولا تُنْكَحُ البِكْرُ حتَّى تُسْتَأْذَنَ. قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وكيفَ إذْنُها؟ قالَ: أنْ تَسْكُتَ[4]».

وحديث: «لا تُنْكَحُ اليتيمةُ حتى تُسْتَأذنَ، فإنْ سَكتَتْ فقد أذَنتْ، وإنْ أبتْ فلا جُوازَ عليها»[1].

---

[1] عن عقبة بن عامر وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم1585، وقال إسناده حسن في التعليقات الرضية برقم2/169، وقال في إرواء الغليل فيه مشرح بن عاهان حسن الحديث برقم6/309، وقال أحمد شاكر في عمدة التفاسير إسناده صحيح برقم1/283

[2] روى هذا الحديث عن أكثر من صحابي ومنهم علي بن أبي طالب وأخرجه أبو داود في سننه برقم2076، وعبد الله بن مسعود وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي صحيح برقم3/46، وقال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى صحيح برقم20/266، وقال ثابت برقم32/61، وعن أبي هريرة وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان رجال إسناده كلهم ثقات برقم 1/409، وقال الألباني في رواية علي وابن مسعود وجابر بن عبد الله في صحيح الجامع صحيح برقم5101.

[3] سورة البقرة.

[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5136، ومسلم في صحيحه برقم1419.

وفي رواية أخرى «أنَّ قُدامةَ بنَ مَظعونٍ زوَّجَ ابنة أخيه من عبد الله ابنِ عُمرَ، فرُفِعَ ذلك إلى النبيِّ، فقال: إنها يتيمة ولا تُنكَحُ إلَّا بإذنِها»[2].

قنطار من المهر

كرم إسلامنا الجميل المرأة ورفع شأنها، فإن أراد الرجل أن يتزوج، فرض إسلامنا الجميل عليه أن يعطيها مهرًا ليبدأ معها الحياة الزوجية؛ حيث جعله الله حقًّا لها خالصًا وفرضًا لإتمام الزواج فيقول سبحانه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

ويقول سبحانه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[4].

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: النِّحْلَةُ: الْمَهْر.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ: نِحْلَةً: فَرِيضَةً. وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَقَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ: نِحْلَةً: أَيْ فَرِيضَةً. زَادَ ابْنُ جُرَيْجٍ: مُسَمَّاهُ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: النِّحْلَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْوَاجِبُ، يَقُولُ: لَا تَنْكِحُهَا إِلَّا بِشَيْءٍ وَاجِبٍ لَهَا، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَنْكِحَ امْرَأَةً إِلَّا بِصَدَاقٍ وَاجِبٍ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَسْمِيَةُ الصَّدَاقِ كَذِبًا بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَمَضْمُونُ كَلَامِهِمْ: أَنَّ الرَّجُلَ يَجِبُ عَلَيْهِ دَفْعُ الصَّدَاقِ إِلَى الْمَرْأَةِ حَتمًا، وَأَنْ يَكُونَ طَيِّبَ النَّفْسِ بِذَلِكَ، كَمَا يَمْنَحُ الْمَنِيحَةَ وَيُعْطِي النِّحْلَةَ طَيِّبًا بِهَا، كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يُعْطِيَ الْمَرْأَةَ صَدَاقَهَا طَيِّبًا بِذَلِكَ، فَإِنْ طَابَتْ هِيَ لَهُ بِهِ بَعْدَ تَسْمِيَتِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَلْيَأْكُلْهُ حَلَالًا طَيِّبًا»[5].

والمهر ليس ثمنًا للاستمتاع بالمرأة ولا إهانة لها ولا إنقاصًا من حقها، بل تكريمًا لها وإعلاءً لها ولكرامتها، وتقديرًا من الزوج لها، وليخبرها أنه يعطي الغالي والنفيس كي ترضى عنه وتقبله زوجًا لها، فهي كالدرة المكنونة الغالية، فيها يدفع الرجل الثمن الغالي لينال رضاها.

ثم إن المهر أحد أسباب استقرار الحياة الزوجية، فلو لم يدفع الزوج المهر الغالي للمرأة تهون عليه ويسهل فراقها واستبدالها ما دام لم يدفع لها مهرًا، كذلك لو أراد طلاقها فإنه يدفع لها ما تأخر من المهر ويدفع لها نفقة المتعة والعدة ونفقة الأطفال.

---

[1] عن أبي موسى الأشعري وأبي هريرة، وقال الألباني في رواية أبي هريرة صحيح في صحيح الجامع برقم8149، وقال حسن في صحيح الترمذي برقم1109، وقال حسن في صحيح النسائي برقم3270،وقال ابن تيمية ثابت في مجموع الفتاوى برقم32/48، وقال شعيب الأناؤوط في رواية أبي موسى صحيح لغيره في تخريج المسند برقم 19516.

[2] قال فيها الألباني إسناده حسن برقم 1835.

[3] النساء الآية 24.

[4] سورة النساء الآية 4.

[5] تفسير بن كثير/ سورة النساء الآية 4.

والله سبحانه وتعالى الخالق البارئ فطر النساء على حب التجمل بالحلي واقتناء الهدايا، وترضى نفسها وتقبل إذا قدم لها الرجل ما يرضيها، ولذا فهي تسعد وترضى لمن يقدم لها مهرًا سواء كان كبيرًا أم صغيرًا، فقد ترضى بالرجل الذي يقدم لها مهرًا كبيرًا إذا كان به عيب، وترضى بالمهر القليل إن كانت له محبة وراغبة.

وفي بعض العقائد الأخرى المسئول عن المرأة (وليّها) مثل أبيها هو من يدفع المهر للزوج للموافقة على الزواج من ابنته، كما في الديانة الهندوسية في الهند، ولذا كانت عبئًا ثقيلًا على الآباء أو الأولياء، ولذا كثر الإجهاض عندما يكون الحمل في أنثى، كما كانت توأد عند العرب قبل الإسلام فتدفن حية.

وإسلامنا الجميل لم يحدد قيمة المهر فقد يعلو إلى قنطار وقد ينزل إلى دينار، ويزيد وينقص بمقدار سعة الرجل وقبول المرأة.

ويسر إسلامنا الجميل المهر على الرجل بشرط رضاء المرأة وقبولها، فجعل المهر أحيانا خاتمًا من حديد أو بعض آيات القرآن الكريم وقصة مهر أم سليم معروفة فقد رضيت بإسلام أبي طلحة مهرًا لها فقط، فقد روت كتب السنة عن أنس بن مالك ابنها: «...فجاء أبو طلحةَ، فخَطَب أُمَّ سُلَيْمٍ، فكَلَّمَها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحةَ ما مِثْلُكَ يُرَدُّ، ولكنك امْرُؤٌ كافرٌ، وأنا امرأةٌ مسلمةٌ لا يَصْلُحُ لِي أن أتزوجَكَ فقال: ما ذاك دَهْرُكِ قالت: وما دَهْرِي؟ قال: الصفراءُ والبيضاءُ قالت: فإني لا أريدُ صفراءَ ولا بيضاءَ، أريدُ منك الإسلامَ، فإن تُسْلِمْ فذاك مَهْرِي، ولا أسألُك غيرَه، قال: فمَن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسولُ اللهِ ﷺ، فانطلق أبو طلحةَ يريدُ النبيَّ ﷺ ورسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ في أصحابِه، فلما رآه قال: جاءكم أبو طلحةَ غُرَّةُ الإسلامِ بين عَيْنَيْهِ، فأَخْبَرَ رسولَ اللهِ ﷺ بما قالت أُمُّ سُلَيْمٍ، فتَزَوَّجَها على ذلك. قال ثابتٌ وهو الْبُنَانِيُّ أَحَدُ رُواةِ القِصَّةِ عن أَنَسٍ: فما بَلَغَنا أنَّ مَهْرًا كان أعظمَ منه أنها رَضِيَتِ الإسلامَ مَهْرًا، فتَزَوَّجَها....»[1].

وعن سهل بن سعد الساعدى قال: «كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ جُلُوسًا، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ تَعْرِضُ نَفْسَهَا عليه، فَخَفَّضَ فِيهَا النَّظَرَ ورَفَعَهُ، فَلَمْ يُرِدْهَا، فَقالَ رَجُلٌ مِن أصْحَابِهِ: زَوِّجْنِيهَا يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: أعِنْدَكَ مِن شيءٍ؟ قالَ: ما عِنْدِي مِن شيءٍ، قالَ: ولَا خَاتَمٌ مِن حَدِيدٍ؟ قالَ: ولَا خَاتَمٌ مِن حَدِيدٍ، ولَكِنْ أشُقُّ بُرْدَتي هذِه فَأُعْطِيهَا النِّصْفَ، وأخذ النِّصْفَ، قالَ: لَا، هلْ معكَ مِنَ القُرْآنِ شيءٌ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: اذْهَبْ فقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بما معكَ مِنَ القُرْآنِ»[2].

وعن أبو العجفاء السلمي رضي الله عنه قال: «خطبَنا عمرُ رحمَهُ اللَّهُ فقالَ: ألا لا تُغالوا بصُدُقِ النِّساءِ فإنَّها لو كانت مَكرمةً في الدُّنيا أو تقوى عندَ اللَّهِ لَكانَ أولاكم بِها النَّبيُّ ﷺ ما أصدقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ امرأةً من نسائِهِ ولا أصدَقت امرأةٌ من بناتِهِ أَكثرَ من ثنتي عشرةَ أوقيَّةً)[3].

إن نهي عُمرَ الفاروق رضي الله عنه إنَّما هو للحثِّ والتَّرغيب في تقليل المهور وتسهيل الزواج على الرجال الفقراء، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إحداهن قِنطَارًا فَلَا تَأخذوا

[1] قال عنه الألباني في أحكام الجنائز أخرجه البخاري ومسلم مختصرا برقم 35.
[2] الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم5132 واللفظ له، ومسلم في صحيحه نحوه برقم1425.
[3] قال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم2106،وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم1114، وصحيح في صحيح تخريج مشكاة المصابيح برقم3140، ونحوه وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1544،

مِنْهُ شيئًا ۚ أَتَأخذونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأخذونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأخذنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1]. أي: ليس هناك حدٌّ لمهر المرأة ولكن هذا من باب الموعظة لتقليل المهور وتيسير الزواج.

ويحذر إسلامنا الجميل الرجال أن يأخذوا من هذا المهر شيئًا لأنفسهم ولو كان يسيرًا، إلا أن توافق المرأة، ويكون ذلك برغبتها عن طيب نفس أن تعطي زوجها جزءًا منه.

نفقة المتعة

أعطى إسلامنا الجميل كل الحقوق للمرأة المطلقة وجبر خاطرها، لو كانت رافضة الطلاق ورأى الزوج استحالة العشرة مع زوجته فطلقها بدون رضاها، فإسلامنا الجميل أعطاها حقها من هذا الزوج فجعل لها نفقة المتعة، وهي نفقة يدفعها الزوج لمطلقته التي طلقها لسبب ليست لها يد فيها، أو يدفع لها نفقة المتعة بالتراضي بينهما، وإذا اختلفا فالقاضي يفصل في القيمة طبقًا لأحوال الزوج وقدرته المالية.

وقال الفقهاء عن نفقة المتعة: «أن نفقة المتعة هي مال يُدفع من قبل الزوج المطلق للمطلقة؛ تعويضًا لها عما أصابها بسبب الطلاق من آلام، وليرفع عنها وصف الإساءة عن فرقة لم يكن لها يد فيها، ويعد بمنزلة شهادة بأن الطلاق ليس لعلة في المطلقة وإنما لعذر يخص المطلق وبسبب يرجع إليه».

فيقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[3].

وتكون لها تعويض لما أصابها من ضرر لوقوع الطلاق عليها بعدم رضاها، ولتنفق على نفسها، ولتدبر حالها بعد الطلاق.

نفقة العدة

في إسلامنا الجميل إذا طلقت المرأة فإنها تعتد طبقًا لحالتها، في مدة العدة، إن كانت تحيض فإنها تعتد ثلاث حيضات، وإن كانت لا تحيض سواء أكان مرضًا عندها أو لكبر سنها وانقطاع دورتها، فعدتها ثلاثة أشهر متتالية، لقوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[5].

[1] سورة النساء الآية 20
[2] سورى البقرة الآية 236.
[33] سورة البقرة الآية 241.
[4] سورة البقرة الآية 228.
[5] سورة الطلاق الآية 4.

وفي أثناء قضاء العدة، وجب على الزوج المطلق نفقة مطلقته أثناء عدتها كاملة، كما كان ينفق على زوجته قبل الطلاق، جبرًا لخاطرها وتعويضا على حزنها على طلاقها، وتدبير حاجاتها أثناء عدتها، وتهيئة لها إلى ما بعد الطلاق لتدبير حاجاتها ومستقبلها.

كان في مهنة أهله

يدلنا إسلامنا الجميل أن الزوج يجب أن يكون متعاونًا مع زوجته ومساعدًا لها في تحمل مشاق أعمال البيت، وبخاصة في وجود الأولاد وعمل الزوجة خارج البيت، في كثير من الأسر لقلة الدخل وصعوبة المعيشة، فيعلمنا إسلامنا الجميل أن الرجل يجب أن يكون سندًا لزوجته، كما ينبغي أن تكون سندًا لزوجها في مواجه الصعاب وتحمل المشاق وتقاسم أعباء الحياة معًا، لتستقيم الأسر وتدوم السعادة الزوجية، فكان رسول الله ﷺ المثال والقدوة في ذلك، ورغم أعباء الدعوة ومشاغل العمل في نشر الإسلام وتكوين المجتمع الإسلامي ودولة الإسلام الوليدة، ورغم كل هذه التكاليف كان عونًا لزوجاته في البيت، وكان في مهنتهن داخل البيت، فيكنس الأرض، ويرتب البيت، ويخيط ثوبه، ويصلح نعله، ويساعد زوجاته في بيوتهن.

فقد سألتُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: «ما كان النَّبيُّ ﷺ يعملُ في بيتِهِ؟ قالت: يخصِفُ نعلَهُ، ويعملُ ما يعملُ الرَّجلُ في بيتِهِ. وفي روايةٍ: قالت: ما يصنَعُ أحدُكُم في بيتِهِ: يخصِفُ النَّعلَ، ويَرْقَعُ الثَّوبَ، ويَخِيطُ»[1].

وفي رواية ابن حبان «عن عائشةَ قالت: سألَها رجُلٌ: هل كان رسولُ اللهِ ﷺ يعمَلُ في بيتِه؟ قالت: نَعم كان رسولُ اللهِ ﷺ يخصِفُ نعلَه ويَخيطُ ثوبَه ويعمَلُ في بيتِه كما يعمَلُ أحَدُكم في بيتِه»[2].

وفي رواية البخاري «سَأَلْتُ عَائِشَةَ ما كانَ النبيُّ ﷺ يَصْنَعُ في بَيْتِهِ؟ قالَتْ: كانَ يَكونُ في مِهْنَةِ أهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إلى الصَّلَاةِ»[3].

تحريم زواج المتعة

من جميل تشريعنا الإسلامي حفظ المرأة وصيانتها من كل سوء وحفظ كرامتها من كل إهانة، ولم يجعلها متعة لراغبي المتعة فقط، ولذا حرم إسلامنا الجميل زواج المتعة.

وكان زواج المتعة من أنواع زواج الجاهلية، وقد كان حلالا في بعض الوقت في بداية الإسلام ثم حرمه الله سبحانه تحريمًا أبديًّا، شأنه كشأن كثير من الأحكام في أول الأسلام وحداثة عهد الناس بالجاهلية كشرب الخمر وغيرها، فقط نسخت هذه الأحكام بعدما استتب أمر الإسلام، وأصبح له دولة ومنعة وانتشار.

ومعناه أن يتزوج الرجل المرأة لوقت محدد أو لمدة معينة بمهر، وبعدها يعود كل منها إلى حاله، فلا يوجد طلاق بل انتهاء العقد، لا يتوارث الزوجان فيه ولا تجب النفقة للمرأة على الزوج، وهذا يعد زنا مقننًا لا زواجًا حلالًا، لأن من أسس الزواج في إسلامنا الجميل هو الاستمرار ودوام العشرة وإقامة أسرة، وهو ما لا يتحقق في هذا الزواج.

---

[1] قال عنه الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم 419، وقال صحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم5759.
[2] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم6440، وقال في تخريج المسند صحيح برقم25341.
[3] أخرجه البخاري في صحيحه برقم676، والترمذي في سننه برقم2489.

والمرأة المتمتع بها ليست زوجة، لأن الزواج يوجب الاستمرار، وبه يتم التوارث بين الطرفين، كما توجب على الزوجة العدة في الوفاة والطلاق، وهذا غير موجود في زواج المتعة، بل فقط استبراء رحمها من الحمل مع أول دورة شهرية لها.

ومن أدلة تحريم زواج المتعة في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّـهُ مِن فَضْلِهِ﴾[2].

فلو كانت المتعة حلالًا لما أمر الله سبحانه وتعالى غير القادرين على الزواج بالتعفف حتى يكون لديهم القدرة على الزواج.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّـهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وفيها أمر من الله العليم بالنفوس بالزواج من النساء العفيفات الأحرار، فإذا تعذر الزواج من الحرائر فمن الإيماء بشروط الآية، ولو كانت المتعة حلالًا لما أمر الله سبحانه في حالة عدم استطاعة زواج الحرائر أن يتزوج من الإماء.

وقول النبي ﷺ: «يا أَيُّها الناسُ إني قد كنتُ أَذِنْتُ لكم في الاستمتاع من النساء، وإنَّ الله قد حَرَّم ذلك إلى يومِ القيامةِ، فمَن كان عندَه منهن شيءٌ فلْيُخِلَّ سبيلَه، وَلَا تَأخذوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شيئًا»[4].

وروى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «رَخَّصَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَامَ أَوْطَاسٍ، في المُتْعَةِ ثَلَاثًا، ثُمَّ نَهى عَنْهَا»[5].

وروى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نهى عن مُتعةِ النِّساءِ يومَ خيبر، وعن أكلِ لُحُومِ الحُمُرِ الإنْسيَّةِ»[6].

فما أجمل تشريعنا الذي يحافظ على الفطرة السليمة بين الناس، ويحافظ على كرامة المرأة التي كانت وما زالت مهانة ومستباحة في غير ظل إسلامنا الجميل.

لا تعدد للمرأة

---

[1] سورة المؤمنون الآيات 5 - 7.
[2] سورة النور الآية 33.
[3] سورة النساء الآية 4.
[4] عن سبره بن معد الجهني وأخرجه مسلم في صحيحه برقم 1406، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم 7878، وقال في صحيح ابن ماجة صحيح لكن قوله حجة الوداع شاذ والمحفوظ فيه يوم الفتح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم4147.
[5] وأخرجه مسلم في صحيحه برقم 1405، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم 4151.
[6] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري برقم4216، ومسلم في صحيحه برقم1407، وابن حبان في صحيحه برقم4143.

كثيرًا ما يهاجم غير المسلمين الدين الإسلامي جهلًا منهم برحمة وجمال إسلامنا الجميل، ومنها نعمة التعدد للرجل، ولها كما ذكرنا حكمة من الله العليم الحكيم الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى، ويعلم ما خلق، ولكن أن يهاجم الإسلام الجميل في نعمة عدم تعدد الرجال على المرأة الواحدة، فهذا ليس طبيعيًّا، فهؤلاء يهاجمون الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلم يعرف التاريخ قومًا أسوياء رضوا وسمحوا بهذا الاختلاط، ولا رضيت به المرأة لنفسها، فقد فطر الله المرأة على عدم التعدد والرضا برجل واحد، أما التعدد لها فهذه صفة شاذة لا يقبلها إلا أصحاب النفوس المريضة، أو الزواني التي يتعدد عليهن الرجال، ولهذا حرم ديننا الجميل هذا التعدد على المرأة لمعالجة هذا المرض المدمر للمجتمعات واستئصاله من المجتمع المسلم، لتستقيم الحياة بين الناس، لما يسببه هذا البلاء من فساد المجتمع، فقد ثبت على مر التاريخ انتشار الأمراض الجنسية في المرأة أولا ثم الرجل ثانيا، ثم إن الله قد فطر الناس على قيام الأسرة وترابطها وقوامة الرجل، فكيف للمرأة التي يتعدد عليها الرجال أن يكون لها أسرة وأولاد من أكثر من رجل، فتتعدد الأنساب ويختلط المجتمع ولا يعرف لأحد نسب، فتضيع الأخلاق وتضيع الحقوق، فكيف يقسم الميراث لمن لم يعرف له نسب.

وتعدد الرجال على المرأة الواحدة فيه تعدٍ عليها وصحتها، وكيف ترضي أزواجها كلهم في وقت واحد؟ فهذا تدمير لصحتها وجسدها، ولو مات أحدهم فتحسب عدة له أربعة أشهر وعشرا، فماذا يحدث للأحياء الباقين؟ ناهيك عن انعدام النخوة والغيرة في نفوس أزواجها، ورضاهم بالتعدد على أمرأة واحدة، وكيف يهتم الرجال بتربية الأطفال منها ولا يعرف أحدهم إن كان هذا ولده أم لا، وهذا لا يحدث في واقعنا وفطرة الله السليمة التي فطر الناس عليها.

وقد يدعي أحدهم أن العلم الحديث يستطيع نسب الأبن لأبيه عن طريق تحليل الجينات الوراثية للطفل وإلحاقه بأبيه الحقيقي، فكيف عن الغيرة والنخوة والمسئولية المشتركة من الزوج والزوجة بتربية أطفالهم.

ولقد اكتشف العلم حديثا أن للرجل بصمة في مهبل المرأة، فإذا تعدد بصمات الرجال على المهبل نفسه للمرأة لا يستطيع جهازها العصبي أن يحدد هذه البصمات، فينقلب ذلك بأمراض في جهازها التناسلي فتصاب بأمراض السرطانات المختلفة، وبالأمراض التناسلية التي تصيبها أولًا ثم تنتقل إلى الرجل ثانيًا، ومنها من عرفه الإنسان حاليًّا ويجتهد في إيجاد علاج له مثل الإيدز والهربس والسيلان، ومنها ما لم يعرفه، تصديقا لقول نبينا الحبيب ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفشِ فيهم ولدُ الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا، فأوشك أن يعمَّهم اللهُ بعذابٍ»[1].

وقوله ﷺ: «لم تَظْهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ حتى يُعْلِنُوا بها إلا فَشَا فيهِمُ الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أسلافِهِم الذين مَضَوْا»[2].

ويعرف الزنا بأنه معاشرة الرجل المرأة بدون زواج، والمرأة التي يتعدد عليها الرجال تسمى عاهرة وزانية، ويكرهها المجتمع السليم المحافظ على أخلاقه وقيمه وأُسره.

---

[1] عن ميمونة بنت الحارث ورواه أحمد في مسنده برقم 26214، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد صحيح أو حسن برقم 6/260، وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب والترهيب برقم2400، وقال ابن حجر في فتح البارى إسناده حسن برقم 10/203.

[2] عن عبد الله بن عمر، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم 7978، وقال صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم 2187، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم 3262، كما رواه الحاكم برقم 8623، والطبراني في الأوسط برقم 4671.

فالحمد لله على إسلامنا الجميل الذي حافظ على سلامة تكوين المجتمع، سلامة المرأة وسلامة الرجل، فلم يعرف في التاريخ البشري من لدن سيدنا آدم أبي البشرية حتى آخر الأنبياء سيدنا محمد ﷺ أن شرع الله في الدين تعدد الرجال على المرأة الواحدة حتى ولو كان رجلًا ثانيًا.

الكلمة الحلوة

الكلمة الحلوة دواء وعلاج وشفاء لكل مشاكل النفس البشرية تحتاجها المرأة قبل الرجل، فالرجل يأسر قلب المرأة بكلمة طيبة، وهي تنتظر منك هذه الكلمة الطيبة سواء كانت زوجتك أو ابنتك، وأهمهم أمك، فهؤلاء النساء جميعًا ينتظرن منك كلمة حلوة تدخل السرور عليهن، وتعيد لهن البسمة والطمأنينة والشعور بالأمان والدفء، فلا تبخل عليهن بهذه الكلمة الحلوة، وكثير من مشاكلنا في بيوتنا تحدث لعدم وجود الكلمة الحلوة بين الزوجين وبخاصة الزوج الذي يجب عليه أن يطرب أذن زوجته بكلمات حلوة، وإدخال البهجة والسرور على زوجته بل وكل أهل بيته، فلا تدع شياطين الإنس والجن يملأون أذن زوجتك أو ابنتك بالكلام المعسول وبالسم الهالك، فيخربون به البيوت الآمنة، واحفظي أيتها الزوجة الوفية والبنت البارة أذنيك عن كل كلام ظاهره حلو وآخره علقم، وخراب من أبالسة الأنس المفسدين.

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة فيقول ﷺ: «لا طِيَرَةَ وخيرها الفألُ، قيل: يا رسولَ اللهِ وما الفألُ؟ قال: الكلمةُ الصالحةُ يسمعُها أحدكم»[1].

ويقول حبيبنا طبيب القلوب المثقلة الحزينة: «لا عَدوى ولا طِيَرَةَ، ويعجبُني الفألُ الصَّالِحُ: الكلِمةُ الحسَنةُ»[2].

يقول الحبيب ﷺ لكل زوج أو أب ولكل مسلم: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبةُ صَدَقةٌ»[3].

وكان ﷺ يداعب عائشة ويدللها، فيقول لها يا عائش، وكانت رضي الله عنها تروي هذا الاسم على الصحابة، ففي حديث طويل لها عندما خرجت خلف رسول الله ﷺ غيرة، فقال لها عندما عاد إلى حجرتها: «ما لك يا عائشُ حَشْيا رابيةً؟»[4].

ويقول لها: «يا عائشُ هذا جبريلُ يُقرئُك السلامَ. قلت: وعليه السلامُ ورحمةُ اللهِ، قالت: وهو يرَى ما لا نرى»[5].

بل كان يناديها باسم آخر وهو حميراء لأنها كانت تميل إلى اللون الأحمر، وكانت تسعد بهذه الكلمات لأنها تشعرها بحب حبيبها وقرة عينها.

ومنها حديث كله دلال وحب بينها وبين حبيبها ﷺ، ولترى مدى محبته لها ومدى منزلتها عنده؛ فتروي وتقول: «دخل الحبشةُ المسجدَ يلعبون، فقال لي: يا حُمَيراءُ أتُحبّينَ أنْ تنظُري إليهم، فقلتُ: نعم، فقام على

[1] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5755،5754، ومسلم في صحيحه برقم 2223.
[2] عن أنس والحديث متفق عليه ورواه البخاري في صحيحه برقم 5756، ومسلم في صحيحه برقم 2224.
[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 2989، ومسلم قى صحيحه برقم 1009.
[4] عن عائشة ورواه مسلم في صحيحه برقم974، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم 3973.
[5] عن عائشة والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 6201، ومسلم في صحيحه برقم 2447.

البابِ وجئتُه فوضعتُ ذقْني على عاتقِه، فأسندتُ وجهي إلى خدِّه، قالت ومن قولهم يومئذٍ أبا القاسم طَيِّبًا فقال رسولُ اللهِ ﷺ: حسبُكِ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ لا تعجلْ، فقام لي ثم قال: حسبُكِ، فقلتُ لا تعجَلْ يا رسولَ اللهِ، قالتْ: وما لي حبُّ النَّظرِ إليهم، ولكن أحببتُ أن يبلغَ النساءَ مَقامُه لي ومكاني منه»[1].

وعندما سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه عن أحب الناس إليه قال ﷺ عائشة، فقد روى «أنَّ النبيَّ ﷺ، بَعَثَهُ علَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فأتَيْتُهُ فَقُلتُ: أيُّ النَّاسِ أحب إلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أبُوهَا، قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ فَعَدَّ رِجَالًا»[2].

الغيرة

جعل الله الغيرة من الصفات الإنسانية وهي موجودة في الذكر والأنثى وتختلف من مرأة إلى أخرى ومن رجل إلى رجل، وفي إسلامنا الجميل معالجة جميلة لهذه الصفة التي تكون أحيانا جميلة ومحببة أو تكون سيئة ومميتة.

وقد كانت أزواج النبي أشد غيرة عليه، وكانت أشدهم غيرة عائشة وحفصة رضي الله عنهما وعن أبويهما، وكيف لا تغير أي أمرأة على النبي الحبيب ﷺ، فهو الحبيب القريب الجميل صاحب الخلق الرفيع وهو من زكّاه ربه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

وفي عائشة وحفصة رضي الله عنهما وعن أبويهما من الغيرة ما ذكرها الله عنهما في القرآن الكريم عن أكل العسل التي حرمها رسول الله على نفسه إرضاءً لهما فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خيرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابداتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[4].

بل هناك أكثر من حديث جميل عن غيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت أكثر غيرة من غيرها، فقد ذكرت سابقًا حديث قلب صحفة الطعام في الأرض مع أم المؤمنين أم سلمة، وحديث أم المؤمنين سودة وكيف لطخت وجه سودة من شدة غيرتها على رسول الله ﷺ، وكيف عالج الرسول ﷺ هذه الغيرة الطبيعية في النساء بالعدل والمساواة، ففي حديث أم سلمة أعطى أم سلمة طبقًا أو صحفة غير التي كسرتها عائشة عدلًا وامتص غيرة عائشة بالضحك والتبسم، ولم ينهرها أمام أصحابه بل قال لهم كلوا فقد غارت أمكم، وذكرها باسم أم المؤمنين أمام أصحابه ولم يذكرها باسمها، بل بلقب أحب إليها من اسمها وحتى تهدأ

[1] عن عائشة وقال الألباني إسناده صحيح في السلسلة الصحيحة برقم 7/818، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم292.

[2] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 3662، ومسلم في صحيحه برقم 2384.

[3] سورة القلم الآية 4.

[4] سورة التحريم الآية 1 – 5.

نفسها، وأما حديث سودة بنت زمعة فقد أرضاها رسول الله ﷺ بالعدل بين أزواجه؛ إذا أمر سودة أن تلطخ وجه عائشة بالمثل كما فعلت، وكذلك بالتبسم لهما ولم يأخذ الأمر بالغضب أو بالضرب، بل بالتبسم حتى لا يدخل الشيطان في قلبيهما أو يجعل بينهما غلًّا أو حسدًا، بل غيرة طبيعية تحدث لكل النساء.

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قبل موت الحبيب وفي المرض الذي توفي فيه ﷺ فروت هذا الحديث الجميل «قالتْ عائشةُ: وارأساهْ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «ذاكَ لو كان وأنا حَيٌّ فأسْتَغْفِرَ لكِ وأدعوَ لكِ». فقالتْ عائشةُ: واثُكْلِياهْ، واللَّهِ إنِّي لأظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتي، ولو كان ذلكَ، لظللتَ آخرَ يومكِ مُعَرِّسًا ببعضِ أزْواجِك»[1].

وحديث آخر نحوه أكثر تفصيلًا «رجعَ إليَّ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ من جنازةٍ بالبقيعِ وأنا أجدُ صُداعًا في رأسي، وأنا أقولُ: وارأساهُ، قال: بلْ أنا وارأساهُ، قال: ما ضَرَّكِ لو مُتِّ قبلي فغسَّلْتُكِ وكَفَّنتُكِ، ثم صلَّيتُ عليكِ ودفنتُكِ، قلتُ: لكني أو لكأني بكَ واللهِ لو فعلتُ ذلكَ، لقد رجعتَ إلى بيتي، فأعرستَ فيهِ ببعضِ نسائِكَ، قالت: فتبسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ، ثم بُدِئَ بوجعِهِ الذي ماتَ فيهِ»[2].

وتقول عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «ما غِرتُ على أحدٍ من نساءِ النبي ﷺ ما غِرتُ على خديجةَ، وما رأيْتُها، ولكن كان النبيُّ ﷺ يُكثرُ ذِكرَها، وربما ذبح الشاةَ، ثم يُقَطِّعُها أعْضاءً، ثُمَّ يَبْعَثُها في صَدائِقِ خديجَةَ، فربما قُلْت له: كأنهُ لم يكُن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجةُ، فيقول: إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولدٌ»[3].

وتقول في حديث آخر يقول الحبيب ﷺ: «إنِّي لأعلمُ إذا كنتِ عنِّي راضيةً، وإذا كنتِ عليَّ غَضبى، قالت: فقلتُ: مِن أين تعرِفُ ذلك؟ فقال: أمَّا إذا كنتِ عنِّي راضيةً، فإنَّكِ تقولين :لا وربِّ محمَّدٍ، وإذا كنتِ غَضبى، قلتِ: لا وربِّ إبراهيمَ، قالت: قلتُ: أجَل واللهِ يا رسولَ اللهِ، ما أهجُرُ إلَّا اسمَك»[4].

كيف لا تغير عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، وهي تعرف أن الله سبحانه وتعالى أمر النبي ﷺ أن يتزوجها، فتروي وتقول عن حبيبها وحبيبنا ﷺ قال: «أُرِيتُكِ في المنامِ مَرَّتَيْنِ، إذا رجلٌ يَحْمِلُكِ في سَرَقَةٍ من حريرٍ، فيقولُ هذه امرأتُكَ، فأَكْشِفُها فإذا هي أنتِ، فأقولُ: إن يَكُنْ هذا من عندِ اللهِ يُمْضِهِ»[5].

وإن كانت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أكثر نساء النبي والصحابة رواية عنه وقد ذكرت أكثر من حديث يروي غيرتها الشديدة على رسول الله ﷺ، ولكنها ليست الوحيدة في هذه الغيرة فقد كانت نساؤه كلهن يغرن عليه، ولقد رأينا كيف كان تصرف السيدة زينب بنت جحش في رحلة الحج عندما رأت مسح الحبيب ﷺ دموع زوجته السيدة صفية بنت حيي عندما برك جملها وخافت أن لا تحج مع الحبيب ﷺ فطيّب خاطرها ومسح دمعها، وطلب من زينب أن تعطيها جملًا من عندها فغارت لذلك، وقال كلمة شديدة من غيرتها وحبها له والرواية تقول: «قال لزينبَ بنتِ جحشٍ: يا زينبُ أفْقِرِي أختَكِ صفيةَ جملًا، وكانت من أكثرِهنَّ

---

[1] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 5666، ومسلم في صحيحه برقم 2387.
[2] عن عائشة ورواه ابن ماجه وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم 1206، وقال في إرواء الغليل حسن برقم3/160.
[3] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 3818، ومسلم في صحيحه برقم 2435.
[4] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 5228، ومسلم في صحيحه برقم 2439
[5] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 7011، ومسلم في صحيحه برقم 2438 ولكن بلفظ رأيتك في المنام ثلاث ليال، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم 7093 مثل رواية البخاري.

ظهرًا، فقالتْ: أنا أُقْرِئُ يهودِيَّتَكَ، فغضِبَ النبيُّ ﷺ حينَ سمعَ ذلك منها، فهَجَرَها، فلم يُكلِّمْها حتى قَدِمَ مكةَ وأيامَ مِنًى في سفرهِ حتى رجعَ إلى المدينةِ والمحرمَ وصفرَ فلم يأتِها، ولم يَقسمْ لها ويئستْ منهُ، فلمَّا كان شهرُ ربيعٍ الأولِ دخلَ عليها»[1].

وروت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها حديثًا جميلًا مضحكًا يبين شدة غيرتها على الحبيب ﷺ فقالت: «إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ القُرْعَةُ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، وَكانَ النبيُّ ﷺ إذَا كانَ باللَّيْلِ سَارَ مع عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ، فَقالَتْ حَفْصَةُ: أَلَا تَرْكَبِينَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي وَأَرْكَبُ بَعِيرَكِ، تَنْظُرِينَ وَأَنْظُرُ؟ فَقالَتْ: بَلَى، فَرَكِبَتْ، فَجَاءَ النبيُّ ﷺ إلى جَمَلِ عَائِشَةَ وَعليه حَفْصَةُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، ثُمَّ سَارَ حتَّى نَزَلُوا، وَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ، فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ رِجْلَيْهَا بيْنَ الإذْخِرِ، وَتَقُولُ: يا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ له شيئًا»[2].

ادعُ لها

في إسلامنا الجميل يدعونا دائمًا لإدخال السرور والبهجة على نفس الزوجة فهي شريكتك في الحياة، حلوها ومرها، وهي كما قال الحبيب ﷺ عنها، هن شقائق الرجال، فأدخل عليها السرور والبهجة دائمًا، وفي أوقات السعادة بينكما ادع لها أمامها وأسمعها حتى تدخل السرور عليها، فالنساء تحب دائمًا إطراء الرجال عليهن ومدحهن ولو بالكذب، وهذا يديم على الأسرة بهجتها ويزيد ترابطها.

فقد دعا رسول الله لزوجته عائشة في وقت صفاء بينهما فتروي وتقول:

«لما رأيتُ مِنَ النبيِّ ﷺ طِيبَ النَّفْسِ، قلتُ: يا رسولَ اللهِ، ادعُ اللهَ لي، قال: اللهمَّ اغفرْ لعائشةَ ما تقدَّم من ذنبِها وما تأخَّرَ وما أسرَّتْ وما أعلنَتْ، فضحكتْ عائشةُ حتى سقط رأسُها في حِجرِ رسولِ اللهِ ﷺ من الضَّحِكِ، فقال: أَيَسُرُّكِ دُعائي، فقالتْ وما لي لا يَسُرُّني دُعاؤُكَ، فقال: واللهِ إنها لَدَعْوتي لأُمَّتي في كلِّ صلاةٍ»[3].

عاتبها برفق

عاتب زوجتك برفق وبلّغها زعلك منها برفق ولين، وقد يكون بالتلميح لا بالتصريح، حتى لا تجدد الغضب أو تسترجع الخلاف.

فلقد عاتب الحبيب ﷺ زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وعن أبيها عتابًا رقيقًا؛ ليذكرها بعدم إفشاء سر رسول الله، وأن تلتزم بطاعة زوجها.

---

[1] عن صفية أم المؤمنين وقال الألباني صحيح في السلسلة الصحيحة برقم7/621، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه سمية روى لها أبو داود وغيره ولم يضعفها أحد وبقية رجاله ثقات برقم4/323.

[2] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 5211، ومسلم في صحيحه برقم 2445.

[3] قال الألباني إسناده حسن في السلسلة الصحيحة برقم5/324، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة برقم9/246، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم7111.

فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[1].

ولذا لما وجد عندها الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها وهي متعلمة وطبيبة كانت تعلم النساء القراءة والكتابة وتداوي المرضى، (وهو لقبها أو كنيتها واسمها ليل)، فقال للشفاء أن تعلم حفصة رقية النملة، وحفصة عالمة بما يقصد رسول الله ﷺ وهو تأنيبها لإفشائها سر رسول الله ﷺ، فقال لها: «ألَا تُعَلِّمِينَ هذه رُقْيَةَ النَّمْلَةِ، كَما علَّمْتِيها الكِتابةَ؟»[2].

وهذه الرقية ما هي إلا كلمات تقولها النساء للمرأة التي تتزوج حديثًا، وهي وصية طيبة للزوجة أن تطيع زوجها، وهي قولهم: «العَروسُ تَحْتَفِلُ، وَتَخْتَضِبُ وَتَكْتَحِلُ، وَكُلُّ شيءٍ تَفْتَعِلُ، غيرَ ألَّا تَعْصي الرَّجُلَ».

لا تقبل الدعوة إلا معها

إسلامنا الجميل يأمرنا أن نزيد من الألفة والحب والبهجة في الأسرة كلها، وبخاصة الزوجة، فهي تتحمل عبئًا كبيرًا لاستقرار الأسرة وسعادتها.

وهناك لفتات تسعد الزوجة ونرى فيها مقدار حب زوجها لها وتكريمه إياها، ومن جمال هذه اللفتات الجميلة الرقيقة ألا تقبل دعوة أقاربك أو جيرانك أو أصدقائك إلا مع زوجتك، وبخاصة لو كان عندهم زوجة وأسرة، فإن ذلك يدخل البهجة في الزوجة وتغير معها رتابة البيت وهمومه، وترى فيه مدى اهتمامك بها ويسعدها تفكيرك الدائم فيها.

وكان الحبيب ﷺ القدوة الحسنة، فقد كان يهتم ببيته ويدخل السعادة في نفوس أزواجه، وكان جو الحب والألفة يرفرف دائمًا في بيوته ﷺ.

فقد دعا جار الحبيب ﷺ لبيته على طعام أعده له، فرفض النبي الحبيب ﷺ الدعوة، لأن الرجل دعاه وحده دون أهل بيته، وأصر الحبيب ﷺ أن يدعو الرجل معه أهل بيته، وكان في بيت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، وتكررت الدعوة والنبي ﷺ يراعي مشاعر زوجته وحبيبته عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ويرفض الدعوة إلا معها، ولعل الرجل لم يكن عنده ما يكفي النبي ﷺ وزوجته، أو كان يريد دعوة الحبيب ﷺ وحده دون زوجته، فيعلمه الحبيب ﷺ ويعلمنا أن نحترم نساءنا ونجبر خواطرهن وندخل السعادة عليهن، وعندما دعاه مرة أخرى مع زوجته لبى الحبيب ﷺ الدعوة، وكم كانت سعادة زوجته ﷺ بهذه الدعوة وهذا التكريم من الحبيب ﷺ لها، وكم كانت سعادتها رضي الله عنها وعن أبيها بهذا الاهتمام من حبيبها الحبيب ﷺ، وكيف كانت من فرحتها تسابق الحبيب ﷺ وتدافعه في الذهاب لبيت الرجل فرحًا.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إنَّ جَارًا لِرَسولِ اللهِ ﷺ فَارِسِيًّا كانَ طَيِّبَ المَرَقِ، فَصَنَعَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ، فَقالَ: وَهذِه؟ لِعَائِشَةَ، فَقالَ: لَا، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لَا، فَعَادَ يَدْعُوهُ، فَقالَ

[1] سورة الطلاق الآية 3

[2] عن الشفاء بنت عبد الله، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3887، وصحيح في صحيح الجامع برقم2650.

رَسولُ اللهِ ﷺ: وَهذِه؟ قالَ: لَا، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لَا، ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وَهذِه؟ قالَ: نَعَمْ في الثَّالِثَةِ، فَقَاما يَتَدَافَعَانِ حتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ»[1].

الطلاق

في إسلامنا الجميل كل جميل وتشريعه يعود على البشرية بالسعادة في الدنيا قبل الآخرة، يقول ربنا سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2].

ويقول سبحانه الرحيم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[3].

وإسلامنا الجميل دعا إلى استقرار الأسر، ليبني المجتمع المسلم بناءً قويًّا متينًا يستطيع به مقاومة الأهواء والمحن وشداد الحياة، ولذا جعل رباط الزوجية رباطًا قويًّا متينًا غليظًا فقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخذونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخذنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[4].

والطلاق في إسلامنا الجميل ليس مباحًا ميسَّرًا بل ضيقًا معسّرًا، فالأصل في الطلاق أنه ممنوع أو محظور أو مكروه، ولكن الله تعالى مَنّ على عباده برحمته وعدله لحاجتهم إليه أحيانًا.

ومن فضل الله على المرأة؛ حيث راعى ربنا مشاعرها الفياضة وعاطفتها القوية، فمزاجها قد يتقلب سريعًا في أثناء حيضها ونفاسها، وتتغلب عاطفة الأمومة لديها، وتغلب عاطفتُها عقلَها في كثير من الأمور، وهذه ميزة لها لا عيب، لأن بهذه العاطفة تدوم السعادة والحب في البيوت، وتكريمًا من إسلامنا الجميل لها فكما جعل أمر الزواج بيدها جعل أمر الطلاق بيد الرجل، لأن الرجل يُحكّم عقله قبل قلبه وحكمته قبل عاطفته، وبها تدوم الأسر وتستقر البيوت.

يقول ربنا سبحانه الخالق: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[5].

ولقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ﴾[6].

وفي كثير من الأحيان يقع الطلاق بين الزوجين فتهدم به البيت وتتشرد الأسرة، وقد يكون بينهما أطفال فيضيعون بين الزوج والزوجة، فقيد إسلامنا الجميل الطلاق على الأسرة، فأمر إسلامنا الجميل الرجل الذي بيده أمر الطلاق أن يتمهل ويراجع نفسه أكثر من مرة، حتى تهدأ نفسه وتعود الحياة إلى مجاريها ولا ينهدم البيت على ساكنيه، فجعل للرجل أن يطلق زوجته مرتين فقط، وله في فترة عدتها أن يراجع زوجته عندما تهدأ النفوس ويراجع كل منهما نفسه، ولا ينهدم البيت الجميل ويتشرد الأولاد، وحتى بعد انقضاء العدة يجوز أن يجتمع شملهما مرة أخرى، ولكن صعب إسلامنا علي الرجل درجة، بأن يعود إلى زوجته بمهر

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2037، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم5301.
[2] سورة البقرة الآية 185.
[3] سورة النساء الآية 28.
[4] سورة النساء الآية 21.
[5] سورة النساء الآية 34.
[6] سورة الطلاق الآية 1.

وعقد جديد، ويكون المهر والعقد الجديد تأديبًا للرجل وترضية للمرأة، ولكن بعد الطلقة الثالثة يؤدب إسلامنا الجميل الرجل والمرأة فلا تعود له زوجته حتى تتزوج مرة أخرى زواجًا طبيعيًّا تدوم معه الحياة وتطوى به الصفحة القديمة وتنسى فيه معاناتها الماضية، فإذا لم تدم الحياة مع الزوج الجديد وطلقت المرأة، لها أن تعود إلى زوجها القديم بعقد ومهر جديد، وهذا من تيسير إسلامنا الجميل ومراعاته للزوج والزوجة ومصلحة الأسر واستقرارها.

ويحذر الحبيب ﷺ الزوج الذي يأخذه الغضب فيطلق زوجته ثلاث مرات في جلسة واحدة، فقد روى محمود بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه فقال: «أنَّ رسولَ اللهِ أُخبِرَ عن رجلٍ طلَّق امرأتَه ثلاثَ تطليقاتٍ جميعًا فقام غضبانُ ثم قال: أيُلعَبُ بكتابِ اللهِ وأنا بين أظهُرِكم؟ حتى قام رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ ألا أقتلُه؟»[1].

ولذا قال جمهور العلماء أن تحتسب من طلّق زوجته في جلسة واحدة ثلاث طلقات طلقة واحدة، وهذا من رحمة وجمال إسلامنا.

ولأهمية هذه العلاقة وتأثيرها في المجتمع، أمرنا إسلامنا الجميل أن نحصى عدة المطلقة وهي ثلاث حيضات في التي تحيض أو ثلاث أشهر في التي لا تحيض.

يقول ربنا الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ﴾[2].

ويقول سبحانه: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

ويقول ربنا سبحانه: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[4].

وقيّد عليهما الطلاق فأمر الرجل ألا يطلق زوجته في فترة الحيض؛ لأنها في هذه الفترة تتقلب مشاعرها وتضطرب عاطفتها وتعاني من آلام الحيض، وأمره ألا تغادر الزوجة بيت الزوجية أثناء العدة؛ جبرًا لخاطرها وترضية لنفسها حتى تهدأ عاصفة الغضب، فهي أمامه وفي بيته فيسهل عليهما رأب الصدع ولم الشمل والعودة مرة أخرى، وإن أصر الزوج على طلاق زوجته فلينتظر حتى تنتهي حيضتها وتطهر ثم يطلقها قبل أن يمسها ويجامعها، وهذا كله لإطالة المدة للمراجعة فقد تصل إلى شهر حتى تهدأ النفوس وتضيق على الرجل ثورة الطلاق.

---

[1] عن محمود بن لبيد الأنصاري وقال الألباني في غاية المرام صحيح برقم261، وقال في التعليقات الرضية إسناده صحيح، وقال في تخريج مشكاة المصابيح صحيح برقم 3227، وقال في ضعيف النسائي ضعيف برقم 3401.

[2] سورة الطلاق الآية 1.

[3] سورة البقرة، الآية 228.

[4] سورة الطلاق، الآية 4.

يقول ربنا العليم: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[1].

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما -وقد مر بهذه التجربة- أن «رجلا طلق امرأتَه وهي حائضٌ فقال: أتعرفُ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ؟ فإنه طلق امرأتَه وهي حائضٌ فأتى عمرُ النبيَّ ﷺ فسألَه؟ فأمرَه أن يُرجعها ثم تستقبلُ عدتها قال فقلتُ له: إذا طلق الرجلُ امرأتَه وهي حائضٌ، أتعتدُّ بتلك التطليقةِ؟ فقال: فمه. أو إن عجز واستحمقَ؟»[2].

وجبرًا لخاطرها جعل إسلامنا الجميل فترة العدة هي ثلاث حيضات، قد تصل إلى ثلاثة أشهر، وهي فترة كافية ليراجع كل منهما نفسه، وهما في البيت وتحت سقف واحد، فلا يتحمل كل منهما بعده عن الآخر وبخاصة الرجال، فتعود المياه إلى مجاريها وتلتئم الجروح سريعًا، وتعود الأسرة إلى تماسكها وترابطها.

وتكريمًا من إسلامنا الجميل للمرأة؛ حيث إن الطلاق يعد أكبر تأثيرًا في المرأة من الرجل، فقد جعل الطلاق مرتين برجعة حتى يتدارك كل منهما أمره، وجعل للطلاق والرجعة شهودًا كما للزواج شهود، كل ذلك تعطيل وتأخير من إجراءات الطلاق فلعل الشهود يقومون بالصلح بينهما، وإن كان الطلاق يقع من دون شهود وهو قول جمهور العلماء، ولكن من السنة أن يشهد على طلاقها ويشهد على رجعتها، فإذا طلق أشهد حتى لا ينكر ذلك أو تنكر الزوجة، فيجب على الزوج توثيق الطلاق والإشهاد عليه وكذلك عليه أن يشهد على رجعتها، لأنه قد يتأخر في إبلاغ الزوجة فيكون الشهود بينة له تعينه على وقوع الطلاق والرجعة، وكذلك إعلان للآخرين أن يتقدموا للزواج منها بعد انتهاء عدتها، فيكون ذلك لصالح المرأة قبل الرجل.

لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[3].

وعلماء الأمة قالوا بأن الطلاق يقع بدون شهود ولكن عند الرجعة يجب أن يشهد على ذلك، فإن ادعت المرأة عدم وقوع الطلاق من زوجها فيجب عليها إثبات ذلك بشاهدي عدل، وقال كثير منهم إن المقصود بالشهادة في الآية على الرجعة، وقال ابن تيمية والإشهاد عليها مأمور به الأمة، وإن كان كثير من العلماء اشترطوا شاهدي عدل عند توثيق الطلاق والرجعة، فإنه على افتراض وجوب الإشهاد، فإن هذا لا يعني اشتراطه بحيث لا يقع الطلاق إلا به.

واختلاف العلماء في هذا الأمر يدلنا على حرص علماء الأمة على الأسر واستقرارها وعلى المرأة خاصة، واستبراء رحمها وبيان حملها.

عن عِمرانَ بنَ حُصَيْنٍ أنَّهُ سُئِلَ عنِ الرَّجلِ يطلِّقُ امرأتَهُ، ثمَّ يقعُ بِها، ولم يُشهِد على طلاقِها، ولا على رجعتِها، فقالَ: «طلَّقتَ لغيرِ سنَّةٍ، وراجَعتَ لغيرِ سنَّةٍ، أشهِد على طلاقِها، وعلى رجعتِها، ولا تَعُدْ»[1].

---

[1] سورة الطلاق، الآية 1.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5258، ومسلم في صحيحه برقم 1471 واللفظ له.

[3] سورة الطلاق الآية 2.

وإن لم يتداركا فترة العدة وحصل الطلاق الأول أو الثاني، فرأف إسلامنا الجميل بحال المرأة التي تريد عودة زوجها إليها، وأمر ولي أمر المرأة ألا يمنعها أن تعود لزوجها إذا أراد زوجها السابق أن يعود إليها ويلتئم البيت مرة أخرى.

ولقد حدث مع معقل بن يسار رضي الله عنه عندما منع عودة مطلق أخته من التقدم للزواج منها، بعد انتهاء عدتها وموافقة أخته للعودة إلى زوجها فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وجبرًا لخاطر المرأة المطلقة أمر الزوج ألا يأخذ من مهرها شيئًا ولو كان قنطارًا من الذهب، فيقول ربنا الرحيم: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحداهن قِنطَارًا فَلَا تَأْخذوا مِنْهُ شيئًا ۚ أَتَأْخذونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخذونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخذنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[3].

وإن حدث الانفصال أمرنا إسلامنا الجميل ألا ننسى الفضل بين الزوج وزوجته، والتسامح في ترك المهر والهدايا، كل ذلك لأن إسلامنا الجميل يريد أن تستمر عمارة البيوت ولا يريد هدم الأسر، وأن يراجع كل من الزوج والزوجة نفسهما في أثناء فترة العدة حتى يصطلحا، وألا تغادر بيت الزوجية لعل النفوس تهدأ وتعود الحياة الزوجية مرة أخرة، وفي القرآن الكريم تفصيل لهذه العلاقة الطيبة الجميلة التي رعاها الإسلام، وحافظ عليها، ووضع لكل مشكلاتها حلولًا تحافظ على البيوت وتديم مودتها؛ فقال تعالى في نهاية الآية الأولى من سورة الطلاق ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّـهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[4]، ويقول في نهاية الآية الثانية في السورة نفسها ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّـهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[5].

لا يقع طلاق السكران

هل يجوز أن يدمر رجل سكران بيت الزوجية ويدمر أسرته بسكره وعدم وعيه؟

إسلامنا الجميل منع هذا السكير أن يدمر أسرته، لأنه لا يعي ما يقول أو يفعل، فقد يقول كلمة الطلاق وهو لا يدري وعندما يفيق قد لا يتذكر أنه طلّق زوجته وهدم أسرته «قال رجلٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: إنِّي طلقتُ امرأتي وأنا سكرانَ، قال: فكان رأيُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مع رأينا أن يجلدَه ويُفرِّقَ بينَه وبين امرأتِه، حتى حدَّثَه أبانُ بنُ عثمانَ عن أبيه قال: ليس على مجنونٍ ولا سكرانٍ طلاقٌ، قال: فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: كيفَ تأمروني أن أُفرِّقَ بينَه وبين امرأتِه، وهذا يُخبِرُ عن عثمانَ بهذا؟ قال: فجلدَه ولم يُفرِّقْ بينَه وبين امرأتِه»[6].

---

[1] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2186، وقال في التعليقات الرضية إسناده صحيح على شرط مسلم برقم2/267، وقال في إرواء الغليل صحيح برواية مطرف بن عبد الله بن الشخير صحيح برقم2078.

[2] سورة البقرة الآية 232.

[3] سورة النساء الآية 20 – 21.

[4] سورة الطلاق الآية 1.

[5] سورة الطلاق الآية 2.

[6] عن أبان بن عثمان بن عفان ورواه ابن حجر العسقلانى وقال موقوف صحيح في موافقة الخبر الخبر برقم 1/43.

لأن العقل هو مناط التكليف والتطبيق، فإذا غاب العقل سقط عنه الفعل، فكيف يصلي السكران وهو لا يدري، وكذلك كيف يطلق وهو لا يدري، وكيف يبيع أو يشتري وهو لا يعقل، فإسلامنا الجميل لا يعتد بما يفعله السكران، لأن فعله ينعكس عليه أولًا وبالآخرين ثانيًا، فحمى الإسلام نفسه أولًا ثم أسرته ثانيًا ثم المجتمع ثالثًا من فعله، وعليه قال كثير من العلماء أن طلاقه لا يقع رحمة بزوجته وأسرته، وإن كان هناك علماء آخرون عاقبوا هذا المجرم في حق نفسه، بأن أجازوا طلاقه عقابًا له وتخليصًا لزوجته وأبنائه من هذا السكير الذي يضرهم كما يضر نفسه أو أكثر.

ومن الصحابة الذين قالوا بعدم وقوع طلاق السكران الخليفة الراشد عثمان بن عفان وابن عباس رضي الله عنهما، كما أفتى به ابن تيمية رحمه الله.

ولقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[1]، فجعل سبحانه قول السكران غير معتبر، لأنه لا يعلم ما يقول.

الظهار وحكمه تأديبًا للرجل

كثير من الرجال لا يستطيع امتلاك نفسه والسيطرة على غضبه وهو يطلق لفظ الطلاق، ومنهم من يقول لزوجته أنتِ علي كظهر أمي، وهذا اللفظ كان من أشد أنواع الطلاق في الجاهلية، وعندما جاء إسلامنا الجميل ألغى هذا اللفظ من ألفاظ الطلاق، ومع شدة اللفظة وقساوتها، جعل إسلامنا الجميل لكفارتها شدة وقساوة، فلكي ترجع المرأة لزوجها أوجب عليه إسلامنا الجميل كفارة شديدة وهي تحرير رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينًا، ذلك كفارة هذا الحلف المهين الشديد، وهو تأديب وتربية للمسلم حتى لا يقول هذا القول الزور.

ثم يأتي عقاب الله للرجل المتعجل الذي لا يملك نفسه وغضبه، فيأدبه ربه ويقول له: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَـٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ (٢) وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ (٣) فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

فإسلامنا الجميل يريد استقرار الأسرة، ويريد أن يحفظ الرجل لسانه ويتحكم في غضبه، فالله سبحانه وتعالى أعطاه أمر الطلاق ولم يعطيه للمرأة لأنه أقدر على التحكم في عواطفه وغضبه، ولذا يرده سبحانه إلى عقله ويعلمه التحكم في نفسه، ويجعله يقود نفسه لا تقوده هي.

أولادنا

أولادنا فلذات أكبادنا، بهجة حياتنا، ثمرة حبنا، زينة الحياة الدنيا، فلا يتم هناء الأسر وسعادتها بدون أولاد وذرية.

---

[1] سورة النساء الآية 43.

[2] سورة المجادلة الآية 2 – 4.

هم زينة الحياة ومتاعها

ففلذات أكيادنا زينة الحياة ولا تسعد الدنيا إلا بوجودهم ولا تهنأ الحياة إلا بهم.

يقول ربنا الخالق سبحانه: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾[1].

ويلفتنا إسلامنا الجميل إلى حقيقة أن الأولاد سواء كانوا بالمنع أو العطاء فهم جزء من زينة الحياة الدنيا وفتنتها أيضًا، فالحياة الدنيا ما هي إلا متاع الغرور.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

وإسلامنا الجميل متناسق مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وهي حب البنين والذرية، ولكن يرشدنا بتقنين هذا الحب، وألا يطغى على حياتنا ولا يلهينا عن واجباتنا ومهامنا في الحياة الدنيا والعمل للآخرة، فهناك توازن بين الحياة الدنيا والآخرة.

يقول سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[2].

والطفل في إسلامنا الجميل له حقوق كثيرة ومتنوعة تحميه وترعاه وتنشئه سليمًا معافى قادرًا على الكسب نافعا لوالديه ولمجتمعه وللأمة كلها.

له حق الحياة

بل حفظ إسلامنا الجميل حقه في الحياة فقال تعالى للآباء الفقراء الذي يخافون من الفقر وزيادته ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾[3].

وقال سبحانه للآباء الذي يخافون من حدوث الفقر ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾[4].

وقال سبحانه في الآباء الذين يخافون العار من بناتهن فيقتلونهن ويدفنوهن أحياء: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ (٥٨) يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[5].

---

[1] سورة الكهف الآية 46.
[2] سورة آل عمران الآية 14.
[3] سورة الأنعام الآية 151.
[4] سورة الإسراء الآية 31.
[5] سورة النحل الآية 58 – 59.

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[1].

وما ذنب هذه الهبة من الله الوهاب الكريم أن تقتل وتدفن، وهي منحة من الله ومنّه وفضله، فهو سبحانه يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، وإذا قتلت الإناث فكيف تكون الذرية؟ وأين الأم والأخت والعمة والخالة وهن نبع الحنان والرحمة والأنس.

ويحذرنا رسول الإنسانية الحبيب ﷺ من قتل الأطفال فيقول ﷺ: «الوائدةُ والموءودةُ في النارِ، إلا أن تُدْرِكَ الوائدةُ الإسلامَ فتُسْلِمُ»[2].

وأمَّا قولُه: إنَّ الموْءُودةَ في النَّارِ، فهذَا مُشكِل وقِيلَ: المُرادُ أنَّها الأمُّ وليستِ الطِّفلةَ، وسُمِّيَتِ الأُمُّ مَوءودةً؛ لأنها برِضائِها بدَفنِ ابنتِها صارت كأنَّها قتلَتْ نفْسَها، وَقِيلَ هِيَ بمعْنَى الْمَوءودَةِ لَهَا، في حالةِ كانَتْ البنتُ كَبيرةً بالغةً وكانتْ كافرةً فهي في النار بكفره.

وهي من أعظم الذنوب، فقد سأل عبد الله بن مسعود رسولنا الحبيب ﷺ قال: «سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ، أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قالَ: أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وهو خَلَقَكَ، قُلتُ: إنَّ ذلكَ لَعَظِيمٌ، قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: ثُمَّ أنْ تَقْتُلَ ولَدَكَ تَخَافُ أنْ يَطْعَمَ معكَ، قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: ثُمَّ أنْ تُزَانِيَ بحَلِيلَةِ جَارِكَ»[3].

ومن رحمة إسلامنا الجميل بالجنين والرضيع وحقه في الحياة، أن منع إقامة حد الرجم على أمه إذا حملت فيه سفاحًا، حتى تضعه وأمهلها عامين حتى تفطمه، فما ذنبه في هذه الجريمة التي تعود لأمه ولا ذنب عليه، فأمر أمه أن تهتم به حتى تفطمه، وأمر ولي المرأة ألا يؤذيها حتى تؤدي ما عليها للطفل في حق الرعاية والحماية، ثم يقام عليها الحد.

فقد روى بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: «فَجَاءَتِ الغَامِدِيَّةُ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي قدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وإنَّه رَدَّهَا، فَلَمَّا كانَ الغَدُ، قالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كما رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللَّهِ إنِّي لَحُبْلَى، قالَ: إمَّا لا فَاذْهَبِي حتَّى تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بالصَّبِيِّ في خِرْقَةٍ، قالَتْ: هذا قدْ وَلَدْتُهُ، قالَ: اذْهَبِي فأرْضِعِيهِ حتَّى تَفْطِمِيهِ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بالصَّبِيِّ في يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقالَتْ: هذا يا نَبِيَّ اللهِ قدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إلى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بهَا فَحُفِرَ لَهَا إلى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فيُقْبِلُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ بحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ علَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سَبَّهُ إيَّاهَا، فَقالَ: مَهْلًا يا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لو تَابَهَا صاحب مَكْسٍ لَغُفِرَ له، ثُمَّ أَمَرَ بهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ»[4].

له حق النسب والأصل

---

[1] سورة التكوير الآية 8 – 9.

[2] عن سلمة بن يزيد الجعفي وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم 7143، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم 11649، وأحمد في مسنده برقم 15965، وعن عبد الله بن مسعود وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم 4717، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده ضعيف برقم 11/155.

[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 7520، ومسلم في صحيحه برقم 86.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 1695، وابن عبد البر في الاستذكار وقال أحسن الأحاديث إسنادًا في ذلك برقم 6/479.

إسلامنا الجميل في نظامه الجميل يحرص على ترابط المجتمع وسعادة الأسرة، ولاستقرارها يجب أن يعرف كل فرد فيها نسبه، وهو حق أصيل للطفل في معرفة نسبه وأصله، فلا ينسب إلا لوالديه الحقيقيين ولا يُنسب زورًا وبُهتانًا إلى أسرة ليست من أهله.

فيقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ (٤) ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وقد بدأ رسولنا الحبيب ﷺ بنفسه بتطبيق هذه الآية الكريمة، فقد تبنى قبل الإسلام غلامًا صغيرًا وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه ونسبه لنفسه فكان يدعى زيد بن محمد، ولما جاء الإسلام ظل زيد ابنًا منسوبًا إلى النبي الحبيب ﷺ حتى جاء أمر الله أن ينسب كل مولود إلى نسبه الحقيقي، فنسب زيد إلى والده الحقيقي حارثة بن شراحيل.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أنَّ زَيْدَ بنَ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ ما كُنَّا نَدْعُوهُ إلَّا زَيْدَ بنَ مُحَمَّدٍ حتَّى نَزَلَ القُرْآنُ، ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هو أقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾»[2].

كذلك من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم ليرفع بها نسبه أو يدخل في ميراثه بغير حق، فإسلامنا الجميل حرّم عليه ادعاءه وكذبه، وحرّم الله عليه الجنة «مَنِ ادعى إلى غيرِ أَبِيهِ، وَهو يَعْلَمُ أنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عليه حَرَامٌ. فَذَكَرْتُهُ لأبِي بَكْرَةَ، فَقالَ: وَأَنَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[3].

وكذلك حرّم على المرأة أن تنسب ولدها إلى غير أبيه بهتانًا وزورًا، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

«اخْتَصَمَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ بنُ زَمْعَةَ في غُلَامٍ، فَقالَ سَعْدٌ: هذا يا رَسولَ اللهِ، ابنُ أَخِي عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَهِدَ إلَيَّ أنَّهُ ابنُهُ، انْظُرْ إلى شَبَهِهِ، وَقالَ عبدُ بنُ زَمْعَةَ: هذا أَخِي يا رَسولَ اللهِ، وُلِدَ علَى فِرَاشِ أَبِي مِن وَلِيدَتِهِ، فَنَظَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلى شَبَهِهِ، فَرَأَى شَبَهًا بَيِّنًا بعُتْبَةَ، فَقالَ: هو لكَ يا عَبْدُ، الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ، وَاحْتَجِبِي منه يا سَوْدَةُ بنْتَ زَمْعَةَ. قالَتْ: فَلَمْ يَرَ سَوْدَةَ قَطُّ»[5].

وروى عبد الله بن عباس عن عمر في خطبته التي خطبها في آخر حجة له «إنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيما نَقْرَأُ مِن كِتَابِ اللَّهِ: أنْ لا تَرْغَبُوا عن آبَائِكُمْ، فإنَّه كُفْرٌ بكُمْ أنْ تَرْغَبُوا عن آبَائِكُمْ، أوْ إنَّ كُفْرًا بكُمْ أنْ تَرْغَبُوا عن آبَائِكُمْ»[6].

---

[1] سورة الأحزاب الآية 4–5.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 4782، ومسلم في صحيحه برقم 2425.

[3] عن سعد بن أبي وقاص والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 6766، ومسلم في صحيحه برقم 63.

[4] سورة الممتحنة الآية 12.

[5] عن عائشة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 2218، ومسلم في صحيحه برقم 1457.

[6] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 6830، ابن حبان في صحيحه برقم 413، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم 413.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال عن الحبيب ﷺ «لَا تَرْغَبُوا عن آبَائِكُمْ، فمَن رَغِبَ عن أَبِيهِ فَهو كُفْرٌ»[1].

وفي رواية أخرى روى سعد بن أبي وقاص قال: «سمِعَتْ أُذُنايَ، ووَعى قَلبي مِن محمدٍ ﷺ أنَّهُ مَنِ ادعى إلى غَيرِ أبيهِ وهو يَعلَمُ أنَّهُ غَيرُ أبيهِ، فالجنَّةُ عليه حَرامٌ»[2].

له حق الرضاعة

بعد حقه في الحياة، عني إسلامنا الجميل بالطفل الرضيع عناية فائقة، وإسلامنا الجميل راعى احتياجات الطفل في كل مراحله التربوية لينشأ نشأة صحيحة، ففي الطفولة المبكرة أمر أمه أن ترضعه المدة الكافية ليكون طفلًا سليمًا معافى، وهي لا تقل عن سنتين، فقال ربنا الخالق البارئ سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

وفي آية أخرى قال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾[4].

ومن رعاية إسلامنا الجميل للمولود، أن فصل رعايته وحضانته عن نزاعات والديه وخلافهما وطلاقهما، فحماه من المشاكل والخلافات التي تحدث بينهما.

يقول سبحانه وتعالى الحفيظ الرحيم: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[5].

وهذا أمر من الله الحافظ الرحمن الرحيم لكل أم أن ترضع طفلها سواء كان أنثى أو ذكرًا، وسواء كانت الأم متزوجة أو غير متزوجة أو مطلقة، فقد تفسد فطرتها ولا ترضع رضيعها كرها له لكرهها لأبيه، أو لأنه قد يكون جاء بغير رضاها، بأن يكون ولد زنا أو استكراه واغتصاب، حفاظًا على الرضيع الذي ليس له ذنب فيما حدث، وسيحاسبها الله القوي العزيز على تقصيرها في حقه.

وأمر أمه أن ترضعه ما يكفيه ويشبعه، وحدد ربنا العليم المدة التي يحتاجها الطفل الرضيع من الرضاعة لينشأ سليمًا معافى قويًّا قادرًا على الحياة وهي لا تقل عن عامين كاملين.

---

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 6768، ومسلم في صحيحه برقم 62.
[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 4326، ومسلم في صحيحه برقم 63.
[3] سورة لقمان، الآية 14.
[4] سورة الأحقاف، الآية 15.
[5] سورة البقرة، الآية 233.

فقال ربنا الرحيم: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾[1].

ويقول ربنا الرحيم العليم: (وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ)[2].

وفي آية أخرى يقول الرحيم العليم: (وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ)[3].

وألزم الرجل في إسلامنا الجميل مسئولية الإنفاق على مرضعته حفاظًا عليه وعلى حياته، وسواء أرضعته أمه أم مرضعة أخرى، حفاظًا لحق الرضيع في الرضاعة والحياة.

وقال تعالى الرحمن الرحيم: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾[4].

ومن أجل العناية بالطفل سواء كان في بطن أمه أو رضيعًا، جعل لأمه رخصة الإفطار في رمضان مخافة عليه، ولها أن تخرج فدية عن كل يوم أفطرت فيه رحمة من رب العالمين، وهو رأي بعض العلماء، والآخرون قالوا عليها الإفطار والقضاء فقط، وبعضهم قال عليها الفدية والقضاء إن خافت على نفسها والجنين أو الرضيع.

فيقول ربنا الرحيم: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾[5].

ومن الذين يطيقونه قال العلماء منهم الحامل والمرضعة إن خافت على جنينها أو رضيعها.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أغارت علينا خيلٌ لرسولِ اللهِ ﷺ، فانتَهيتُ أو قالَ: فانطلقتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وَهوَ يأْكلُ، فقالَ: اجلِس فأصِب من طعامِنا هذا، فقلتُ: إنّي صائمٌ، قالَ: اجلِس أحدِّثْكَ عنِ الصَّلاةِ وعنِ الصِّيامِ، إنَّ اللَّهَ تعالى وضعَ شطرَ الصَّلاةِ أو نصفَ الصَّلاةِ والصَّومَ عنِ المسافرِ وعنِ المرضعِ أوِ الحُبلى، واللَّهِ لقد قالَهما جميعًا أو أحدَهما، قالَ: فتلَهَّفتُ نفسي أن لا أَكونَ أَكلتُ من طعامِ رسولِ اللهِ ﷺ»[6].

وكان النبي ﷺ بارًّا لأمه التي أرضعته، وظل يبرها ويصلها حتى ماتت، وهي السيدة حليمة السعدية رضي الله عنها.

---

[1] سوؤة البقرة، الآية 233.
[2] سورة لقمان، الآية 14.
[3] سورة الأحقاف، الآية 15.
[4] سورة الطلاق، الآية 6.
[5] سورة البقرة الآية، 184.
[6] قال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم 2408، وقال حسن صحيح في صحيح ابن ماجه برقم 1361.

فقد روى أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي رضي الله عنه قال: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان بالجِعْرانةِ يقسِمُ لحمًا وأنا يومَئذٍ غلامٌ أحمِلُ عضوَ البعيرِ، قال: فأقبَلتِ امرأةٌ بدويَّةٌ، فلمَّا دنتْ مِن النَّبيِّ ﷺ بسَط لها رداءَه، فجلَستْ عليه، فسألْتُ: مَن هذه؟ قالوا: أمُّه الَّتي أرضَعتْه»[1].

له حق الرحمة

فالله الرحمن الرحيم أرأف بعباده كلهم، فكلنا عباده وهو رب العالمين سبحانه وتعالى، وهو سبحانه أرحم بالطفل من والديه.

فيقول الحبيب: «الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ، ارحَموا من في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماءِ، الرَّحمُ شَجْنةٌ منَ الرَّحمنِ، فمن وصلَها وصلَهُ اللَّهُ ومن قطعَها قطعَهُ اللَّه»[2].

فقد روى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَدِمَ علَى النبيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إذَا وجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أخذتْهُ، فألْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا وأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَى أنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: للَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا»[3].

ويقول الحبيب ﷺ: «مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ، ومَن لا يَغْفِرْ لا يُغْفَرْ له، ومَن لا يَتُبْ لا يُتَبْ عليه»[4].

وفي رواية البخاري «من لا يَرحمْ لا يُرحَمْ ومن لا يَغفرْ لا يُغفرْ ولا يُعْفَ عمن لا يَعْفُ ولا يُتابُ عمن لا يتوبُ ولا يُوَقَّ من لم يَتَوَقَّ»[5].

ويقول الحبيب ﷺ: «ليسَ منَّا من لَم يَرحَمْ صغيرَنا، ويعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا»[6].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «قَبَّلَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ وعِنْدَهُ الأقْرَعُ بنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأقْرَعُ: إنَّ لي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ ما قَبَّلْتُ منهمْ أحَدًا، فَنَظَرَ إلَيْهِ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ثُمَّ قَالَ: مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ)[7].

---

[1] رواه ابن حبان في صحيحه برقم 4232، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان فيه جعفر بن يحيى بن ثوبان وعمه عمارة بن ثوبان، ذكرهما ابن حبان في الثقات، ذكره وباقي رجاله ثقات، وقال حسن بشواهده في تخريج سنن أبي داود برقم5144، وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد برقم211، وقال الهيثمي في المجمع رجاله وثقوا برقم9/262.

[2] عن عبد الله بن عمرو، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم 1924، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم 4941، وقال شعيب الأرناؤوط صحيح لغيره في تخريج المسند برقم6494.

[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5999، ومسلم في صحيحه برقم 2754.

[4] عن جرير بن عبد الله وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم 6600، وقال صحيح في السلسلة الصحيحة برقم 483، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجال رجال الصحيح برقم 10/196.

[5] عن عمر وقال الألباني حسن في صحيح الأدب المفرد برقم 286.

[6] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم 100، ورواه أبو داود في سننه برقم 4943، والترمذي في سننه برقم1920، وأحمد في مسنده برقم6733 واللفظ له.

[7] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5997، ومسلم في صحيحه برقم 2318.

كان رسولُ اللهِ ﷺ يدلّل الحُسينِ بلسانه، فيرى الصَّبيُّ حُمرةَ لسانِه، فيهَشُ إليه، فقال له عُيَينةُ بنُ حِصنِ بنِ بدرٍ: ألا أرى تصنَعُ هذا بهذا واللهِ لَيكونُ لي الابنُ قد خرَج وجهُه وما قبَّلْتُه قطُّ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ»[1].

«جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَما نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: أَوَأَمْلِكُ لكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِن قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»[2].

والحبيب ﷺ من رحمته على الطفل وأمه أيضًا كان يخفف الصلاة إذا سمع بكاء الصغير؛ مخافة انفطار قلب أمه وانشغالها عليه.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما صَلَّيْتُ ورَاءَ إمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً، ولَا أَتَمَّ مِنَ النبيِّ ﷺ وإنْ كانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ»[3].

له حق الحنان والحب

في مرحلة الطفولة دعانا إسلامنا الجميل إلى معاملة الطفل بمزيد من الحب والحنان وإشعاره بالدفء والحماية، فالطفل الذي يتربى في جو من الحنان والحب ينشأ نشأة سليمة صحيحة، معافى من أمراض الطفولة والتي تؤثر فيه طوال حياته، ومن أهم أمراضها الخوف والكذب والقهر والأنانية وعدم التسامح والتعاون مع الآخرين.

فقد ربى ربنا سبحانه وتعالى الحبيب محمد ﷺ على الرحمة والشفقة والحب للعالمين، وقال في حقه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

وقال سبحانه عن الحبيب ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[5].

فإذا جاءك الطفل يحبو أو يمشي إليك فتلعانقه وتقبله وتتبسم في وجهه، فأنت بذلك تربي فيه الحب والحنان والطمأنينة.

وقد ربى الحبيب ﷺ الأطفال من حوله على الحب والحنان والرحمة، وكان ﷺ يقبلهم ويعانقهم ويتبسم في وجوههم، بل كان يتبسم في وجه كل من لاقاه.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما رَأَيْتُ أَحَدًا كانَ أَرْحَمَ بالعِيَالِ مِن رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قالَ: كانَ إبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا له في عَوَالِي المَدِينَةِ، فَكانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ معهُ، فَيَدْخُلُ البَيْتَ وإنَّه لَيُدَّخَنُ، وَكانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأخذهُ فيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ»[1].

---

[1] عن أبي هريرة، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده حسن برقم 5596، وقال الألباني إسناده حسن في السلسلة الصحيحة برقم70.

[2] عن عائشة، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5998، ومسلم في صحيحه برقم 2317.

[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 708 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 469.

[4] سورة التوبة الآية 128.

[5] سورة آل عمران الآية 159.

وروى أبوهريرة رضي الله عنه قال: «قَبَّلَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ وعِنْدَهُ الأقْرَعُ بنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأقْرَعُ: إنَّ لي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ ما قَبَّلْتُ منهمْ أحَدًا، فَنَظَرَ إلَيْهِ رَسولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»[2].

وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها «قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأعْرَابِ علَى رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقالوا :أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقالوا: نَعَمْ، فَقالوا: لَكِنَّا وَاللَّهِ ما نُقَبِّلُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وَأَمْلِكُ إنْ كانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ. وقالَ ابنُ نُمَيْرٍ: مِن قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»[3].

وكان يحمل بنت ابنته زينب رضي الله عنها وهو يصلي بها فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها، فقد روى أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ، وأُمَامَةُ بنْتُ أبِي العَاصِ علَى عَاتِقِهِ، فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وضَعَهَا، وإذَا رَفَعَ رَفَعَهَا»[4].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «كُنْتُ مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ في سُوقٍ مِن أسْوَاقِ المَدِينَةِ، فَانْصَرَفَ فَانْصَرَفْتُ، فَقَالَ: أيْنَ لُكَعُ - ثَلَاثًا - ادْعُ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ. فَقَامَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وفي عُنُقِهِ السِّخَابُ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ بيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الحَسَنُ بيَدِهِ هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أحبهُ فأحبهُ، وأحب مَن يُحِبُّهُ وقَالَ أبو هُرَيْرَةَ: فَما كانَ أحَدٌ أحب إلَيَّ مِنَ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ ما قَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ ما قَالَ»[5].

وفي رواية آخرى مليحة «حتى جئنا المسجدَ، فجلس فاحتَبى ثم قال: أين لَكاعِ؟ ادعُ لي لَكاعِ، فجاء حسنٌ يشتدُّ فوقع في حِجرِه، ثم أدخلَ يدَه في لحيتِه، ثم جعل النَّبيُّ ﷺ يفتحُ فاه، فيدخل فاه في فِيه، ثم قال: اللهم إني أحبه فأحبه اللهم إني أحبه فأحببْه وأحب مَن يحبُّه»[6].

وروى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ علَى عَاتِقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وَهو يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أحبهُ فأحبهُ»[7].

له حق اللعب واللهو

إسلامنا الجميل دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فيه البهجة والمرح واللعب، وهي من طبيعة البشر عامة والأطفال خاصة، ولذا يدلنا على السماح للأطفال باللعب والمرح، ومشاركتهم لعبهم، وشراء لعبهم المفضلة لهم.

فلقد ذكر ربنا سبحانه وتعالى في قرآنه الحكيم لعب الأولاد وأهميتها لهم في قصة سيدنا يوسف، وإذا لم يكن لعب الأطفال له أهمية في حياتهم ما ذكره سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم، ليلفت أنظار الآباء لأهمية لعب الأطفال في هذه المرحلة السنية التي يكتسب فيها الطفلُ خبراتٍ واسعةً ويتقوّى فيها بدنه.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 2316، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم 6950.
[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5997، ومسلم في صحيحه برقم 2318.
[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5998، ومسلم في صحيحه برقم 2317 واللفظ له.
[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5996 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 543.
[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5884 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 2421.
[6] قال الألباني حسن في السلسلة الصحيحة برقم 6/725.
[7] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 3749، ومسلم في صحيحه برقم 2422.

فقال سبحانه في قرآنه المحفوظ: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

والسنة النبوية ملآنة بالأحاديث الجميلة عن لعب الأطفال، وكيف لعب النبي ﷺ معهم وشاركهم لعبهم رغم مشاغله الكثيرة في الدعوة وإنشاء دولة المدينة المسلمة.

فروى الزبير بن العوام رضي الله عنه «لقد رأيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ساجدًا حتَّى جاء الحَسَنُ بنُ عليٍّ فصعِدَ على ظَهرِه، فما أنزَله حتَّى كان هو الَّذي نزَل، وإنْ كان لَيُفَرِّجُ له رِجْلَيه، فيدخُلُ مِن ذا الجانبِ، ويخرُجُ مِن ذا الجانبِ الآخَرِ»[2].

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ، من غزوةِ تبوكٍ – أو خيبرٍ – وفي سهوتِها سترٌ، فهَبَّتْ ريحٌ، فكَشَفَتْ ناحيةَ السِّتْرِ، عن بناتٍ لعائشةَ – لَعِبٌ – فقال: ما هذا يا عائشةُ؟ قالت: بناتي ! ورأي بينَهُنَّ فرسًا له جَناحانِ مِن رِقاعٍ، فقال: ما هذا الذي أرى وَسَطَهُنَّ؟ قالت: فَرَسٌ. قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جَناحان. قال: فرسٌ له جَناحانِ؟ قالت: أما سَمِعْتَ أن لسليمانَ خيلًا لها أجنحةً؟ قالت: فضَحِكَ حتى رَأَيْتُ نواجذَه»[3].

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِردائِهِ، وأنا أنْظُرُ إلى الحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ في المَسْجِدِ، حتَّى أكُونَ أنا الَّتي أسْأَمُ، فاقْدُرُوا قَدْرَ الجارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، الحَرِيصَةِ علَى اللَّهْوِ»[4].

وروى شداد بن الهاد الليثى رضي الله عنه قال: «خرجَ علَينا رسولُ اللَّهِ -ﷺ- في إحدى صلاتَيِ العِشاءِ، وَهوَ حاملٌ حَسنًا أو حسَينًا، فتقدَّمَ رسولُ اللَّهِ -ﷺ- فوضعَهُ، ثمَّ كبَّرَ للصَّلاةِ، فصلَّى، فسجدَ بينَ ظَهرانَي صلاتِهِ سجدةً أطالَها، قالَ أبي: فرفَعتُ رأسي وإذا الصَّبيُّ علَى ظهرِ رسولِ اللَّهِ -ﷺ- وَهوَ ساجدٌ، فرجَعتُ إلى سُجودي، فلمَّا قضَى رسولُ اللَّهِ -ﷺ- الصَّلاةَ، قالَ النَّاسُ: يا رسولَ اللَّهِ إنَّكَ سجَدتَ بينَ ظَهرانَي صلاتِكَ سَجدةً أطلتَها، حتَّى ظننَّا أنَّهُ قد حدثَ أمرٌ أو أنَّهُ يوحَى إليكَ، قالَ: كلُّ ذلِكَ لم يَكُن، ولكنَّ ابني ارتحَلَني، فكرِهتُ أن أعجِّلَهُ حتَّى يقضيَ حاجتَهُ»[5].

وروى يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال: «أنَّهم خرجوا معَ النَّبيِّ ﷺ إلى طَعامٍ دُعوا لَهُ، فإذا حُسَيْنٌ يلعَبُ في السِّكَّةِ، قالَ: فتقدَّمَ النَّبيُّ ﷺ أمامَ القومِ، وبَسطَ يديهِ، فجعلَ الغلامُ يفِرُّ ها هُنا وَها هُنا، ويضاحِكُهُ النَّبيُّ ﷺ حتَّى أخذَهُ، فجعلَ إحدى يديهِ تحتَ ذقنِهِ، والأخرى في فأسِ رأسِهِ فقبَّلَهُ وقالَ: حُسَيْنٌ منِّي، وأَنا مِن حُسَيْنٍ، أحب اللَّهُ من أحب حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سبطٌ منَ الأسباطِ»[6].

---

[1] سورة يوسف الآية 12.

[2] قال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه علي بن عابس وهو ضعيف برقم 9/178.

[3] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم 4932، وقال صحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم 3201.

[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5236، واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 892.

[5] قال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم 1140، ورواه أحمد في مسنده برقم 16076، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد إسناده صحيح برقم 1/257.

[6] قال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم 118، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن أبي راشد لم يوثقه غير ابن حبان، وروى له ابن ماجه والترمذي وحسن حديثه، وصحح له الحاكم برقم 6971.

وكان الحبيب ﷺ يلعب مع الصغار ويضاحكهم، ومع عبء الدعوة وقلة الوقت لكنه ﷺ يفرغ لهم من وقته الثمين ليلاعبهم ويدخل السرور والبهجة عليهم، ويجري لهم المسابقات ويشارك معهم، لينمي فيهم روح المنافسة والاجتهاد.

فقد روى عبد الله بن الحارث رضي الله عنه: «أن رسولُ اللهِ ﷺ يصِفُ عبدَ اللهِ وعُبَيدَ اللهِ وكثيرًا بني العبَّاسِ، ثُمَّ يقولُ مَن سبَق إليَّ، فله كذا وكذا، قال: فيستَبِقون إليه، فيقَعون على ظهرِه وصدرِه، فيُقبِّلُهم، ويلتَزِمُهم»[1].

ولقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف لعب الرسول ﷺ مع سبطيه الحسن والحسين فقال: «رأيْتُ الحَسَنَ والحسينَ على عاتقَي النَّبيِّ ﷺ فقلْتُ نِعْمَ الفرسُ تحتَكما فقال النَّبيُّ ﷺ ونِعْمَ الفارسان»[2].

وفي لفظ آخر «نِعْمَ الفَرَسُ تَحْتَكُمَا ونِعْمَ الفارسُ هُما. يعني الحسنَ والحسينَ رضي اللهُ عنهما»[3].

له حق العدل والمساواة

حرص إسلامنا الجميل أن يتربى الطفل في جو من العدل والمساواة مع إخوته أو أقرانه، وينمو في قلبه حب الآخرين والتعاون معهم، ولا ينشأ جشعًا طمّاعًا يأخذ ولا يعطي، كارهًا للمجتمع والآخرين.

ويذكرنا ربنا الحكيم في قصة نبي الله يوسف عليه السلام، كيف كان حبُّ نبي الله يعقوب عليه السلام له - سببًا في كره إخوته وحقدهم عليه، وتفكيرهم الجدي في قتله عليه السلام، فقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ (٧) إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أحب إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (٨) ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾[4].

والحبيب ﷺ يعلمنا العدل والمساواة بين الأخوة في كل شيء حتى في القبلات والأحضان.

فيروي النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «أَعْطَانِي أبِي عَطِيَّةً، فَقالَتْ عَمْرَةُ بنْتُ رَوَاحَةَ: لا أرْضَى حتَّى تُشْهِدَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، فأتَى رَسولَ اللَّهِ ﷺ، فَقالَ: إنِّي أعْطَيْتُ ابْنِي مِن عَمْرَةَ بنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فأمَرَتْنِي أنْ أُشْهِدَكَ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: أعْطَيْتَ سَائِرَ ولَدِكَ مِثْلَ هذا؟، قالَ: لَا، قالَ: فَاتَّقُوا اللَّهَ واعْدِلُوا بيْنَ أوْلَادِكُمْ، قالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ»[5].

---

[1] قال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن برقم 9/20، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده ضعيف برقم 3/248، وقال الألباني ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم 6547.

[2] قال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح (وروى) بإسناد ضعيف برقم 9/18444، وقال البزار في مسنده فيه محمد بن عبيد الله لم يتابع عليه برقم 1/418.

[3] عن عمر وسلمان وأبو جعفر الباقر، وقال الألباني ضعيف جدًّا في السلسلة الضعيفة برقم 6594، وقال الهيثمي في المجمع رجاله رجال الصحيح [وروي] بإسناد ضعيف برقم 9/184، وقال بن عدي في الكامل في الضعفاء البلاء فيه من علي بن هاشم برقم 3/235.

[4] سورة يوسف الآية 7 – 10.

[5] الحديث متفق عليه أحرجه البخاري في صحيحه برقم 2587 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 1623 باختلاف يسير.

وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنهما«انْطَلَقَ بي أَبِي يَحْمِلُنِي إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، اشْهَدْ أَنِّي قدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِن مَالِي، فَقالَ: أَكُلَّ بَنِيكَ قدْ نَحَلْتَ مِثْلَ ما نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟ قالَ: لَا، قالَ: فأشْهِدْ علَى هذا غيرِي، ثُمَّ قالَ :أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكونُوا إلَيْكَ في البِرِّ سَوَاءً؟ قالَ: بَلَى، قالَ: فلا إذًا»[1].

وكان ﷺ ولا يفرق بين الأطفال ويعدل بينهم ويساوي بينهم حتى في الجلوس على فخذه ﷺ.

فروى أسامة بن زيد الحب ابن الحب رضي الله عنهما قال: «كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَأخذنِي فيُقْعِدُنِي علَى فَخِذِهِ، ويُقْعِدُ الحَسَنَ علَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يقولُ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُما فإنِّي أرْحَمُهُمَا»[2].

وعن الحسن رضي الله عنه قال: «بينا رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهي إلى أبيه في ناحية القوم، فمسح رأسه، وأقعده على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلا فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: فهل على فخذك الأخرى فحملها على فخذه الأخرى، فقال ﷺ: الآن عدلت»[3].

ويقول ربنا العليم الحكيم: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[4].

له حق الإنفاق عليه ورعايته

إسلامنا الجميل جعل للطفل حق الإنفاق عليه ورعايته، فهو ضعيف لا حول له ولا قوة، ويحتاج إلى الرعاية والعناية وتلبية احتياجاته، فأمه تشمله بالرعاية وأبوه يشمله بالإنفاق عليه وعلى والدته، وتشمل هذه الرعاية الإنفاق على كل حالات الطفل، في حالة استمرار العلاقة الزوجية أو انقطعت بالطلاق، فلا ذنب للصغير في ذلك.

فيقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾[5].

ويدلنا الحبيب ﷺ على أهمية الإنفاق على أهلك وولدك فيقول: «دِينارٌ أنْفَقْتَهُ في سَبيلِ اللهِ ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، ودِينارٌ تَصَدَّقْتَ به علَى مِسْكِينٍ، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ علَى أهْلِكَ، أعْظَمُها أجْرًا الذي أنْفَقْتَهُ علَى أهْلِكَ»[6].

ويقول الحبيب ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»[7].

ويقول الحبيب ﷺ: «وابدأْ بمَن تَعُولُ»[1].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 1623 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم 3682.
[2] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 6003، وابن حبان في صحيحه برقم 6961.
[3] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب النفقة على العيال برقم1/173، ورقم34، والمروزي في كتاب البر والصلة.
[4] سورة النساء الآية 11.
[5] سورة الطلاق الآية 6.
[6] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه مسلم في صحيحه برقم 995، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم 578.
[7] عبد الله بن عمرو، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم 1692، وصحيح الجامع برقم 4481، وقال صحيح في إرواء الغليل برقم 894، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم 11/72.

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: كَفي بالمَرْءِ إثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ»[2].

ويقول الحبيب ﷺ: «ما أطعمتَ نفسَك فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ ولدَك فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ زوجَك فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ خادمَك فهو لك صدقةٌ»[3].

وعلى الزوجة أن تنفق على ولدها من مال أبيه وتأخذ بالمعروف، وإن كان بخيلًا.

فقد قال الحبيب ﷺ لهند بنت عتبة رضي الله عنها عندما سألته «قالَتْ: إنَّ أبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ، فَهلْ عَلَيَّ مِن حَرَجٍ أنْ أُطْعِمَ مِنَ الذي له عِيَالَنَا؟ قالَ لَهَا: لا حَرَجَ عَلَيْكِ أنْ تُطْعِمِيهِمْ مِن مَعروفٍ»[4].

له حق التعليم والتأديب والتوجيه والإرشاد

إسلامنا الجميل يأمرنا أن نهتم بأولادنا وبتربيتهم أحسن تربية، وتأديبهم أحسن تأديب، وتوجيههم إلى أحسن الطريق والسبيل القويم، لننشئ جيلًا سليمًا معافى يحمل أمانة دينه وأمته، وبارًّا بوالديه نافعًا لغيره.

فيقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[5].

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[6].

ولأنهم قرة أعيننا وفلذات أكبادنا، أوجب علينا إسلامنا الجميل الاهتمام بتربية أولادنا تربية إسلامية ليكونوا سليمي العقيدة صحيحي العبادة.

فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «يا غُلامُ إنّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ»[7].

أنت مسئول عنهم أمام الله

فإسلامنا الجميل يحملنا مسئولية تربية أولادنا، ويخبرنا أننا مسئولون أمام الله سبحانه وتعالى عنهم.

---

[1] عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 5355، والنسائي في سننه برقم 2534، وأحمد في مسنده برقم 10818.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 996، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم 4241، والبزار في مسنده برقم 2416، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم 4479.

[3] عن المقداد بن معدى كرب، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم 82، ورواه احمد في مسنده برقم 17179، والنسائي في السنن الكبرى برقم 9185، وقال الألباني إسناده صحيح في السلسلة الصحيحة برقم 452.

[4] عن عائشة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم 7161 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 1714.

[5] سورة التحريم الآية 6.

[6] سورة الفرقان الآية 74.

[7] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم 2516، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم 2763.

فيقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

ويقول الحبيب ﷺ: «إنَّ اللهَ سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاهُ، أحفظَ أم ضيَّعَ؟ حتى يُسألَ الرجلُ عن أهلِ بيتِه»[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ»[3].

التوحيد أولًا

لأن توحيد الله سبحانه وعدم الإشراك به من أكبر الدروس التي يجب على الآباء تعليمها للأولاد وتنشئتهم عليه.

فيعلمنا ربنا الكريم في كتابه العزيز كيف ربى لقمان عليه السلام ابنه فأحسن تربيته، وبدأ بتوحيد الله فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَـٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[4].

ويقول سبحانه في موضع آخر: ﴿يَـٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ (١٦) يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ (١٨) وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[5].

ويقول الحبيب ﷺ في حديث جميل شامل: «كانَ النبيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فأتَاهُ جِبْرِيلُ فَقالَ: ما الإيمَانُ؟ قالَ: الإيمَانُ أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، وبِلِقَائِهِ، ورُسُلِهِ وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ. قالَ: ما الإسْلَامُ؟ قالَ: الإسْلَامُ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، ولَا تُشْرِكَ به شيئًا، وتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ. قالَ: ما الإحْسَانُ؟ قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ، قالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قالَ: ما المَسْئُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وسَأُخْبِرُكَ عن أشْرَاطِهَا: إذَا ولَدَتِ الأمَةُ رَبَّهَا، وإذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإبِلِ البُهْمُ في البُنْيَانِ، في خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَا النبيُّ ﷺ: ﴿إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34] الآيَةَ، ثُمَّ أدْبَرَ فَقالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شيئًا، فَقالَ: هذا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»[6].

وحديثه الآخر الشامل أيضًا فيقول الحبيب ﷺ: «لا تُشْرِكْ باللهِ شيئًا وإنْ قُتِلْتَ وحُرِّقْتَ، ولا تَعُقَّنَّ والِدَيْكَ، وإنْ أمرَاكَ أنْ تَخْرُجَ من أهلِكَ ومالِكَ، ولا تَتْرُكَنَّ صَلاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا، فإنَّ مَنْ ترك صَلاةً مَكْتُوبَةً

---

[1] سورة التحريم الآية 6.

[2] عن أنس بن مالك وقال الألباني حسن صحيح في صحيح الترغيب برقم2170، وقال صحيح في السلسلة الصحيحة برقم 1636، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم 4493.

[3] والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 2558 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم 1829.

[4] سورة لقمان الآية 13.

[5] سورة لقمان الآية 16 – 19.

[6] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم50 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم10.

مُتَعَمِّدًا فقد بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ، ولا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا، فإنَّهُ رَأْسُ كلِّ فَاحِشَةٍ، وإيَّاكَ والمَعْصِيَةَ، فإنَّ بِالمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطُ اللهِ، وإيَّاكَ والفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ، وإنْ هلكَ الناسُ، وإنْ أصابَ الناسَ موتٌ فَاثْبُتْ، وأنْفِقْ على أهلِكَ من طَوْلِكَ، ولا تَرْفَعْ عنهُمْ عَصاكَ أَدَبًا، وأَخِفْهُمْ في اللهِ»[1].

ثم علّمهم الصلاة

يعلمنا إسلامنا الجميل أن الصلاة هي أساس الإيمان وعنوان الإسلام، وهي عماد الدين، ويهتم إسلامنا الجميل بتعليم أطفالنا الصلاة، ويأمر الوالدين أن يعلموا أولادهم الصلاة، ويصبروا عليهم حتى يتقنوها ويحافظوا عليها.

فيقول الكريم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2].

ويقول ربنا الحكيم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾[3].

ومنها ما يأمرنا به الحبيب ﷺ عن أهمية تعليم الصغار الصلاة لأنها عماد الدين وعنوان المسلم فقال: «مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنينَ واضربوهُم عليها وهمْ أبناءُ عشرٍ وفرِّقوا بينهُم في المضاجعِ»[4].

عوّدهم الصيام

شجع أولادك على العبادات وحفزهم على الطاعات، فأنت مسئول عن تربيتهم وتعليمهم أسس إسلامنا الجميل، فكما علمتهم الصلاة في صغرهم علمهم الصيام، وأخبرهم بأنه من فروض الله الخمسة في الإسلام، فقد قال الحبيب ﷺ: «بُنِيَ الإسْلَامُ علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ»[5].

واقرأ عليه قول ربنا سبحانه في كتابه العزيز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[6].

وكانت الصحابيات رضي الله عنهن يشجعن أولادهن الصغار على الصوم.

---

[1] عن معاذ بن جبل، ووراه أحمد في مسنده برقم 22075، وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم 570، وقال في إرواء الغليل إسناده رجاله ثقات كلهم برقم 7/89 باختلاف يسير، وهناك رواية أخرى رواه البخاري في الأدب المفرد باختلاف يسير عن أبي الدرداء، وقال فيها الألباني في صحيح الأدب المفرد حسن برقم 14.

[2] سورة طه الآية 132.

[3] سورة مريم الآية 54 – 55.

[4] عن جد عمرو بن شعيب، وقال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم495، وقال حسن في صحيح الجامع برقم5868.

[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم8، ومسلم في صحيحه برقم16.

[6] سورة البقرةالآية 183.

فقد روت الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها: «أَرْسَلَ النبيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إلى قُرَى الأنْصَارِ: مَن أصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَومِهِ ومَن أصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَصُمْ، قالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، ونُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، ونَجْعَلُ لهمُ اللُّعْبَةَ مِنَ العِهْنِ، فَإِذَا بَكي أحَدُهُمْ علَى الطَّعَامِ أعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حتَّى يَكونَ عِنْدَ الإفْطَارِ»[1].

علّمهم القرآن

إن من أهم ما يتعلمه الأطفال في الصغر حفظ كتب الله وتعليمه، والطفل في السن المبكرة ذاكرته مفتوحة وقادرة على استيعاب أشياء كثيرة، وأفضلها أن تعلمه القرآن لأنه منهاج حياة المسلم وطريقه المستقيم، فالحفظ في الصغر كالنقش على الحجر.

وابدأ معهم بالسور القصيرة من نهاية القرآن فإنها سهلة الحفظ، وتعينه على سرعة وسهولة الحفظ، وفيها سور بها قصص قصيرة سهلة الرواية والحفظ، ويتشوق بها الصغير عند قرأتها، مثل سورة الفيل وقصة هدم الكعبة، ويتعلم منها الطفل أهمية قبلة المسلمين وحرمتها، وقصة أبي لهب وامرأته ويتعلم منها أهمية التوحيد وطاعة الله ورسوله، غيرها من السور القصيرة السهلة الحفظ والتفسير، بما يتناسب فهمه وإدراكه الصغير.

فقد قال الحبيب ﷺ: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخذها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ. قالَ مُعاوِيَةُ: بَلَغَنِي أنَّ البَطَلَةَ: السَّحَرَةُ»[2].

وروى عبد الله بن مسعود عن الحبيب ﷺ: «مَن قرأ حرفًا من كتابِ اللهِ فلَهُ بِهِ حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، لا أقولُ آلم حرفٌ، ولَكِن ألِفٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»[3].

وفضّل رسول الله الإمارة على من كان أكثرهم حفظًا للقرآن، وكان فتى صغيرًا، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ بعثًا، وَهُم ذو عدَدٍ فاستَقرأَهُم، فاستقرأَ كلَّ رجلٍ منهم ما معَهُ منَ القرآنِ، فأتى على رجلٍ مِنهُم مِن أحدثِهِم سنًّا، فقال: ما معَكَ يا فُلانُ؟ قال: معي كذا وَكَذا وسورَةُ البقرةِ قال: أمعَكَ سورَةُ البقرةِ؟ فقال: نعَم، قال: فاذهَب فأنتَ أميرُهُم، فقالَ رجلٌ من أشرافِهِم: واللهِ يا رسولَ اللهِ ما مَنعَني أن أتعلَّمَ سورةَ البقرةِ إلاَّ خشيةَ ألاَّ أقومَ بِها، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: تَعلَّموا القُرآنَ واقرءوهُ فإنَّ مَثلَ القرآنِ لمن تعلَّمَهُ فقرأَهُ وقامَ بِهِ كمثَلِ جرابٍ مَحشوٍّ مسكًا يفوحُ ريحِهِ في كلُّ مَكانٍ ومثلُ من تعلَّمَهُ فيرقدُ وَهوَ في جوفِهِ كمثلِ جرابٍ وكِيَ على مسكٍ»[4].

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1960واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1136.

[2] عن أبي أمامة الباعلي، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم804، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم22157، ولفظ أحمد تعلموا بدل من اقرؤا.

[3] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2910، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم6469، وقال في السلسلة الصحيحة إسناده جيد رجاله ثقات برقم3327.

[4] عن أبي هريرة، رواه الترمذي وابن ماجه وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترمذي برقم2876، وقال ضعيف في ضعيف ابن ماجه برقم217، كما رواه النسائي في السنن الكبرى برقم8749.

وروى عمرو بن سلمة رضي الله عنهما قال: «... فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، ولْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا. فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي، لِما كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبانِ، فَقَدَّمُونِي بيْنَ أيْدِيهِمْ، وأنا ابنُ سِتٍّ أوْ سَبْعِ سِنِينَ»[1].

وفي رواية منفصلة عنه «كنَّا بحاضرٍ يمرُّ بنا النَّاسُ إذا أتَوا النَّبيَّ ﷺ فَكانوا إذا رجعوا مرُّوا بنا فأخبرونا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ كذا وَكذا وَكنتُ غلامًا حافِظًا فحفظتُ من ذلِكَ قرآنًا كثيرًا فانطلقَ أبي وافدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ في نفرٍ من قومِهِ فعلَّمَهمُ الصَّلاةَ فقالَ يؤمُّكم أقرؤُكم وَكنتُ أقرأَهم لما كنتُ أحفظُ فقدَّموني فَكنتُ أؤمُّهم وعليَّ بُردةٌ لي صغيرةٌ صَفراءُ فَكنتُ إذا سجَدتُ تَكشَّفت عنِّي فقالتِ امرَأةٌ منَ النِّساءِ واروا عنَّا عورةَ قارئِكم فاشتَروا لي قميصًا عمانيًّا فما فرِحتُ بشيءٍ بعدَ الإسلامِ فرحي بِهِ فَكنتُ أؤمُّهُم وأنا ابنُ سبعِ سنينَ أو ثمانِ سنينَ»[2].

ولو تعلم الطفل القرآن في المسجد يكون أفضل، إن كان متيسرًا، ليتعلم الطفل الارتباط بالمسجد ويتعلم أهميته في حياة المسلم.

فقد روى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «خَرَجَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ في الصُّفَّةِ، فَقالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَومٍ إلى بُطْحَانَ، أَوْ إلى العَقِيقِ، فَيَأْتِيَ منه بنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ في غيرِ إثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يا رَسولَ اللهِ، نُحِبُّ ذلكَ، قالَ: أَفلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إلى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ له مِن نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ له مِن ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ له مِن أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإبِلِ»[3].

اصبر عليهم وعلّمهم بيسر

ويعلمنا الحبيب كيفية تعليم أولادنا بالحلم واليسر والصبر عليهم، وإذا لم يتعلم الأولاد ويفهموا بسرعة أو كانوا بطيئي الفهم فعليك بالحلم حتى يستوعبوا ما تقول، وخذهم على قدر فهمهم، وحدّثهم على قدر عقولهم.

وكثيرًا ما لا يتحمل الآباء عدم فهم أولادهم واستيعابهم للدرس، فيتسرعون ويغضبون، وكثيرًا ما يضربون أولادهم، فقد يكون العيب من بعضهم حقًّا، وقد لا يجيد بعض الآباء التدريس أو توصيل المعلومة على قدر فهم أبنائهم ويعتقدون أنهم أساتذة حذقة.

فيقول لهم الحبيب ﷺ: «علِّموا، ويسِّروا ولا تُعسِّروا، وإذا غَضِبتَ فاسكُت، وإذا غضِبتَ فاسكُت، وإذا غضِبتَ فاسكُت»[4].

علّمهم آداب الطعام

[1] أخرجه البخاري في صحيحه برقم4302، ورواه أبو داود في سننه برقم585، والنسائي في سننه برقم788.
[2] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم585، وصحيح في صحيح النسائي برقم788.
[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم803، وابن حبان في صحيحه برقم115، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1456.
[4] عن عبد الله بن عباس، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم4/191، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم1320.

علّم أولادك آداب إسلامنا الجميل كيف يأكل ويشرب على هدي الحبيب ﷺ وهي سنة بشرية يحبها كل سليم الفطرة ويحث عليها كل المعلمين.

فقد روى عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: «كُنْتُ غُلَامًا في حَجْرِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقالَ لي رَسولُ اللَّهِ ﷺ: يا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ فَما زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتي بَعْدُ»[1].

وحديث حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه قال: «أكلتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ طعامًا فقال كُلْ بيمينِك وكُلْ مما يليكَ واذكرِ اسمَ اللهِ»[2].

وعن سلمى مولاة رسول الله ﷺ قالت: «أنها صَنعتْ لرسولِ اللهِ ﷺ حريرةً وقَرَّبَتْها، فأكل ومعه ناسٌ من أصحابِه، فبقِيَ منها قليلٌ، فمرَّ بالنبيِّ ﷺ أعرابيٌّ، فدعاه النبيُّ ﷺ، فأخذها الأعرابي كلَّها بيدِه، فقال له النبيُّ ﷺ: ضَعْها، ثم قال: سَمِّ اللهَ وكُلْ مِن أدْناها، فشبِعَ منها، وفضلَتْ فَضْلَةٌ».[3]

علّمهم الصدق

يبدأ الصغير في تعلم الصدق من والديه، ويعودانه الصدق في كل شيء، ويشجعانه على ذلك، ليراه الصغير في سلوك والديه، ويكون منهج حياته.

كما علمنا إسلامنا الجميل أن يكون الصدق هو عنوان المسلم.

فيقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[4].

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «علَيْكُم بالصِّدْقِ، فإنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الكَذِبَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[5].

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما صغيرًا، ووعى من رسول الله أشياء ما زال يذكرها ويرويها فيقول: «قلتُ لِلحَسَنِ بنِ علِيٍّ: ما تَذكُرُ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: أذكُرُ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ .... كان يَقولُ: دَعْ ما يُرِيبُكَ، إلى ما لا يُرِيبُكَ؛ فإنَّ الصِّدقَ طُمَأنينةٌ، وإنَّ الكَذِبَ ريبةٌ»[6].

إياك والكذب عليهم أو أمامهم

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5376 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2022.
[2] رواه الطبراني في الكبير برقم3/161، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم5/26.
[3] قال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم5/25.
[4] سورة التوبة الآية 119.
[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6094، ومسلم في صحيحه برقم2607 واللفظ له.
[6] عن الحسن بن على، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم1727، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2518.

يعلمنا إسلامنا الجميل ألا نكذب، والمسلم لا يكذب ولا يتعلم الكذب من صغره ويعلمه أبواه عدم الكذب ولا يكذب أحدهما أمامه، ويقولان الصدق دائمًا، فإن الصدق منجاة والكذب مهلكة وإن ظن فيه النجاة.

فعن عبد الله بن عامر قال: «أتى رسولُ اللهِ ﷺ في بيتِنا وأنا صبيٌّ قال: فذهبتُ أخرجُ لألعبَ فقالت أمي: يا عبدَ اللهِ تعالَ أُعطيكَ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: وما أردتِ أن تُعطيه؟ قالت: أُعطيه تمرًا قال: فقال رسولُ اللهِ ﷺ أما إنك لو لم تُعطِه شيئًا كُتبتْ عليكِ كَذِبةٌ»[1].

وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الحبيب ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدقِ فإنَّهُ مع البِرِّ وهما في الجنةِ وإياكم والكذبُ فإنَّهُ مع الفجورِ وهما في النارِ»[2].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن الحبيب ﷺ قال: «مَنْ قال لِصَبِيٍّ: تَعالَ هاكَ، ثُمَّ لمْ يُعْطِهِ، فهيَ كَذْبَةٌ»[3].

قد يكونون فتنة وعدوًّا لك

يحذرنا إسلامنا الجميل من حب أولادنا الزائد، إذا زاد هذا الحب وطغى فقد يكون فتنة، وينقلب من نعمة إلى نقمة ويكون سببًا في الهلاك، وينقلب من سبب سعادة إلى سبب تعاسة.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4].

وقد تكون هذه الذرية عدوًّا لوالديها، وتذيقهم العذاب وتسبب لهم المشقة والفتنة، فكثرة تدليل الطفل وعدم تربيته وتأديبه، والاهتمام فقط بطعامه وشرابه وملبسه وشهواته، فينقلب عليهم نقمة لا نعمة، أو يتلهون به عن فعل الخيرات والتصدق والإنفاق في سبيل الله خوفًا على الولد من الفقر والحاجة فيفتنهم، أو يمنع والده من تلبية نداء الوطن في الدفاع عنه والجهاد في سبيل الله فيقعده.

ويحذرنا ربنا فيقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَـٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[5].

ويقول الحبيب ﷺ: «إنَّ الولدَ مَبخلَةٌ مجبَنَةٌ مجهلَةٌ محزَنَةٌ»[6].

وليس كل من لم يرزقه الله بالذرية تعيسًا ومبتلى بهذه المصيبة، وليس كل من رزقه الله بالذرية سعيدًا ومعافى بهذه النعمة، فالله الحكيم قد يجعل في المبتلى بعدم الذرية خيرًا كثيرًا، وقد يكون المتنعم بكثرة الذرية غارقًا في التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة.

---

[1] قال الألباني في السلسلة الصحيحة رجاله ثقات غير المولى الذي لم يسم برقم2/373، وقال في صحيح أبي داود حسن برقم4991، وقال في صحيح الترغيب حسن لغيره برقم2943.

[2] قال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3118، وقال البزار في مسنده إسناده من أحسن الأسانيد يروي عن أبي بكر برقم1/203.

[3] قال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره برقم2942، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم9862.

[4] سورة التغابن الآية 15.

[5] سورة التغابن الآية 14.

[6] عن الأسود بن خلف وخولة بن حكيم وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم1990، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم8/158.

يقول ربنا الحكيم: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2].

عن بُريدةَ بن الحصيب رضي الله عنه قال: «خطبَنا رسولُ اللهِ ﷺ، فأقبلَ الحسنُ، والحسينُ رضيَ اللَّهُ عنْهما، عليْهما قَميصانِ أحمرانِ يعثُرانِ ويقومانِ، فنزلَ فأخذهما، فصعِدَ بِهما المنبرَ، ثمَّ قال: صدقَ اللَّهُ: أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، رأيتُ هذينِ فلم أصبِرْ، ثمَّ أخذ في الخطبةِ»[3].

اشكر الله واحمده على نعمة الأولاد

ويعلمنا إسلامنا الجميل أن نتعامل مع هذه النعمة بالشكر والحمد لصاحب العطاء والمن سبحانه وتعالى الذي بيديه الأمر كله.

فيقول ربنا العاطى الوهاب الكريم: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ (٤٩) أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾[4].

فيقول ربنا الرحيم على لسان نبيه سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[5].

ويقول ربنا سبحانه على لسان أبو الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[6].

ونسعى جاهدين ما استطعنا لتربية أولادنا تربية صالحة، ليكونوا عونًا لنا في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يساعدونا أحياء، وبعد الممات بفعل الخيرات والدعاء.

كما ذكر الحبيب ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له»[7].

احذر من عقوق الأولاد

---

[1] سورة النساء الآية 19.

[2] سورة البقرة الآية 216.

[3] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1109، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2916، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم1413، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم3774، وأحمد برقم22995.

[4] سورة الشورى الآية 49 – 50.

[5] سورة الأحقاف الآية 15.

[6] سورة إبراهيم الآية 39.

[7] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1631، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1376.

ومع مشقة تربية الأولاد، فإنها تعد من لذة الحياة وبهجتها، ولكن على الآباء والأمهات أن يحسنوا تربية أولادهم وتعليمهم أصول الدين ومهارات الحياة ويحصنوهم بالعلم والأدب، حتى ينشأ الأولاد على حب الدين والوفاء للوالدين، ولا يكونوا سببًا في عقوقهما.

وحذرنا إسلامنا من عقوق الوالدين كما حذرنا من عقوق أولادنا، ولكنه يكثر من التحذير من عقوق الأولاد للوالدين، لأن الفطرة السوية أن يجتهد الوالدان في تربية الأولاد، وبخاصة الأم التي حملت وولدت وأرضعت وتحملت الكثير في تربية الصغير وتنشئته.

يقول الحق سبحانه في حق الأم: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

ويحذرنا إسلامنا الجميل من عقوق أولادنا، فقد يعق الوالدان الأولاد قبل أن يعق الأولاد الأبوين، فإذا لم يحسن الوالدان تربية الأولاد وتعليمهم تعاليم دينهم الجميل وأخلاقه الراقية وسلوكه القويم، فإن الأولاد ينشأون على العقوق بكل طرقه إلا ما رحم ربي.

فيحذرنا الحبيب ﷺ فيقول: «اتَّقوا اللهَ، واعدِلوا بين أولادِكم؛ كما تحبُّون أن يبرُّوكم»[2].

ويقول الحبيب ﷺ: «رحِمَ اللَّهُ والدًا أعانَ ولدَهُ علَى برِّهِ، قالوا: كيفَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: يقبَلُ إحسانَهُ، ويتجاوزُ عن إساءتِهِ»[3].

وفي رواية أخرى عن الحبيب ﷺ: «أعِينوا أولادَكم على البِرِّ مَن شاء استخرَج العُقوقَ لولَدِه»[4].

وفي الأثر المشهور «وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْهِ بِابْنِهِ فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا يَعُقُّنِي، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِلِابْنِ: أَمَا تَخَافُ اللَّهَ فِي عُقُوقِ وَالِدِكَ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ كَذَا، وَمِنْ حَقِّ الْوَالِدِ كَذَا، فَقَالَ الابْنُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَمَا لِلابْنِ عَلَى وَالِدِهِ حَقٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ حَقُّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَنْجِبَ أُمَّهُ، يَعْنِي لَا يَتَزَوَّجُ امْرَأَةً دَنِيئَةً لِكَيْلَا يَكُونَ لِلْابْنِ تَعْيِيرٌ بِهَا، قَالَ: وَحُسْنِ اسْمِهِ وَيُعَلِّمَهُ الْكِتَابَ، فَقَالَ الابْنُ، فَوَاللَّهِ مَا يَكُونُ لِلْابْنِ تَعْيِيرٌ بِهَا، فَقَالَ الابْنُ، فَوَاللَّهِ مَا اسْتَنْجَبَ أُمِّي، وَمَا هِيَ إِلَّا سِنْدِيَّةٌ اشْتَرَاهَا بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، وَلَا حَسَّنَ اسْمِي، سَمَّانِي جَعْلًا ذَكَرَ الْخُفَّاشِ، وَلَا عَلَّمَنِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ آيَةً وَاحِدَةً، فَالْتَفَتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِلَى الْأَبِ وَقَالَ: تَقُولُ ابْنِي يَعُقُّنِي فَقَدْ عَقَقْتَهُ قَبْلَ أَنْ يَعُقَّكَ»[5].

---

[1] سورة لقمان الآية 14.

[2] عن النعمان بن البشير، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2587، ومسلم في صحيحه برقم1623.

[3] عن عطاء بن رباح وقال الألباني ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم1946، في رواية عن علي بن أبي طالب قال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم3118.

[4] عن أبي هريرة ورواه الطبراني في الأوسط برقم4076، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم973، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه من لم أعرفهم برقم8/149.

[5] تنبيه الغافلين للسمرقندي ص130، طبعة المكتبة الشاملة.

«حْكِي عَنْ أَبِي حَفْصٍ الْيَسْكَنْدِيِّ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ سَمَرْقَنْدَ، أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي ضَرَبَنِي وَأَوْجَعَنِي، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الابْنُ يَضْرِبُ أَبَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ ضَرَبَنِي وَأَوْجَعَنِي، فَقَالَ: هَلْ عَلَّمْتَهُ الْأَدَبَ وَالْعِلْمَ؟ قَالَ: لَا: فَهَلْ عَلَّمْتَهُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ فَأَيَّ»[1].

تحمل مسئوليتهم اهتم بهم وارعهم

ومسئولية الآباء في تربية الأولاد كبيرة، فالأولاد أساس المجتمع الصالح، والآباء مسئولون عن هذه التربية، وستعود عليهم وعلى المجتمع كله بالخير والنفع.

وإسلامنا الجميل يحرص كل الحرص على تربية الجيل المسلم وتنشئتهم تنشئة صالحة سليمة، ويدعو الوالدين بالاهتمام بتربية أولادهم تربية رشيدة.

ويدلنا إليها بآيات الله المحكمات في قرآنه الكريم وبأحاديث نبوية كثيرة عن الحبيب ﷺ.

يقول ربنا الحكيم سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَة﴾[2].

منها قول الحبيب ﷺ: «ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ»[3].

ويقول الحبيب ﷺ في الحديث الشامل الكامل في مسئولية الوالدين في تربية الأولاد والذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أنَّهُ: سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فَالإمَامُ رَاعٍ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْئُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا، والخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، قالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِن رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وأَحْسِبُ النبيَّ ﷺ قالَ: والرَّجُلُ في مَالِ أبِيهِ رَاعٍ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ»[4].

«أنَّ مولىً لعبدِ اللهِ بنِ عمرٍو قال لهُ: إني أُريدُ أن أُقيمَ هذا الشهرَ هاهنا ببيتِ المقدسِ، فقال لهُ: تركتَ لأهلِكَ ما يَقوتُهم هذا الشهرَ، قال: لا، قال: فارجعْ إلى أهلِكَ، فاتركْ لهم ما يَقوتُهم، فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: كفي بالمرءِ إثمًا أن يُضَيِّعَ من يَقُوتُ»[5]

لا تدعُ عليهم بل ادعُ لهم

أثناء تربية الأولاد قد يصدر منهم ما يجعل الوالدين ينفد صبرهم عنهم ويزداد ضجرهم عليهم، إما من كثرة لعبهم وعلو أصواتهم وشجارهم مع إخوتهم، أو إهمالهم دراستهم وتعليمهم، مما يدفع الوالدين إلى الدعاء عليهم وبخاصة من أمهاتهم.

---

[1] تنبيه الغافلين للسمرقندي ص130، طبعة المكتبة الشاملة.

[2] سورة التحريم الآية 6.

[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1358، ومسلم في صحيحه برقم2658.

[4] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2409 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1829.

[5] رواه أحمد في مسنده وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم6842، وقال الألباني في إرواء الغليل رجاله ثقة غير وهب بن جابر فهو مجهول برقم3/407، وحسنه في صحيح أبي داود برقم1692، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم4240.

فيحذرنا إسلامنا الجميل من الدعاء على أولادنا لحظة الغضب عليهم، فقد يكون وقت إجابة الدعاء، فيصيبهم دعاؤنا عليهم، فنندم على ما فعلنا حيث لا ينفع الندم.

ويقول ربنا في حق عباده الذين هم عباد الرحمن، من صفاتهم الحميدة أنهم يدعون لأبنائهم فيقولون في كتاب الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].

وقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن الحبيب ﷺ أنه قال:«لا تَدْعُوا علَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»[2].

وكان الحبيب ﷺ يدعو للأولاد ويداعبهم، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أن رسولَ اللهِ ﷺ كان يزورُ الأنصارَ، فإذا جاء إلى دورِ الأنصارِ جاء صبيانُ الأنصارِ يدورون حوله، فيدعو لهم، ويمسحُ رؤوسَهم ويسلمُ عليهم»[3].

ودعا ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له: «اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ»[4].

ودعا لخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه «فَقالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ لي خُوَيْصَّةً، قالَ: ما هي؟، قالَتْ: خَادِمُكَ أنَسٌ، فَما تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ ولَا دُنْيَا إلَّا دَعَا لي به، قالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا ووَلَدًا، وبَارِكْ له فِيهِ، فإنِّي لَمِنْ أكْثَرِ الأنْصَارِ مَالً»[5].

وكان يدعو لأولاد الأنصار ويباركهم فقد روى عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال:«وَكانَ قدْ أدْرَكَ النبيَّ ﷺ وذَهَبَتْ به أُمُّهُ زَيْنَبُ بنْتُ حُمَيْدٍ إلى رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، بَايِعْهُ، فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: هو صَغِيرٌ فَمَسَحَ رَأْسَهُ، ودَعَا له، وكانَ يُضَحِّي بالشَّاةِ الوَاحِدَةِ عن جَمِيعِ أهْلِهِ»[6].

شاركهم في لعبهم

إسلامنا الجميل يدعونا إلى أن نلعب مع أولادنا ونتسامر معهم وننزل إلى سنهم وعمرهم، ونحضر لهم الألعاب التي تناسب سنهم لتنمي فيهم ذكاءهم وقدراتهم، وتكسبهم الخبرات المتراكمة التي تمكنهم من الحياة بيسر وراحة، وليتعلموا مواجهة الصعاب وحل المشاكل.

---

[1] سورة الفرقان الآية 74.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه برقم3009، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1532، وصحيح في صحيح الجامع برقم 1500.

[3] رواه أبو داود في سننه برقم3854، والنسائي في السنن الكبرى برقم6901، وأحمد في مسنده وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم12406، وقال الألباني صحيح في آداب الزفاف برقم97.

[4] قال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم5/41، ورواه البزار في البحار الزخار برقم11/282، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح في شرط مسلم برقم 7055.

[5] عن أنس بن مالك الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم1982واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم660.

[6] أخرجه البخاري في صحيحه برقم7210 واللفظ له، وأبو داود في سننه برقم2942.

فروت عائشة رضي الله عنها قالت: «كُنْتُ أَلْعَبُ بالبَنَاتِ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، وكانَ لي صَوَأحب يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ إذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ منه، فيُسَرِّبُهُنَّ إلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي»[1].

وروى عبد الله بن الحارث رضي الله عنهما «كان رسولُ اللهِ ﷺ يصِفُ عبدَ اللهِ وعُبَيدَ اللهِ وكثيرًا بني العبَّاسِ، ثُمَّ يقولُ: مَن سبَق إليَّ فله كذا وكذا، قال: فيستَبِقون إليه، فيقَعون على ظهرِه وصدرِه، فيُقبِّلُهم ويلتَزِمُهم»[2].

ويروي ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن جبلة بن سحيم قال: دخلت على معاوية بن أبي سفيان - وهو في خلافته - وفي عنقه حبل، وصبي يقوده، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا؟ قال: يا لكع، اسكت، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له صبي فليتصاب له»[3].

اللعب مع الطيور والحيوانات الأليفة

وأجاز إسلامنا الجميل لأطفالنا اللعب مع الحيوانات الأليفة التي لا تؤذي الطفل، وتدخل عليه السرور ويتعلم معهم الرفق بالحيوان وحسن التعامل معه، ولكن في ظل راعية الأبوين وحرصهم عليه، لمنع أن يؤذيه الحيوان بغير قصد أثناء لعبهم معه، أو يحدث العكس بقيام الطفل بغير قصد منه بأذية الحيوان أو تعذيبه، مثل القطط والطيور وغيرها مما يأنسون بالإنسان ويعيشون بينهم.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كانَ النبيُّ ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وكانَ لي أخٌ يُقَالُ له أبو عُمَيْرٍ - قالَ: أحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وكانَ إذَا جَاءَ قالَ: يا أبَا عُمَيْرٍ، ما فَعَلَ النُّغَيْرُ نُغَرٌ كانَ يَلْعَبُ به»[4].

ولما مات النغير -وكان طائرًا يغرد- واساه الحبيب رسول الله ﷺ وحاول أن يدخل السرور على الطفل، ويروي أخوه الكبير أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين قال: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يدخل علينا ولي أخٌ صغيرٌ يكنى أبا عُميرٍ، وكان له نغرٌ يلعب به فمات، فدخل عليه النبيُّ ﷺ ذات يومٍ فرآه حزينًا، فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نغرُه، فقال يا أبا عُميرُ! ما فعل النُّغَيرُ»[5].

وكان للحسن بن على رضي الله عنهم أجمعين جرو صغير يلعب في منزله.

فقد روى عليّ بن أبي طالب قال: «كُنتُ آتي رسولَ اللهِ ﷺ كلَّ غَداةٍ، فإذا تنَحنَح دخَلْتُ، وإذا سكَت لم أَدخُلْ، قال: فخرَج إليَّ فقال: حدَث البارحةَ أمْرٌ، سمِعْتُ خَشْخَشةً في الدَّارِ، فإذا أنا بجِبريلَ عليه السَّلامُ، فقُلتُ: ما منَعكَ من دُخولِ البيتِ؟ فقال :في البيتِ كلبٌ، قال: فدخَلْتُ، فإذا جَرْوٌ للحَسَنِ تحتَ كُرْسيٍّ لنا، قال: فقال: إنَّ الملائكةَ لا يَدخُلونَ البيتَ إذا كان فيه ثلاثٌ :كلبٌ، أو صورةٌ، أو جُنُبٌ»[6].

---

[1] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6130 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2440.

[2] قال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن برقم9/20، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده ضعيف برقم3/248، وقال الألباني ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم6547.

[3] قال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم5800، وقال ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم4640.

[4] الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6203 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2150.

[5] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4969، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم14071.

[6] رواه أبو داود برقم227، والنسائي برقم261، وابن ماجه برقم3650، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم845.

كما كان للأنصار في بيوتهم كلاب يقتنونها، فنهى الحبيب عن اقتناء الكلاب في البيوت، واستثنى كلاب الحراسة أو الصيد أو الرعي فقط.

«كان النبي ﷺ يأتِي أهل البيتِ من الأنصارِ فيدخل عليهِم وكان دونَهم أهلُ بيتٍ لا يدخل عليهم فشُقّ ذلك عليهم فقالوا: يا رسولَ اللهِ تدخلُ على أهلِ بيتِ فلانٍ ولا تدخُلْ علينا، قال: إن في بيتِكم كَلْبا، فقالوا: يا رسولَ اللهِ إن في البيتِ الذي تدخل عليهم سُنّورا، قال: إن السُنّورَ سَبْعٌ»[1].

اقضِ لهم حاجتهم

تروي لنا كتب إسلامنا الجميل قصة الحبيب ﷺ مع الطفلة الصغيرة التي سألته مسألتها وذهبت به إلى حيث شاءت ليقضي لها حاجتها.

«إنْ كانتِ الوليدةُ مِن وَلائدِ أهلِ المدينةِ لَتَجيءُ فتَأخذ بيَدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فلا يَنزِعُ يدَهُ مِن يَدِها حتى تَذهَبَ به حيثُ شاءتْ»[2].

وحديث آخر يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إنْ كَانَتِ الأمَةُ مِن إمَاءِ أهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأخذ بيَدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ به حَيْثُ شَاءَتْ»[3].

فالطفل يسعد عندما يخرج إلى العالم الخارجي مع والديه، ليرى العالم من حوله ويكتسب خبرة مما يشاهده من والديه.

ويدعونا إسلامنا الجميل لاستماع لأولادنا والإنصات لهم، لأنهم في مرحلة عمرية يسأل الطفل دائمًا والديه ليكون لديه معلوماته وخبرته الحياتية.

فالطفل يتعلم بالمشاهدة أولًا ثم المسائلة ثانيًا، حتى يستطيع أن يتعلم العلم بالقراءة والكتابة ثالثًا، ومنها يستطيع بالمعلم أولًا ثم بقدرته على الاستيعاب ثانيًا على التعليم والتعلم.

أشعرهم بحبك وشاركهم فرحتهم

إسلامنا الجميل يعلمنا كيف نشارك أولادنا الفرحة فيدخل الحب في قلوبهم وقلوبنا، السيرة العطرة للحبيب المصطفي ملآنة بهذا الهدي الجميل، فكان الحبيب يشعر الحسن والحسين ولدي فاطمة الزهراء وأمامة ابنة بنته زينب رضي الله عنهم أجمعين بالحب ويشاركهم فرحتهم ويلعب معهم، ويقبلهم ويحملهم ورأينا كيف كان الحسن والحسين يعتلون ظهره في الصلاة ويلعبون بين يديه، وكيف كان يحمل أمامة في الصلاة وبين يديه وهو يخطب الناس فوق المنبر ويحملهم ويقبلهم ويدخل الفرحة عليهم.

---

[1] عن أبي هريرة ورواه أحمد في مسنده برقم8342، والدارقطني برقم1/63، والحاكم في مستدركه برقم649 باختلاف يسير، وقال ابن عدي في الكامل للضعفاء فيه عيسى بن المسيب هو صالح فيما يرويه برقم6/444.

[2] عن أنس بن مالك رواه أحمد في مسنده وقال شعيب الأرناؤوط إسناده ضعيف برقم12780، وروى برويات أخرى بالأمة بدلا من الوليدة وقال فيها الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3386.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه معلق برقم6072، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود إسناده صحيح برقم7/193.

بل كان يدخل السرور على صبيان أهل بيته من أولاد أم سلمة وأولاد عمومته من أولاد عمه العباس وأولاد جعفر الطيار رضي الله عنهم أجمعين.

ومنها ما روى عبد الله بن جعفر بن طالب رضي الله عنهما قال: «كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا قَدِمَ مِن سَفَرٍ تُلُقِّيَ بصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قالَ: وإنَّه قَدِمَ مِن سَفَرٍ فَسُبِقَ بي إلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ، فأرْدَفَهُ خَلْفَهُ، قالَ: فَأُدْخِلْنَا المَدِينَةَ، ثَلَاثَةً علَى دَابَّةٍ»[1].

وفي رواية أخرى لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما وكان رسول الله ﷺ يحب عبد الله بن جعفر وجعفر بن عمه حبًّا شديدًا فقد استشهد جعفر وترك أولاده صغارًا، وكان الحبيب يحبهم ويعطف عليهم كثيرًا «لو رأيتَني وقُثَمَ وعُبَيْدَ اللَّهِ ابني عبَّاسٍ ونحنُ صِبيانٌ نلعبُ، إذ مرَّ النَّبيُّ ﷺ على دابَّةٍ، فقال: ارفَعوا هذا إليَّ قال: فحمَلَني أمامَهُ، وقالَ لقُثَمَ: ارفعوا هذا إليَّ فجعلَهُ وراءَهُ، وَكانَ عُبَيْدُ اللَّهِ أحب إلى عبَّاسٍ مِن قثمَ، فما استَحى من عمِّهِ أن حَملَ قثمًا وترَكَهُ، قال: ثمَّ مسحَ على رأسي ثلاثًا، وقالَ كلَّما مَسحَ: اللَّهمَّ اخلُف جَعفرًا في ولَدِهِ قال: قلتُ لعبدِ اللَّهِ: ما فعلَ قُثَمُ؟ قال: استُشْهِدَ، قال: قلتُ: اللَّهُ أعلمُ بالخيرِ ورسولُهُ بالخيرِ، قال: أجَلْ»[2].

تحين الفرص لتعليمهم

كان الحبيب ﷺ يتحن الفرص لتعليم الصغار تعاليم ديننا الجميل، كلما سنحت الفرصة يستغلها لتعليم الأولاد الدين ويكون الولد جاهزًا فكريًّا وعقليًّا وسعيدًا بهذا الدرس القيم والمفيد الذي لا ينساه أبدًا طوال حياته.

فقد كان الرسول الحبيب ﷺ يستفيد من جو الحب والدفء الذي يبعثه في قلب الفتى والصبي واستعداده للقبول والتعلم.

فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كنتُ خلْفَ النَّبيِّ ﷺ يومًا فقال: "يا غلامُ إني أُعلِّمُك كلماتٍ: "احفَظِ اللهَ يَحفظْكَ احفَظِ اللهَ تَجدْهُ تُجاهَك، إذا سألْتَ فاسأَلِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلَمْ: أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمَعَتْ على أنْ يَنْفَعوكَ بشَيءٍ، لم يَنْفَعوكَ إلَّا بشَيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لك، وإنِ اجْتمعوا على أنْ يَضُروكَ بشَيءٍ، لم يَضُروكَ إلَّا بشَيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ»[3].

وفي روايَةٍ أخرى «كنتُ رَديفَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: يا غُلامُ، أو يا غُلَيِّمُ، أَلا أُعلِّمُك كَلِماتٍ ينفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟ فقُلتُ: بلى. فقال: احفَظِ اللهَ يَحفَظْكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْه أَمامَكَ، تَعَرَّف إليه في الرَّخاءِ، يَعرِفْك في الشِّدَّةِ، وإذا سأَلتَ؛ فاسأَلِ اللهَ، وإذا استعَنتَ، فاستَعِنْ باللهِ، قد جَفَّ القَلَمُ بما هو كائِنٌ، فلو أنَّ الخَلقَ كُلَّهم جَميعًا أرادوا أنْ يَنفَعوكَ بِشَيءٍ لم يَكتُبه اللهُ عليكَ؛ لم يَقدِروا عليه، وإنْ أرادوا أنْ يَضُرُّوك

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2428، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم4765.
[2] أخرجه أحمد في مسنده وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم3/197، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم9/288.
[3] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2516، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم2763.

بِشَيءٍ لم يَكتُبْه اللهُ عليكَ؛ لم يَقدِروا عليه، واعلَمْ أنَّ في الصَّبرِ على ما تَكرَهُ خيرًا كثيرًا، وأنَّ النَّصرَ مع الصَّبرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسرِ يُسرًا»[1].

وكذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخذ بيدِهِ، وقالَ: يا مُعاذُ، واللهِ إنِّي لأحبكَ، واللهِ إنِّي لأحبك، فقالَ: أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ»[2].

وكان زيد بن ثابت من الغلمان الأذكياء سريعي الحفظ والفهم، فاستفاد رسول الله ﷺ من ذكائه وقدرته على الحفظ فأمره بتعلم اللغات الآخرى فأتقن لغة اليهود ولغة الروم، وكان يقرأ ويكتب للنبي ﷺ كتب اليهود والروم.

فقد روى زيد بن ثابت رضي الله عنه «أنَّه لمَّا قدِمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ، قال زَيدٌ: ذُهِبَ بي إلى النَّبيِّ ﷺ فأُعجِبَ بي، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، هذا غُلامٌ من بَني النجَّارِ، معه ممَّا أنزَلَ اللهُ عليكَ بِضعَ عَشْرةَ سورةً، فأعْجَبَ ذلك النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، وقال: يا زَيدُ، تَعلَّمْ لي كتابَ يَهودَ؛ فإنِّي -واللهِ- ما آمَنُ يَهودَ على كِتابي، قال زَيدٌ: فتَعلَّمْتُ له كِتابَهم، ما مرَّتْ بي خَمسَ عَشْرةَ ليلةً حتى حَذِقْتُه، وكُنْتُ أقرَأُ له كُتُبَهم إذا كَتَبوا إليه، وأُجيبُ عنه إذا كتَبَ»[3].

وروى رضي الله عنه «قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: أَتُحسنُ السِّريانيَّةَ؟ فقلتُ: لا قال: فتعلَّمْها فإنه يأتينا كُتُبٌ فتعلَّمْتُها في سبعةَ عشرَ يومًا»[4].

لا تكثر من لومهم وعتابهم

يعلمنا إسلامنا الجميل ألا نكثر من عتاب الصغير وكثرة لومه على كل خطأ، حتى يكتسب الثقة في نفسه ونربي فيه القدرة على مواجهة المواقف وعلاج أخطائه، فكثرة اللوم والتأنيب تجعله يخاف أن يتحدث أو يبادر بالعمل فيظل مرتجفًا خائفًا، عديم الثقة بنفسه ويعتمد على الآخرين، ولذلك نهى رسولنا الحبيب عن كثرة لوم الصغير على هفواته وأخطائه، فقد روى أنس بن مالك وكان فتى لم يتجاوز العاشرة من عمره فيقول: «خدمتُ رسولَ اللهِ -ﷺ- وأنا ابن ثمانِ سنينَ، خدمتُه عشرَ سنين، فما لامني على شيءٍ قطُّ أتي فيه على يدي، فإن لامني لائمٌ من أهله؛ قال: دعوه؛ فإنه لو قضي شيءٌ كان»[5].

وفي رواية أخرى قال: «خدمتُ النبيَّ ﷺ عشرَ سنينَ، فما قال لي أُفٍّ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ لِمَ أفعلْهُ: ألا كنتَ فعلتَه؟ ولا لشيءٍ فعلتُه: لِمَ فعلتَه؟»[6].

---

[1] وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم2803، وقال عبد الحق الإشبيلي صحيح في الأحكام الشرعية الكبرى برقم3/333.

[2] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1522، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم22119.

[3] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم21618.

[4] قال الألباني إسناده صحيح في السلسلة الصحيحة برقم1/364، قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم21587.

[5] رواه أحمد في مسنده وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم13418باختلاف يسير، وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح إسناده صحيح برقم5756 واللفظ له.

[6] أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم211 واللفظ له، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6038، ومسلم في صحيحه برقم2309.

ارو لهم القصص الشائقة

من أسلوب تعليم أولادنا في إسلامنا الجميل رواية القصص والحكايات التي تحمل في طياتها تعلم الخير والنفع، ففي قرآننا الكريم الكثير من القصص التي تُروى للأولاد تربيهم وتعلمهم، وفي سنة الحبيب ﷺ القصص التي فيها العبر والعظات ما ينتفع بها الأولاد، وهي أسلوب محبب إليهم وينصتون له لكل فكرهم وجوارحهم.

ففي قرآننا الكريم قصص كثيرة منها قصة آدم عليه السلام وقصة نبي الله يوسف وهي كما قال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾[1].

وقصص نبي الله موسى مع فرعون، وهي من القصص التي رويت متنوعة في سور القرآن الكريم، وقصص سورة الكهف الأربعة، قصة أصحاب الكهف، وقصة الرجلين أصحاب الحديقة، وقصة نبي الله موسى مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين، وقصة الأخوة الثلاثة وحديقتهم في سورة القلم، وقصة أصحاب الفيل في سورة الفيل، وقصة أصحاب الأخدود في سورة البروج، وغيرها من سور الله المحكمة وقصصه الصحيحة المعتبرة.

ورسولنا يروي لنا كذلك القصص والأمثال التي فيها العبرة والعظة، ففي قصة الأصحاب الثلاثة الذين حبسوا في الغار وكيف نجوا بصالح أعمالهم، وقصة الرجل والكلب العطشان وكيف سقى الرجل الكلب من البئر فغفر الله له، والقصة مروية كذلك في البغي التي سقت الكلب، والقصة القصيرة في صاحبة القطة أو الهرة وكيف حبستها فدخلت النار، وقصة الرجل الذي أزال الأذى والشوك من الطريق فغفر الله له، وقصة الألف دينار التي استلفها رجل من بني إسرائيل عندما قال له ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، وكيف حال وقت سدادها، ولم يكن موجودًا في البلد واستعان بقدرة الله وحسن توكله عليه لسداد الدين، حين وضع الألف دينار في الخشبة وقذفها في البحر، وكيف وصلت إلى صاحبها والحديث صحيح[2].

واحكِ لهم سيرة الحبيب ﷺ، وتوسع في سرد السيرة النبوية بقدر استيعابهم وقدرتهم على الفهم.

وغيرها من الأحاديث الصحيحة التي روت عن الحبيب ﷺ والتي تُروى للأولاد على حسب عمرهم وقدرتهم على الاستيعاب.

حاورهم على قدر فهمهم

يدعونا إسلامنا الجميل إلى محاورة أولادنا على قدر فهمهم وطاقتهم، ونحدثهم بأسلوبهم والكلام الذي يفهمونه.

فقد كان الحبيب ﷺ يحدث الأولاد على قدر فهمهم، فقد كانت أم خالد ولدت بالحبشة وتعلمت منهم لغتهم وغلبت عليها، فلما جاءت المدينة كلمها رسولنا ﷺ ببعض الكلمات من لغة أهل الحبشة.

---

[1] سورة يوسف الآية 3.

[2] عن أبي هريرة أخرجه البخاري في صحيحه برقم2291، والنسائي في سننه برقم1961.

فقد روت أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: «أُتِيَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بثِيابٍ فيها خَمِيصَةٌ سَوْداءُ، قالَ: مَن تَرَوْنَ نَكْسُوها هذِه الخَمِيصَةَ فَأُسْكِتَ القَوْمُ، قالَ: ائْتُونِي بأُمِّ خالِدٍ فَأُتِيَ بي النبيُّ ﷺ فألْبَسَنِيها بيَدِهِ، وقالَ: أبْلِي وأَخْلِقِي مَرَّتَيْنِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إلى عَلَمِ الخَمِيصَةِ ويُشِيرُ بيَدِهِ إلَيَّ ويقولُ: يا أُمَّ خالِدٍ هذا سَنا ويا أُمَّ خالِدٍ هذا سَنا والسَّنا بلِسانِ الحَبَشِيَّةِ الحَسَنُ قالَ إسْحاقُ: حَدَّثَتْنِي امْرَأَةٌ مِن أهْلِي: أنَّها رَأَتْهُ علَى أُمِّ خالِدٍ»[1].

وفي غزوة بدر الكبرى بعث الرسول ﷺ بعض الصحابة ليأتوا بخبر قريش وجيشها، فوجدوا غلامًا راعيًا لإبل قريش فقبضوا عليه، وحاولوا أن يعرفوا منه عدد جيش قريش، حتى ضربوه ليقول لهم عدد جيش قريش، ولم يستوعب الغلام أو يعرف عدد جيش قريش لأنه لا يعرف الأعداد الكبيرة، فعرضوه على النبي الحبيب الرحيم ﷺ فقال لهم لا تضربوه، ثم سأله سؤالًا يعرفه ويسهل الإجابة عليه طبقًا لقدر فهمه الصغير واستيعابه القليل، فقال له كم يذبح القوم؟ فقال الغلام ما بين التسعة والعشرة من الإبل، فعرف الرسول ﷺ عدد جيش قريش من هذا الغلام الصغير، وقال لأصحابه القوم ما بين التسعمائة إلى الألف، وكان العدد حقيقيًّا.

ويروي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول: «سارَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بدرٍ، وبدرٌ بئرٌ، فسبَقنا المشركون إليها، فوَجدنا فيها رجُلَيْنِ مِنهُم، رجلًا من قُرَيْشٍ، ومولًى لعقبةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ، فأمَّا القرشيُّ فانفَلتَ، وأمَّا مولى عقبةَ فأخذناهُ، فجعَلنا نقولُ لَهُ: كمِ القومُ؟ فيقولُ: هم واللَّهِ كثيرٌ عددُهُم، شَديدٌ بأسُهُم. فجَعلَ المسلمونَ إذ قالَ ذلِكَ ضربوهُ، حتَّى انتَهَوا بِهِ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ لَهُ: كمِ القومُ؟ قال: هُم واللَّهِ كثيرٌ عددُهُم، شديدٌ بأسُهُم فجَهَدَ النَّبيُّ ﷺ أن يُخْبِرَهُ كم هُم، فأبي ثمَّ إنَّ النَّبيَّ ﷺ سألَهُ: كَم ينحرونَ منَ الجَزورِ؟ فقال: عَشرًا كلَّ يومٍ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: القَومُ ألفٌ، كلُّ جزورٍ لمِائةٍ وتبعَها»[2].

علمهم بالمشاهدة والقدوة

أولادنا قرة أعيننا، يعلمنا إسلامنا الجميل أن نعلمهم أشياء كثيرة بالمشاهدة والمتابعة، من غير أن نكلمهم فقط بالمشاهدة، يتعلم الأولاد عنا ما شاهدوه منا، منها مثلا أن تصحب أولادك إلى المسجد كلما ذهبت لتصلي، فيشاهدك وأنت حريص على الصلاة في المسجد، ويشاهدك تؤدي حركات الصلاة ويحاول أن يقلدك، وأنت تأكل احرص على التسمية بصوت عالٍ حتى يسمعك ويقلدك، وهكذا في كل أعمال الخير احرص على أن يشاهدك أولادك تفعلها وتؤديها، فيتعلمون منك كثيرًا من دينهم الجميل.

فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «بِتُّ عِنْدَ خَالَتي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَقَامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا كانَ في بَعْضِ اللَّيْلِ، قَامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِن شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا - يُخَفِّفُهُ عَمْرٌو ويُقَلِّلُهُ جِدًّا -، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ، فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا ممَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ، فَقُمْتُ عن يَسَارِهِ، فَحَوَّلَنِي، فَجَعَلَنِي عن يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى ما شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اضْطَجَعَ، فَنَامَ حتَّى نَفَخَ، فأتَاهُ المُنَادِي يَأْذَنُهُ بالصَّلَاةِ، فَقَامَ معهُ إلى الصَّلَاةِ»[3].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه برقم5845، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4024.

[2] رواه أحمد في مسنده واللفظ له، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم2/193، ورواه أبو داود مختصرًا برقم2665.

[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم859 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم763.

وحديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه وكيف تعلم الوضوء من مشاهدة النبي ﷺ فقال: «كانَ عَمِّي يُكْثِرُ مِنَ الوُضُوءِ، قالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ زَيْدٍ: أخْبِرْنِي كيفَ رَأَيْتَ النبيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ؟ فَدَعَا بتَوْرٍ مِن مَاءٍ، فَكَفَأَ علَى يَدَيْهِ، فَغَسَلَهُما ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ أدْخَلَ يَدَهُ في التَّوْرِ، فَمَضْمَضَ واسْتَنْثَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن غَرْفَةٍ واحِدَةٍ، ثُمَّ أدْخَلَ يَدَهُ فَاغْتَرَفَ بهَا، فَغَسَلَ وجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ إلى المِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أخذ بيَدِهِ مَاءً فَمَسَحَ رَأْسَهُ، فأدْبَرَ به وأَقْبَلَ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ فَقالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ»[1].

وعلم الرسول الغلام كيف يسلخ الشاة بالمشاهدة أيضًا، فقد رأي الحبيب ﷺ الغلام يسلخ الشاة ولا يحسن سلخها فأراه النبي ﷺ كيف يسلخها بطريقة صحيحة وسريعة.

فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مرَّ بغلامٍ يسلَخُ شاةً فقال له: «تنَحَّ حتَّى أُريَك فإنِّي لا أراك تُحسِنُ تسلَخُ» قال: فأدخَل رسولُ اللهِ ﷺ يدَه بينَ الجِلْدِ واللَّحمِ فدحَس بها حتَّى توارَتْ إلى الإبْطِ ثمَّ قال صلى الله عليه وسلم: «هكذا يا غلامُ فاسلَخْ» ثمَّ انطلَق فصلَّى ولم يتوضَّأْ ولم يمسَّ ماءً»[2].

وهكذا التعليم بالمشاهدة من أكثر صور التعليم تأثيرًا، سواء كان للصغار أم للكبار، كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم؛ حيث رووا كثيرًا من أحاديث الرسول الحبيب ﷺ بالمشاهدة والرؤية.

مجالسة الكبار والتعليم منهم

من طرق تعليم الصغار مصاحبة الكبار، ويعلمنا إسلامنا الجميل أن نصطحب أولادنا معنا عند مجالس الكبار أو مجالس العلم، وبخاصة عندما ينهي الصغير رحلة الصبا ويصبح غلامًا مدركًا ويعرف ما حوله، فيدخل في عقله كم كبير من التحصيل والمعلومات في هذه السن، وهو مرحلة ما قبل البلوغ.

وقد كان أولاد الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون فيها ويتفقهون من مجالسة الكبار، في دولة المدينة التي كان رسولنا الحبيب ﷺ يضع ويؤسس لبناتها القوية والثابتة على تقوى من الله، فقد كان الحسن والحسين سبطا الرسول الحبيب ﷺ ورضي الله عنهما وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم جميعا من أبطالها في هذه المرحلة، ورووا كثيرًا من أحاديث الرسول الحبيب ﷺ والمواقف التي وعوها وحضروها مع النبي ﷺ والصحابة الكرام في هذه المرحلة.

فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقالَ: أخْبِرُونِي بشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أوْ: كَالرَّجُلِ المُسْلِمِ لا يَتَحَاتُّ ورَقُهَا، ولَا ولَا ولَا تُؤْتي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ قالَ ابنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ في نَفْسِي أنَّهَا النَّخْلَةُ، ورَأَيْتُ أبَا بَكْرٍ، وعُمَرَ لا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أنْ أتَكَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ يقولوا شيئًا، قالَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هي النَّخْلَةُ فَلَمَّا قُمْنَا قُلتُ لِعُمَرَ: يا أبَتَاهُ، واللَّهِ لقَدْ كانَ وقَعَ في نَفْسِي أنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقالَ: ما مَنَعَكَ

[1] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 199. وتفرد به، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن الدارقطني صحيح برقم270 نحوه.
[2] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده قوي برقم1163، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم185.

أنْ تَكَلَّمَ؟ قالَ: لَمْ أرَكُمْ تَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أنْ أتَكَلَّمَ أوْ أقُولَ شيئًا، قالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا، أحب إلَيَّ مِن كَذَا وكَذَا»[1].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «لقَدْ كُنْتُ علَى عَهْدِ رَسولِ اللهِ ﷺ غُلَامًا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ عنْه، فَما يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إلَّا أنَّ هَا هُنَا رِجَالًا هُمْ أَسَنُّ مِنِّي»[2].

وعن عمرو بن سلمة رضي الله عنهما قال: (فَلَمَّا كانَتْ وقْعَةُ أهْلِ الفَتْحِ، بادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بإسْلامِهِمْ، وبَدَرَ أبِي قَوْمِي بإسْلامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قالَ: جِئْتُكُمْ واللَّهِ مِن عِندِ النَّبيِّ ﷺ حَقًّا، فقالَ: صَلُّوا صَلاةَ كَذا في حِينِ كَذا، وصَلُّوا صَلاةَ كَذا في حِينِ كَذا، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أحَدُكُمْ، ولْيَؤُمَّكُمْ أكْثَرُكُمْ قُرْآنًا. فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أحَدٌ أكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي؛ لِما كُنْتُ أتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبانِ، فَقَدَّمُونِي بيْنَ أيْدِيهِمْ وأنا ابنُ سِتٍّ أوْ سَبْعِ سِنِينَ، وكانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ، كُنْتُ إذا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقالتِ امْرَأَةٌ مِنَ الحَيِّ: ألَا تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قارِئِكُمْ؟ فاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لي قَمِيصًا، فَما فَرِحْتُ بشَيءٍ فَرَحِي بذلكَ القَمِيصِ»[3].

وفي رواية أخرى «كنَّا بحاضرٍ يمرُّ بنا النَّاسُ إذا أتَوا النَّبيَّ ﷺ، فَكانوا إذا رجعوا مرُّوا بنا، فأخبرونا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ كذا وَكذا، وَكنتُ غلامًا حافِظًا، فحفظتُ من ذلِكَ قرآنًا كثيرًا، فانطلقَ أبي وافدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ في نفرٍ من قومِهِ، فعلَّمَهمُ الصَّلاةَ، فقالَ: يؤمُّكم أقرؤُكم، وَكنتُ أقرأَهم لما كنتُ أحفظُ فقدَّموني، فَكنتُ أؤمُّهم وعليَّ بُردةٌ لي صغيرةٌ صَفراءُ، فَكنتُ إذا سجَدتُ تَكشَّفت عنِّي، فقالتِ امرَأةٌ منَ النِّساءِ واروا عنَّا عورةَ قارئِكم، فاشتَروا لي قميصًا عمانيًّا، فما فرِحتُ بشيءٍ بعدَ الإسلامِ فرحي بِهِ، فَكنتُ أؤمُّهُم وأنا ابنُ سبعِ سنينَ أو ثمانِ سنينَ»[4].

وعلى الغلام الصغير مجالسة الشيوخ الكبار والرجال العظام للتعلم والتبصر منهم، فقد كان الغلام يجلس بجوار رسول الله ﷺ يرى ويتعلم، ومن فقهه وعلمه وحبه للحبيب ﷺ لم يؤثر أحدًا، ليس لعدم احترامه للكبير ولكن لحبه للحبيب ﷺ وأخذ البركة منه، واحترم الحبيب ﷺ في الغلام حبه له وعلمه وسعيه للتعلم والفقه.

فقد روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بشَرَابٍ فَشَرِبَ منه، وعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وعَنْ يَسَارِهِ الأشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: أتَأْذَنُ لي أنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ الغُلَامُ: واللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ، لا أُوثِرُ بنَصِيبِي مِنْكَ أحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ في يَدِهِ»[5].

وقال بعض المفسرين: إن الغلام كان عبد الله بن عباس الذي كان دائمًا مرافقًا للرسول الحبيب ﷺ يرى ويشاهد ويتعلم ويحفظ كل أفعاله وأقواله، فكان بعد رسول الله ﷺ من أفقه علماء الأمة.

علّمهم احترام الكبار

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4698 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2811.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه برقم964.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه برقم4302 واللفظ له، والنسائي في سننه برقم636، وأبو داود في سننه برقم585.

[4] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم585 واللفظ له، والبخاري في صحيحه برقم4302 باختلاف يسير.

[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5620، ومسلم في صحيحه برقم2030.

يعلمنا إسلامنا الجميل كل الآداب والأخلاق الكريمة، ويأمرنا أن نعلم أولادنا أن يحترم الصغير الكبير ويوقره، وبخاصة الوالدين حين يكبران ويصبحان طاعنين في السن.

فقد قال ربنا الكريم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[1].

ويقول رسولنا الحبيب ﷺ: «ليسَ منَّا من لَم يَرحَمْ صغيرَنا، ويعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا»[2].

ويقول الحبيب ﷺ: «إنَّ مِن إجلالِ اللهِ إكرامَ ذي الشَّيبةِ المُسلِمِ»[3].

ويعلمنا الإسلامنا الجميل أن نؤدب أولادنا على تقبيل يد الأبوين والشيخ الكبير والعالم الجليل، احترامًا وتقديرًا لمكانتهم، فقد سمح النبي الحبيب ﷺ للصحابة أن يقبلوا يده الشريفة.

فقد روى الصحابي الوازع بن عامر رضي الله عنه قال: «قدِمنا، فقيل: ذاك رسولُ اللهِ، فأخذنا بيدِه ورجلَيه نُقَبِّلُها»[4].

ورواية أخرى عنه أيضًا «لما قدمنا المدينةَ، فجعلْنا نتبادرُ من رواحِلنا، فنقبِّل يدَ النبيِّ ﷺ ورجلَه»[5].

وفي رواية لابن عمر رضي الله عنهما قال: «قالَ فدنونا فقبَّلنا يدَهُ»[6].

وفي رواية عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: «قمنا إلى النبيِّ ﷺ فقبَّلنا يدَه»[7].

ورواية سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «بايَعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ بِيَدي هذه. وأخرَجَ لنا كَفَّهُ، كَفًّا ضَخمةً، قال: فقُمْنا إليه فقَبَّلْنا كَفَّيْهِ جَميعًا»[8].

وعلى مدار هذه الأحاديث أجاز علماؤنا تقبيل يد الوالدين والعلماء وكل ما يستحق التكريم والإجلال والاحترام كالمدرس والشيخ الكبير وغيرهم.

علّمهم الاستئذان

---

[1] سورة الإسراء الآية 23.

[2] عن عبد الله بن عمرو، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم100، وصحيح في أبي داود برقم4943، وقال صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم271، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم11/22.

[3] روى عن أكثر من صحابي هم أبو موسى الأشعري في رواية أبي داود وقال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم4843، وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك ومعظمها أحاديث ضعيفة ولكن يقوي بعضها بعضًا ورواه الطبراني في الأوسط برقم6736، وبرقم5/270، وقال ابن عدي في الكامل في رواية جابر فيه ابن أبي الجون عامة أحاديثه مستقيمة وفي بعضها بعض الإنكار وأرجو أنه لا بأس به برقم5/467.

[4] أخرجه البخاري في الأدب المفرد وقال الألباني ضعيف في الأدب المفرد برقم975.

[5] رواه أبو داود وقال الألباني حسن في صحيح أبي داود دون ذكر الرجلين برقم5225، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه أم أبان بنت الوازع روى لها أبو داود وسكت على حديثها وبقية رجاله ثقات برقم9/391.

[6] رواه البخاري في الأدب المفرد وقال الألباني ضعيف في ضعيف الأدب المفرد برقم152، وقال الألباني ضعيف في ضعيف أبي داود برقم2647.

[7] قال ابن حجر في فتح الباري إسناده قوي برقم 11/58.

[8] قال شعيب الأرناؤوط إسناده محتمل للتحسين في تخريج المسند برقم16551، وقال الألباني حسن في صحيح الأدب المفرد برقم747.

كما يعلمنا إسلامنا الجميل أن نعلم أبناءنا آداب الاستئذان، نستأذن كلما دخلنا على أبوينا، أو عند زيارة أحد في بيته، فلا يدخل الأولاد إلا بإذن، فيزدادون أدبًا وأخلاقًا.

فقد أمر الله سبحانه الأولاد والخدم أو الغرباء بالاستئذان فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ (٢٨) لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[2].

وروى أنس بن مالك عن استئذان سيد الخلق الحبيب ﷺ فقال: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ استَأذَنَ على سعدِ بنِ عُبادةَ، فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ، فقال سعدٌ: وعليكَ السلامُ ورحمةُ اللهِ، ولم يسمَعِ النَّبيَّ ﷺ حتى سلَّم ثلاثًا، وردَّ عليه سعدٌ ثلاثًا، ولم يسمَعْه فرجَعَ النَّبيُّ ﷺ واتَّبعَه سعدٌ، فقال: يا رسولَ اللهِ، بأبي أنتَ وأُمِّي، ما سلَّمْتَ تَسليمةً إلَّا هي بأُذُني، ولقد ردَدْتُ عليكَ ولم أسمَعْكَ، أحببْتُ أنْ أستَكثِرَ من سلامِكَ، ومنَ البَرَكةِ»[3].

وروى كلدة بن حنبل رضي الله عنه قال: «أن صفوانَ بنَ أميةَ، بعثَه إلى رسولِ اللهِ ﷺ بلبنٍ وجدايةٍ وضَغابيسَ، والنبيُّ ﷺ بأعلى مكةَ، فدخلتُ ولم أُسلِّمَ، فقال: ارجعْ فقل السلامُ عليكم. وذاك بعدما أَسلمَ صفوانُ بنُ أميةَ»[4].

والجَدَايةُ ما كان عِندَه ستَّةُ أشهُرٍ أو سبعةُ أشهُرٍ مِن أولادِ الظِّباءِ، و«ضَغابِيسَ»، وهي صِغارُ القِثَّاءِ.

وفي رواية ربعي بن حراش رضي الله عنه أن رجلًا من بني عامر «أنه استأذن على النبيِّ ﷺ وهو في بيتٍ فقال: أَلِجُ، فقال النبيُّ ﷺ لخادمِه: اخرُجْ إلى هذا فعلِّمْه الاستئذان، فقل له: قلْ: السلامُ عليكم أأدخُلُ؟ فسَمِعَه الرجلُ، فقال: السلامُ عليكم، أأدخُلُ؟ فأذن له النبيُّ ﷺ، فدخل»[5].

ويعلمنا سيد الخَلق والخُلق ﷺ الذي مدحه ربه سبحانه وتعالى وقال في حقه: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»[6].

---

[1] سورة النور الآية 27 – 29.

[2] سورة النور الآية 58– 59.

[3] رواه أبو داود في سننه برقم3854، والنسائي في السنن الكبرى برقم6901، وأحمد في مسنده وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم12406، وقال الألباني صحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم4178، وقال صحيح في آداب الزفاف برقم97.

[4] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5176، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم2710.

[5] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5177، وقال صحيح في السلسلة الصحيحة برقم6/478.

[6] سورة القلم الآية 4.

ومن آداب الاستئذان ألا تقف مستقبل الباب حتى لا ترى ما بداخل الباب قبل الدخول، فيشعر صاحب البيت وأهله بالحرج، وبخاصة لو كان البيت صغيرًا.

«كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أتى بابَ قومٍ لم يستقبلِ البابَ من تلقاءِ وجهِه، ولكن من ركنِه الأيمنِ أو الأيسرِ، ويقولُ: السلامُ عليكمُ السلامُ عليكمُ»[1].

وحديث آخر عن عدم وقوف المستأذن وجه الباب وألا يكون نظره في وجه الباب مباشرًا، حتى لا يكشف من في داخل الباب قبل الاستئذان.

فقد جاء رجل إلى بيت النبي ﷺ وكان واقفًا مستقبلًا الباب ولم يحول نظره، فلما فتح له النبي الباب علمه ألا يوجه وجهه مستقبلًا الباب، ولكن يوجهه يمينًا أو يسارًا حتى لا يرى من بداخل الباب قبل الاستئذان «جاء رجلٌ - قال عثمان: سعدٌ - فوقف على بابِ النبيِّ ﷺ يستأذنُ، فقام على البابِ مستقبلَ البابِ، فقال له النبيُّ ﷺ: هكذا – عنك – أو هكذا؛ فإنما الاستئذان من النظرِ»[2].

وعلموا أولادكم أدب النبي في الاستئذان، فعند الاستئذان يجب أن يخبر باسمه ولا يقول أنا، فقد لا يعرفه صاحب البيت، فيجب عليه أن يخبره باسمه، فقد لا يؤذن له.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ في دَيْنٍ كانَ علَى أبِي، فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقالَ: مَن ذَا فَقُلتُ: أنَا، فَقالَ: أنَا أنَا كَأنَّهُ كَرِهَهَا»[3].

علمهم وفقههم في الدين

إسلامنا الجميل يدعونا إلى أن نفقه أولادنا ديننا الجميل، ونعلمهم أحكامه على قدر عقلهم واستيعابهم، وندعو لهم دائمًا بأن يرزقهم الله العلم النافع والعمل الصالح، فما فائدة العلم النافع والفقه الصالح بدون عمل نافع وعمل صالح يوصل إلى طاعة الله.

فربنا الرحيم يدلنا على الهدى وطريق الله المستقيم فيقول لنا في قرآنه الكريم: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[4].

وتروي لنا كتب السنة كيف كان الغلمان والصبيان والفتيان يحرصون على التعلم والعلم ويجتهدون فيه، فقد كان عبد الله بن عباس حريصًا على تعلم العلم ومشاهدة الحبيب ﷺ والتعلم منه، فلاحظ الحبيب هذا الاهتمام منه فدعا له الله أن يفقه في الدين ويعلمه التنزيل، فكان ببركة دعاء النبي ﷺ من علماء المسلمين في الدين، وإمام المفسرين.

---

[1] عبد الله بن بسر وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5186، وقال في تخريج مشكاة المصابيح إسناده جيد برقم4597.
[2] عن هزيل بن شرحبيل وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5174، ورواه البيهقي برقم18116.
[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6250، ومسلم في صحيحه برقم2155.
[4] سورة طه الآية 123 - 126.

فقد بات عبد الله بن عباس في بيت خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنهم جميعًا زوج النبي ﷺ فقال: «أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ الخَلَاءَ، فَوَضَعْتُ له وضُوءًا قالَ: مَن وضَعَ هذا فَأُخْبِرَ فَقالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ»[1].

وقال رضي الله عنهما: «كُنْتُ في بيتِ ميمونةَ بنتِ الحارثِ فوضَعْتُ لِرسولِ اللهِ ﷺ طَهورًا فقال: «مَن وضَع هذا»؟ قالت ميمونةُ: عبدُ اللهِ فقال ﷺ: «اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ»»[2].

وروى مصعب الأسلمي رضي الله عنه قال: «انطلق غلامٌ منا فأتَى النبيَّ ﷺ فقال: إني سائِلُك سؤالًا، قال: وما هو؟ قال: أسألُك أن تجعلَني ممن تشفعُ له يومَ القيامةِ، قال: مَن أمرك هذا أو مَن علَّمَك هذا أو من دلَّك على هذا؟ قال: ما أمرني به أحدٌ إلا نفسِي، قال: فإنك ممن أشفعُ له يومَ القيامةِ»[3].

وفي رواية أكثر تفسيرًا «كان غلامٌ بالمدينةِ يُكْنى أبا مُصْعَبٍ، فأتى النَّبيَّ ﷺ وبينَ يدَيه سُنْبُلٌ، ففرَك سُنْبُلَةً، ثمَّ نفَخَها، ثمَّ دفَعَها إليه، فأكَلَها، وكانتِ الأنصارُ تُعَبِّرُ مَن يأكُلُ فَريكةَ السُّنْبُلِ، فلمَّا دفَعَها النَّبيُّ ﷺ إليه لم يرُدَّها عليه، قال أبو مُصْعَبٍ: ثُمَّ قُمْتُ مِن عندِه غيرَ بعيدٍ، ثُمَّ رجَعْتُ إليه، فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أن يجعَلَني معك في الجنَّةِ، قال: مَن علَّمَك هذا؟ قلْتُ: لا أحَدَ، قال: أفعَلُ، فلمَّا ولَّيتُ دعاني، قال: أعِنِّي على نفسِك بكثرةِ السُّجودِ، فأتَيتُ أمِّي، فسألَتْني، فقلْتُ: كنْتُ عند النَّبيِّ ﷺ، فأتى بسنْبُلٍ، ففرَك منه سنْبُلَةً بيدَيه المُبارَكَتَينِ، ثُمَّ نفَخَه بريقِه المبارَكِ، ثمَّ دفَعَها إليَّ، فكرِهْتُ أن أرُدَّه، فقالت: أحسَنْتَ، ثمَّ أتَيتُه فدعا لي»[4].

وكان من فقه الأولاد في إسلامنا الجميل أنهم بايعوا النبي ﷺ وقبل منهم الحبيب البيعة منهم، واحترم فيهم فقههم وعلمهم ونبوغهم المبكر.

فعن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم: «أنهما بايعا رسولَ اللهِ ﷺ وهما ابنا سبعِ سنينَ فلما رآهما رسولُ اللهِ ﷺ تبسَّم وبسطَ يدَه فبايعَهما»[5].

أدّبهم في تعاملهم مع أبويهم

يعلمنا إسلامنا الجميل كل جميل، ويلهمنا كيف نؤدّب أولادنا، ونعلمهم كيفية التعامل مع الوالدين لعظم شأنهما ورفعة منزلتهما.

فيقول لنا ربنا الكريم في كتابه الحكيم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾[6].

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم143 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2477.

[2] قال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم5/41، ورواه البزار في البحار الزخار برقم11/282، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح في شرط مسلم برقم 7055، وقال في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم3102.

[3] قال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم10/372.

[4] عن عبد الملك بن عمير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد أوله يشبه أن يكون مرسلًا، ورجاله رجال الصحيح غير طالوت بن عبادة وهو ثقة برقم9/402).

[5] رواه الطبراني في الأوسط برقم3/360، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه إسماعيل بن عياش وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح برقم9/288.

[6] سورة الإسراء الآية 23.

حتى كلمة أف وهي أقل كلمة تأفف في اللغة، فلا تقولها لأبويك، لعظمهما وحرمتهما.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «أتى رسولَ اللهِ ﷺ رجلٌ ومعه شيخٌ، فقال له: يا فلانُ مَن هذا معك؟ قال: أبي، قال: فلا تمشِ أمامَه، ولا تجلِسْ قبلَه، ولا تدَعُه باسمِه، ولا تستَسِبَّ له»[1].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن النبيّ ﷺ رأي رجلًا معه غلام، فقال للغلام: مَنْ هَذَا؟ قال: أبي، قال: فَلا تَمْشِ أمامَهُ، ولا تَسْتَسِبَّ لَهُ، وَلا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلا تَدْعُهُ باسْمِهِ»[2].

«عن أبي غسَّانَ الضَّبّيّ قال: خرَجْتُ أمشي مع أبي بظهرِ الحرَّةِ، فلقيَني أبو هريرةَ، فقال لي: مَن هذا؟ قُلْتُ: أبي، قال: لا تمشِ بينَ يدَيْ أبيك، ولكن امشِ خلفَه أو إلى جانبِه، ولا تدَعْ أحدًا يحُولُ بينَك وبينَه، ولا تمشِ فوقَ إجَّارٍ أبوك تحتَه، ولا تأكُلْ عِرقًا قد نظَر أبوك إليه لعلَّه قد اشتهاه»[3].

علّمهم طاعة والديهم

يعلمنا إسلامنا الجميل أن آباءنا وأمهاتنا لهم منا كل اجلال وتقدير واحترام، وأن طاعتهما من طاعة الله، وقربهما من قرب الله.

فإسلامنا الجميل أعطى للوالدين كل اهتمام واحترام، ويأمرنا أن نعلم أولادنا هذه الطاعة من الصغر، وما زال يوصينا بالأبوين في القرآن والسنة.

فالله سبحانه وتعالى فطر حب الأولاد في قلوب الآباء، ولكنه سبحانه أمر الأولاد ببر الآباء واحترامهم وجعل طاعته من طاعتهم، قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[4].

ويقول ربنا سبحانه: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾[5].

ويقول الحبيب ﷺ: «رضا الرَّبِّ في رضا الوالدِ وسخطُ الرَّبِّ في سخطِ الوالدِ»[6].

ويقول الحبيب ﷺ: «رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: مَن أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ»[1].

---

[1] رواه الطبراني في الأوسط برقم4159، وقال الهيثمي في المجمع [فيه] علي بن سعيد بن بشير وهو لين وقد نقل ابن دقيق العيد أنه وثق ومحمد بن عروة بن البرند لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح برقم8/140..

[2] رواه عبد الرازق في مصنفه برقم11/138، والنووي في الأذكار برقم1/736، وقال روينا في كتاب ابن السني رقم397، كما أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن رواية عروة بن الزبير وقال فيها الألباني صحيح الإسناد برقم32.

[3] وقال الهيثمي في المجمع أبو غسان وأبو غنم الراوي عنه لم أعرفهما وبقية رجاله ثقات برقم8/140.

[4] سورة العنكبوت الآية 8.

[5] سورة لقمان الآية 14.

[6] عن عبد الله بن عمرو، قال الألباني حسن في صحيح الترمذي برقم1899، وقال حسن في صحيح الجامع برقم3506، وقال حسن بمجموع الطرق في السلسلة الصحيحة برقم516، وقال في صحيح الأدب المفرد حسن موقوفا برقم2.

ويقول لنا الحبيب: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُوصيكم بأُمَّهاتِكم، إنَّ اللهَ يُوصيكم بأُمَّهاتِكم، إنَّ اللهَ يُوصيكم بآبائِكم، إنَّ اللهَ يُوصيكم بالأَقْرَبِ فالأَقْرَبِ»[2].

وقد ورد هذا الحديث بالوصاية للأم ثلاث مرات «إنَّ اللَّهَ يوصيكم بأمَّهاتِكم ثلاثًا إنَّ اللَّهَ يوصيكم بآبائِكم إنَّ اللَّهَ يوصيكم بالأقربِ فالأقرب»[3].

وورد بالأب مرتين كذلك «إنَّ اللهَ يُوصِيكمْ بِأمَّهاتِكمْ - ثلاثًا -، إنَّ اللهَ تعالَى يُوصيكُمْ بآبائِكمْ - مرَّتيْنِ - إنَّ اللهَ تعالَى يُوصيكُمْ بالأقْرَبَ فالأقْرَبَ»[4].

خوفهم ولا تضربهم

يعلمنا إسلامنا الجميل ألا نضرب أولادنا على أي خطأ يرتكبونه، قد تكفي النظرة الغاضبة أو تقضيب الوجه ليعرف الأولاد الخطأ، أو كلمة توبيخ، بل قد تكون بالنصح والإرشاد، فإذا استجاب الأولاد فبه ونعمة، وإن لم يستجيبوا للنصح والإرشاد، فخوّفهم من العقاب والضرب، فإن لم يستجيبوا عاقبهم بحرمانهم من الأشياء التي يحبونها، فإن لم يستجيبوا فعاقبهم بتأنيبهم أو بأشياء ليس فيها ضرب مثل أن يقف فترة ووجهه في الحائط أو يرفع يديه عاليا لمدة ليست طويلة، أو حبسه في غرفته مدة ليست طويلة، أو أي أشياء أخرى ليست مؤلمة كثيرة، بل فيها ألم ولكن ليس شديدًا، وحتى لا يتأذوا، فإن لم يستجيبوا يمكن ضربهم، ولكن على سنة الحبيب ﷺ بالضرب غير المبرح الذي لا يجرح أو يكسر أو يترك أثرًا، ولا تضرب الوجه أو القبل أو الدبر، بل في الكتف والظهر، أو شد الأذن شدًّا يسيرًا، كما فعل المربى الحبيب ﷺ.

فقد تكون بتعابير الوجه من الغضب أو تقضيب الوجه كما كان يفعل الحبيب ﷺ، فقد روى أبو سعيد الخدري عن الحبيب ﷺ قال: «وإذَا كَرِهَ شيئًا عُرِفَ في وجْهِهِ»[5].

أو قد تكون بالكلمة البسيطة المعبرة، كما في سنة الحبيب ﷺ، فقد روى عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: «لمَّا بعَثَتْني أمِّي بقُطْفٍ تناوَلْتُ منه قَبلَ أن أبْلُغَه النَّبيَّ ﷺ فلمَّا جِئْتُ به مسَح رأسي وقال أيَا غُدَرُ»[6].

وفي رواية أخرى أن الحبيب ﷺ أخذ بأذنه تأنيبًا له، وكلمة يا غدر كلمة توبيخ وتأنيب للولد بأن لا يفعل فعلته هذه بعد ذلك، لما فيها من عدم أداء الأمانة، وما زال عبد الله بن بسر يذكرها ويرويها.

وفي رواية عن النعمان بن بشير قال: «أُهدِيَ للنَّبيِّ ﷺ عِنبٌ من الطَّائفِ، فدَعاني فقالَ خُذ هذا العُنقودَ فأبلِغهُ أمَّكَ فأكلتُهُ قبلَ أن أُبلِغَه إيَّاها فلمَّا كانَ بعدَ ليالٍ قالَ لي ما فَعلَ العُنقودُ هل أبلَغتَه أمَّكَ قُلتُ: لا فسمَّاني غُدَرَ»[1].

---

[1] عن أبي هريرة الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم502، ومسلم في صحيحه برقم2551، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم502.

[2] عن المقداد بن معد يكرب، قال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم44، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم17187.

[3] عن المقداد بن معد يكرب، قال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2969.

[4] عن المقداد بن معد يكرب، قال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم1924.

[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3562، ومسلم في صحيحه برقم2320.

[6] قال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه عبد الله بن بسر الحيرانى وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات برقم9/408.

أو قد تكون بشد الأذن والتأنيب البسيط كما فعل الحبيب ﷺ مع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عندما بات عند خالته ميمونة زوج النبي ﷺ فقال عن الحبيب ﷺ: «قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ ما صَنَعَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ إلى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ علَى رَأْسِي، ثُمَّ أخذ بأُذُنِي فَجَعَلَ يَفْتِلُهَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أوْتَرَ».[2] وفي رواية أنه أقام على يسار الحبيب فأخذ الرسول برأسه وأقامه على يمينه.

أو قد يكون بالتخويف فقط من العقاب بإظهار العصا أو أداة العقاب التي قد يخافها الأولاد ويرتدعون عند رؤيتها.

فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمَر بتعليقِ السَّوْطِ في البيتِ»[3].

وفي رواية أخرى له «علِّقوا السَّوطَ حيثُ يراه أهلُ البيتِ فإنَّه لهم أدَبٌ»[4].

وحديث ضرب الأولاد عند سن العاشرة بعد تعويدهم وتعليمهم الصلاة في السن الصغير عند سن السابعة أو السادسة وبعد التوجيه والنصح والكلام، ولكن إذا لم تجد كل هذه الطرق فيبدأ بضربهم على الصلاة، ولكن ضرب كما ذكرنا ضرب غير مبرح.

وقال الحبيب ﷺ: «مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنينَ، واضربوهُم عليها وهمْ أبناءُ عشرٍ، وفرِّقوا بينهُم في المضاجعِ»[5].

ومنع الحبيب ﷺ ضرب الوجه خاصة؛ لأنه عنوان الإنسان وشكله، فلا يشوه أو يظهر فيه أثر الضرب والجرح، ويدخل معها الرأس طبعًا؛ لأن الرأس والوجه قطعة واحدة يتأثر كل منهما بالآخر.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن الحبيب ﷺ قال: «إذا ضربَ أحدُكُم فليتَّقِ الوجه»[6].

ورواية أخرى عن الحبيب ﷺ: «إذا قاتَلَ أحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ»[7].

وحديثه ﷺ الجميل عن نهيه ضرب الوجه فقال: «لا تَضْرِبْ الوجهَ، ولا تُقَبِّحْ»[8].

---

[1] قال الألباني ضعيف في ضعيف ابن ماجه برقم674، وقال البصيرى في مصباح الزجاج إسناده صحيح رجاله ثقات برقم4/35، ورواه الطبراني في الأوسط برقم2/252.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4570 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم763.

[3] قال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم933

[4] رواه الطبراني في الأوسط برقم4/341، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن برقم8/109، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة حسن برقم1447، وقال حسن في صحيح الجامع برقم4022.

[5] عن جد عمرو بن شعيب، وقال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم495، وقال حسن في صحيح الجامع برقم5868.

[6] رواه أبو داود، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4493، ورواه البزار في البحار الزخار برقم8670.

[7] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2559، ومسلم في صحيحه برقم2612.

[8] عن معاوية بن حيدرة القشيرى وقال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم2143، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم20013.

وإن ضرب الأبوان أو حتى المعلم فلا تزيد على ثلاث ضربات غير مؤذية إنما هي للإخافة والزجر، كما ينبغي أن يتراوح عدد الضربات بين واحدة وثلاث فقط؛ فقد كان عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- يكتب إلى الأمصار: «لا يَقْرِن المعلم فوق ثلاث؛ فإنها مخافة للغلام»[1].

وعن الضَّحَّاك قال: «ما ضرب المعلِّم غلامًا فوق ثلاث، فهو قصاص»[2].

علّمهم الشجاعة والثقة بالنفس

إسلامنا الجميل دين العزة والكرامة، ويربي في نفوسنا الشجاعة والإقدام، ويدعونا دائمًا أن نربي أولادنا على حب الشجاعة والإقدام، وأن نعد أولادنا دائمًا لأن يكونوا فداء لدينهم ووطنهم.

ونماذج هذه التربية العالية واضحة جلية في قرآننا الكريم وسيرة نبينا الحبيب ﷺ وتاريخنا الإسلامنا المجيد.

ويخبرنا ربنا القوي العزيز كيف نصر أنبياءه وأولياءه وعباده ومكّن لهم في الأرض، ويربينا على العزة والشجاعة واليقين في نصر الله لنا.

فقد قال ربنا العزيز: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[3].

ويقول لنا سبحانه العزيز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[4].

وكيف واجه بشجاعة نبي الله إبراهيم عليه السلام جبروت وقهر النمرود أو النمروذ ملك بابل الذي ادعى الألوهية، وقد كان نبي الله وحده ولم يمنعه جبروت وسطوة النمرود مدعي الألوهية، وكيف هزمه أمام ملأه وأتباعه فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[5].

ويعلمنا الشجاعة، كما كان المرسلون لا يخافون إلا الله، يواجهون قوى الكفر ثابتين، فقد قال سبحانه عن نبي الله هود عليه السلام في مواجة قومه الجبارين المتجبرين في الأرض: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[6].

---

[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال برقم1/348.
[2] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال برقم1/532.
[3] سورة غافر الآية 51.
[4] سورة محمد الآية 7.
[5] سورة البقرة الآية 258.
[6] سورة هود الآية 54 – 56.

وقد كان الحبيب ﷺ أشجع الشجعان يحتمي به الصحابة من حوله كلما اشتد البأس وحمي الوطيس، ففي غزوة بدر قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لقد رأيْتُنا يومَ بَدرٍ ونحنُ نَلوذُ برسولِ اللهِ ﷺ، وهو أقرَبُنا إلى العَدُوِّ، وكان من أشدِّ النَّاسِ يَومَئذٍ بأْسًا»[1].

ففي غزوة حنين قالَ البَرَاءُ: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ البَأْسُ نَتَّقِي به، وإنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي به، يَعْنِي النبيَّ ﷺ»[2].

وقصة عبد الله بن الزبير مع الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنهم مشهورة تظهر شجاعتة وثقته بنفسه، فقد رباه أبوه الزبير بن العوام فارس الأمة على الشجاعة والإقدام والثقة بالنفس، كما ربته أمه بنت الصديق أسماء بنت أبي بكر على الإقدام وعدم الخوف ما دام على الحق أبدًا، رضي الله عنهم أجمعين.

فقد قد مرَّ عمر بعبد الله وهو يلعب مع رفاقه من الصبيان، فأسرعوا يلوذون بالفرار هيبةً لعمر وإجلالًا له، في حين ثبت عبد الله بن الزبير ولزم مكانه، فقال له عمر رضي الله عنه: ما لك لم تفر معهم؟ فقال عبد الله رضي الله عنه: لم أكن مذنبًا فأهرب منك، ولم يكن الطريق ضيقًا فأوسع لك.

فقد شهد وشارك وهو في الرابعة عشرة من عمره معركة اليرموك الشهيرة مع أبيه الزبير بن العوام، وظل ثابتًا على الحق حتى استشهد وعمره اثنان وسبعون عامًا.

لا تتركهم فقراء يتكففون الناس

يعلمنا إسلامنا الجميل أن نرعى أولادنا وننفق عليهم ونكفيهم مؤنتهم، ولا نتركهم يتكففون الناس ولا نسعى جاهدين في كفالتهم.

يقول ربنا السميع العليم: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[3].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «عَادَنِي النبيُّ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِن مَرَضٍ أَشْفَيْتُ منه علَى المَوْتِ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، بَلَغَ بي مِنَ الوَجَعِ ما تَرَى، وأَنَا ذُو مَالٍ، ولَا يَرِثُنِي إلَّا ابْنَةٌ لي واحِدَةٌ، أفَأَتَصَدَّقُ بثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فأتَصَدَّقُ بشَطْرِهِ؟ قَالَ: الثُّلُثُ يا سَعْدُ، والثُّلُثُ كَثِيرٌ، إنَّكَ أنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِن أنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ولَسْتَ بنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بهَا وجْهَ اللَّهِ، إلَّا آجَرَكَ اللَّهُ بهَا حتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا في فِي امْرَأَتِكَ قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أُخَلَّفُ بَعْدَ أصحابي؟ قَالَ: إنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بهَا وجْهَ اللَّهِ إلَّا ازْدَدْتَ به دَرَجَةً ورِفْعَةً، ولَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حتَّى يَنْتَفِعَ بكَ أقْوَامٌ، ويُضَرَّ بكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أمْضِ لأصحابي هِجْرَتَهُمْ، ولَا تَرُدَّهُمْ علَى أعْقَابِهِمْ، لَكِنِ البَائِسُ سَعْدُ ابنُ خَوْلَةَ. يَرْثِي له رَسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ تُوُفِّيَ بمَكَّةَ وقَالَ أحْمَدُ بنُ يُونُسَ، ومُوسَى، عن إبْرَاهِيمَ، أنْ تَذَرَ ورَثَتَكَ»[4].

---

[1] قال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم2/64، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم654، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم8639 نحوه، كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم33281، وأبو يعلى في مسنده برقم412.

[2] عن أبي إسحاق السبيعى عمرو بن عبد الله، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1776.

[3] سورة البقرة الآية 233.

[4] متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3936، ومسلم في صحيحه برقم1628.

وقد روى عبد الله بن المبارك قال: «بينما عمر بن الخطاب يمشي ذات يوم في بعض أزقة المدينة، إذا صبية بين يديه تقوم مرة وتقعد مرة، فقال يا بؤسها من لهذه؟ فقال ابن عمر هذه إحدى بناتك يا أمير المؤمنين، فقال فما لها؟ قال منعتها ما عندك، فقال أعجزت إذ منعتها ما عندي أن تكسب عليها كما يكسب الأقوام على بناتهم؟ والله مالك عندي إلا ما لرجل من المسلمين، وبيني وبينك كتاب الله، قال الحسن فخصمه والله»[1].

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

مقدمة.....3

[1] كتاب الزهد والرقائق ص 375.

إسلامنا الجميل والمرأة.....4
الأسرة والزواج.....4
الخطبة.....7
التعدد في الزوجات.....7
ذرية البنات.....11
البشارة بالذرية.....13
استعذ بالله.....14
احمد الله.....15
اختر أحب الأسماء.....15
اسمعه اسم الله.....16
اذبح واحلق وتصدق وأطعم.....17
العقيقة عن الولود.....17
ختان المولود.....18
الزوج والزوجة.....19
الزواج.....19
إياك والخطبة على أخيك.....22
لعله يؤدم بينكما.....23
الزواج في إسلامنا الجميل.....24
الأمر بيدها.....24
المهر ولو خاتم من جديد.....25
ابدأ الزواج بذكر الله.....26
عش الزوجية المسلم.....27
خلافات الأسرة.....29

نشوز الزوجة والحل الجميل.....32
إلا الوجه.....34
العلاقة الحميمة.....35
حكماً من أهلها.....38
اصبر عليها واسترضها.....38
احلم بها.....39
اترك مكانك الذي تشاجرت فيه.....39
تبسم في وجهها.....40
تقبل لهوها واحترم لعبها.....40
اصبر عليها.....40
تسامح مع غيرتها.....41
لا تخالفها إن كان رأيها صائبا.....41
تغاض عنها.....42
اجبر خاطرها.....42
اقنعها وطمئنها.....42
هدئ من نفسها الغيورة.....43
نقبل نقاشها ومجادلتها لك.....43
اعتزل زوجتك قليلا حتى تهدأ.....44
تودد إليها لتصفو نفسها.....45
تغاض عن غضبها.....45
تسامح معها.....45
تعامل معهن بالعدل والمساواه.....46
حقق لها ما تريد.....46

اشعرها بحبك ودللها.....46
لا تسرع في شكك وثق في أهلك.....47
لا تشك فيها وتخونها.....49
عقاب الرجل للمرأة.....49
صل زوجتك ولا تهملها.....50
احفظي له غيرته عليك.....52
خذ برأيها.....55
لا تضربها.....55
أرض زوجتك.....56
لا تكرهها.....57
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا.....58
هل البيوت تبنى على الحب فقط؟.....58
لاعبها وسابقها وادخل السرور عليها.....60
آداب الجماع.....60
حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثة.....61
لا تأتيها فجأة.....61
تزين لها كما تتزين لك.....61
نظف فمك.....62
اللهم جنبنا الشيطان.....62
الستر أفضل.....63
الوضوء والتطيب والتجمل.....64
محصنين غير مسافحين.....64
الكيس الكيس.....66

الجماع لك فيه صدقة.....67
لا تعجل.....67
أفضل الأوقات.....68
هل هناك عدد محدد.....69
نساؤكم حرث لكم.....69
وقدموا لأنفسكم.....70
إلا الدبر.....71
الغسل والنظافة.....71
العزل هل يجوز أو لا يجوز.....72
لا تتحدث وتتباه بما فعلت.....74
أحل الله الزواج وحرم الزنا.....75
السعي بالصلح بين الزوجين.....77
الخلاف بين الزوجين.....78
الخلع.....81
فتذروها كالمعلقة.....84
راجعها حفاظا على الأسرة.....86
المحلل حرام.....88
إلا بإذنها.....89
قنطار من المهر.....89
نفقة المتعة.....91
نفقة العدة.....92
كان في مهنة أهله.....92
تحريم زواج المتعة.....93

لا تعدد للمرأة.....94
الكلمة الحلوة.....95
الغيرة.....97
ادع لها.....99
عاتبها برفق.....99
لا تقبل الدعوة إلا معها.....100
الطلاق.....101
لا يقع طلاق السكران.....104
الظهار وحكمه تأديبا للرجل.....105
هم زينة الحياة ومتاعها.....106
له حق الحياة.....107
له حق النسب والأصل.....108
له حق الرضاعة.....109
له حق الرحمة.....111
له حق الحنان والحب.....113
له حق اللعب واللهو.....114
له حق العدالة والمساواة.....116
له حق الإنفاق عليه ورعايته.....117
له حق التعليم والتأديب والتوجيه والإرشاد.....118
أنت مسئول عنهم أمام الله.....118
التوحيد أولا.....119
ثم علمهم الصلاة.....120
عودهم الصيام.....120

علمهم القرآن.....121
اصبر عليهم وعلمهم بيسر.....122
علمهم آداب الطعام.....122
علمهم الصدق.....123
إياك والكذب عليهم أو أمامهم.....123
قد يكونون فتنة وعدوا لك.....124
اشكر الله واحمده على نعمة الأولاد.....125
احذر من عقوق الأولاد.....125
تحمل مسئوليتهم واهتم بهم وارعهم.....127
لا تدع عليهم بل ادع لهم.....127
شاركهم في لعبهم.....128
اللعب مع الطيور والحيوانات الأليفة.....129
اقض لهم حاجتهم.....130
اشعرهم بحبك وشاركهم فرحتهم.....130
تحين الفرص لتعليمهم.....131
لا تكثر من لومهم وعتابهم.....132
ارو لهم القصص الشائقة.....133
حاورهم على قدر فهمهم.....133
علمهم بالمشاهدة والقدوة.....134
مجالسة الكبار والتعلم منهم.....135
علمهم احترام الكبار.....136
علمهم الاستئذان.....137
علمهم وفقههم في الدين.....139

أدبهم في تعاملهم مع أبويهم.....140
علمهم طاعة والديهم.....141
خوفهم ولا تضربهم.....142
علمهم الشجاعة والثقة بالنفس.....144
لا تتركهم فقراء يتكففون الناس.....145